منبر الإسلام

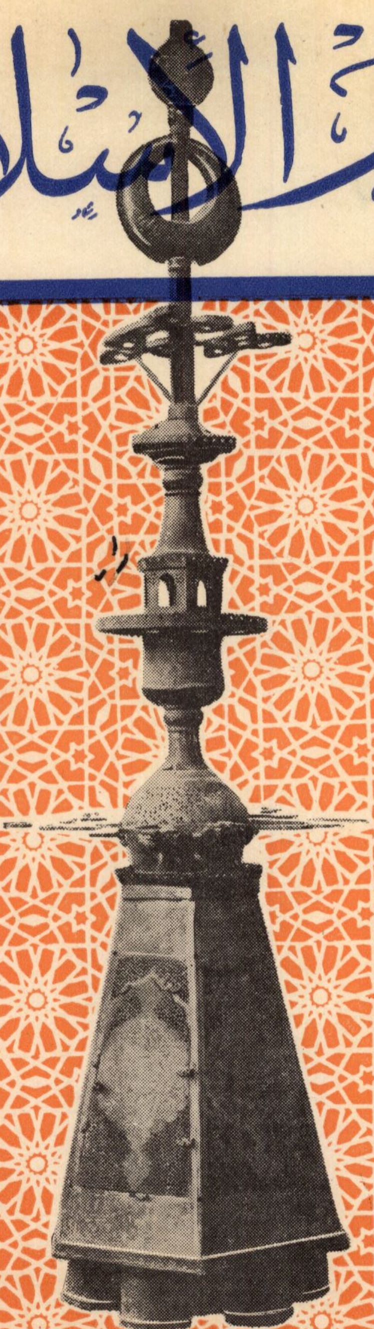

العدد ٨ ـ السنة ٢٠ ـ شعبان ١٣٨٢ ـ يناير ١٩٦٣

الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

شعبان ١٣٨٢
يناير ١٩٦٣
العدد ٨ السنة ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- الاسلام .. والتنظيم السياسى ـ للسيد الأستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة
- خطاب من القاهرة ـ الأستاذ الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر
- حديث مع سفير الملايو
- العاده : لأستاذ الجيل ـ أحمد لطفى السيد
- سذاجة المنكرين ـ الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد
- حاجة المجتمع الى الدين ـ الأستاذ محمد فرج السنهورى
- حمية الجاهلية ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- دور المثقف فى مجتمعنا الاشتراكى ـ الدكتور عثمان أمين
- الكتابى المسلم ـ فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى
- كونية الاسلام ـ الدكتور محمد غلاب
- خواطر مستشار ـ المستشار على منصور
- تراثنا الفقهى وكيف وصل الينا ـ الأستاذ محمد سلام مدكور
- الاسلام عدو الاحتكار ـ الدكتور محمد سعاد جلال
- أبواب ثابتة : مواقيت الصلاة ـ المرأة المسلمة ـ الأخبار ـ المفتى ـ مع القراء ـ بريد التعارف ـ شعر ـ قصة العدد

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الأخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق .....

في شباب

الشباب دعامة الجمهورية العربية المتحدة

« أيها الشباب

أنتم شباب الجمهورية العربية المتحدة ، أنتم المستقبل ، أنتم الأمل الذى تتجه اليه الابصار ، وترنو اليه الانظار ، حتى نستطيع أن نبنى ونعمل ونشيد ونسير قدما لتحقيق الأهداف التى طالما نادينا بها .

الأهداف التى تنحصر فى الحرية والسيادة والعزةوالكرامة والاتحاد . اتحاد الوطن العربى . وتثبيت دعائم القومية العربية التى تجمع بين قلوب العرب جميعا فى أرجاء الأمة العربية .

أنتم الشباب الذين ستكون عليهم أعباء الجمهورية وسترسون بسواعدكم الفتية حجارتها حجرا حجرا .

انتم الشباب الذين ستكون عليكم أعباء المستقبل .

انتم الأمل . وانتم العدة التى نعتد بها لتدعيم المبادىء وتحقيق الأهداف »

« فى الاحتفال بانتخاب الرياسة - ٢٢ فبراير ١٥٨ »

اعتماد الوطن على شبابه

«فى هذا اليوم الذى نحتفل فيه بعيد الشباب نتجه الى مستقبلنا بكل ايمان وبكل عزم وبكل قوة وبكل تصميم ، فان الوطن ينظر اليكم ، بل ان العالم أجمع اليوم ينظر اليكم أيها الشباب ، فبعملكم وجدكم وايمانكم ستحققون مجد مصر ، وستحققون مصر العظمى ، مصر القوية .

نعم ايها الشباب : ان العالم ينظر اليكم والى هذه التجربة الجديدة التى نمر بها فى هذه البقعة من العالم . فقد أعلنا أنا سنعتمد على انفسنا ، وأننا سنكافح الاستبداد والاستعمار وسنبنى وطنا قويا عزيزا وأن العالم اليوم ينظر اليكم فأنتم رجال المستقبل ، واذا كان العالم يرقبكم فان مصر تأمل فيكم وتعتمد عليكم لتعملوا من اجلها الكثير » .

« فى كتائب الشباب ١٦ يناير ١٩٦٥ »

مسئولية الشباب

« ان الشباب الذى أراه أمامى الآن هو الذى سيحمل المسئولية الكبرى فى بناء هذه الدولة الفتية : بناء الجمهورية العربية المتحدة سياسيا واجتماعيا وصناعيا واقتصاديا » .

« فى ٢٥ فبراير ١٩٥٨ »

واجب الشباب نحو مكاسبنا

« أيها الشباب

لقد استجاب القدر الى الأمانى . والى ما نصبو اليه من حرية وعزة واستقلال ، واليوم يا شباب أمامكم مسئوليات جسام . فلا بد من تدعيم هذه الحرية وهذا الاستقلال ، لا بد من العمل والجد والكفاح. سيروا الى الامام أيها الشباب ، فلقد استجاب القدر لتحيوا حياة عزيزة كريمة » .

« فى العرض الرياضى للشباب - ٢٠ يونيه ١٩٥٦ »

الفهم الاجتماعى

« فعلى الجامعات فى هذا الميدان - بناء البشر - واجب كبير ، واجب من أجل التعليم ومن أجل التوجيه ثم واجب من أجل المعاونة فى الفنيين على أن نبنى جمهوريتنا التى نريدها ، والفنيون ليسوا هم من نريد فقط من الجامعة . ولكن نريد الفنيين الذين يتمتعون بقسط وافر من الانسانية . والفهم الاجتماعى . لأن الفنى اذا تخرج من الجامعة وقد تملكته الانانية فلن يسهم بأى حال من الأحوال فى بناء المجتمع الذى نريد » .

رسالة الخريجين

نريد الفنى الذى يخرج من الجامعة وهو مؤمن ان عليه رسالة كبرى نحو نفسه ونحو عائلته هذه لا ننكرها . ولكن رسالة كبرى أيضا نحو وطنه ونحو أبناء أمته ، عليه أن يسافر ليخدم فى المناطق القاصية البعيدة . عليه أن يسافر ويبعد عن أهله. ولكنه فى هذا يجب أن يفكر أنه حينما يبعد عن أهله فى أسرته الصغيرة فانما يجد أهله فى أسرته الكبيرة وأن أهله فى أسرته الكبيرة فى حاجة لمن يخدمهم ومن يعمل من أجلهم .

هذه أسس أولية فى بناء مجتمعنا وهذه الأسس التى يتمناها كل فرد والتى تتمناها الأمة كلها لتسود فى كل ميدان ، اذا سادت تساعدناعلى بناء مجتمعنا .

المتعلمون والشعب

على من دخل فى الجامعة وعلى من يعمل فى الجامعة مسئولية كبرى تجاه هذا الشعب خارج المحاضرات .. مسئولية حتى تنصهر هذه العوامل الطيبة التى تنصهر فى قلوب الناس ، تنصهر فى كل القلوب . ولايكون هناك انفصال بين الشعب وبين المثقفين . بل لا بد أن يثق الشعب فى المثقفين ثقة كبرى . وهذا يحدث حينما يشعر انهم يعملون من اجل مصلحته .. ان الشعب الذى قاسى من أجل التفرقة الطبقية . يشعر فى نفسه دائما بعوامل كثيرة ، عوامل من عدم الاطمئنان الى المستقبل . عليكم أنتم رجال الجامعة وطلبتها واجب كبير فى القضاء على هذه العوامل التى اثرت علينا فى الماضى . فيشعر كل فلاح . ويشعر كل عامل من أبناء هذه الجمهورية ويشعر كل تاجر وكل موظف أن الجامعة برجالها وبطلبتها انما خلقوا وقاموا ليخدموا هذه الجمهورية . ليخدموها سياسيا واجتماعيا ، فكريا وعمليا ، ويخدموها فى القطاع الفردى الذى يعملون فيه . وفى القطاع الجامعى الذى يمس مصلحة الشعب كله بمجموعه .

هذا عامل أساسى من عوامل بناء جمهوريتنا » .

« من خطاب فى الاحتفال بوضع حجر أساس المدينة الجامعية بدمشق ٦١/٢/٢٧»

بناة المستقبل

« أنتم أيها الشباب عليكم الواجب الأكبر، وعليكم المسئولية العظمى فى بناء المستقبل للوطن العربى لأن جميع التبعات ستقع على أكتافكم ، فبسواعدكم وأرواحكم ، وبهذه الروح التى أراها من الفتيات والفتيان نستطيع باذن الله ان نبنى هذا الوطن ، وان نرفع رايات الحرية والاستقلال . فأنتم أيها الشباب الجيل الصاعد ، وأنتم أيها الشباب الذين تحملون مسئوليات البلاد » .

«من خطاب فى كشافة حلب ١٩/٢/١٩٦٠»

المتعلمون مدينون لأمتهم

« على الذين وجدوا الفرصة ليتعلموا ويأخذوا من الدخل العالى أو الدخل الكثير أكثر من متوسط الدخل القومى . عليهم الدين فى رقبتهم لأبناء أمتهم . والأمة قد تبنى على الانفرادية فيسعى كل فرد من ابنائها ليعمل من أجل نفسه . ومن أجل رفع مستواه . فهذه الأمة تكون دائما امة ضائعة . فالأمة يمكن لها ولأفرادها أن يفكروا على أساس من مجموع اخوتهم فى جميع انحاء وطنهم . وكل فرد فيهم يفكر فى نفسه ويفكر فى المواطنين جميعا . ويفكر فى وطنه . فاذا وجد الفرصة ليتعلم أو اذا وجد الفرصة ليحصل على الدخل العالى فلا بد له من أن يفكر فى أن عليه واجبا نحو الآخرين الذين لم يجدوا الفرصة للعلم أو الذين لم يجدوا الفرصة للحصول على دخل عال . وعليه أيضا أن يفكر حينما ينعم بالرفاهية أن هناك فى ربوع جمهوريته عائلات وأناسا كثيرين لم يجدوا الفرصة لينعموا بالرفاهية التى ينعم هو بها . لم يجدوا الفرصة حتى يوفروا لأبنائهم كما وجد هو الفرصة ليوفر لأبنائه .

هذا هو المجتمع الذى يشعر كل فرد من ابنائه بأن عليه واجبا تجاه نفسه وأن عليه واجبا تجاه الآخرين » .

بناء البشر

« المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى يتمناه كل فرد من أبناء جمهوريتنا : قضاء على الأنانية الفردية وعمل من أجل المجتمع .

وهذه هى رسالة الجامعات ورجال العلم فى الجامعات . وقد قلت فى الماضى أن بناء المصانع سهل . وبناء الجسور سهل . وبناء السدود سهل . أما بناء البشر فهو الصعب العسير ، وعلينا أن نذكر دائما أن الجمهورية والأمة هى مجموعة من البشر وعلى قدر أحاسيس هذه المجموعة وانعكاساتها وما يختلج فى قلوبها ونفوسها تكون الأمة فى قوتها أو فى عزتها . فى صلابتها أو فى مكانتها ، ثم فى انطلاقها من أجل البناء الكبير » .

« فى الاحتفال بوضع اساس المدينة الجامعية بدمشق ١٩٦١/٢/٢٧ »

زعماء العالم الإسلامي .. في القاهرة

الحسيب النسيب السّيد علي الميرغني

زعيم الطائفة الختمية بالسودان

وصل الى القاهرة يوم ٢٣ نوفمبر عام١٩٦٢ الحسيب النسيب السيد على الميرغنى ، زعيم الطائفة الختمية بالسودان ، بعد أن أمضى بضعة أسابيع فى مستشفى المواساة بالاسكندرية للعلاج •

وقد التقى بالرئيس جمال عبد الناصر الذى رحب به فى حفاوة وتكريم وبعد قضاء فترة العلاج عاد الى السودان •• ومن هناك أرسل برقية شكر للرئيس جمال عبد الناصر على ما لقيه من حفاوة وتكريم أثناء اقامته بالجمهورية العربية المتحدة ، هذا نصها :

« وصلنا بحمد الله بالسلامة شاكرين لكم ما لقيناه طيلة اقامتنا معكم من كريم الضيافة وبالغ العناية والاهتمام وما لمسناه من صادق المودة والتقدير سواء فى الاقامة أو التوديع وكان له الأثر العظيم فى نفوسنا فجزاكم الله عنا خير الجزاء ووفقكم وسدد خطاكم لما فيه خير العروبة جمعاء » •

والحسيب النسيب السيد على الميرغنى ، زعيم دينى كبير بالسودان وذو نفوذ كبير•• والطائفة الختمية وهى احدى الطرق الصوفية القديمة بالسودان أسسها الجد محمد عثمان الميرغنى ، وذريته كلها تتمتع بنظرة دينية كبيرة •

والحسيب النسيب السيد على الميرغنى هو زعيم الطائفة الختمية • وله من الأولاد اثنان أكبرهم محمد عثمان ثم أحمد•• ومحمد ينوب عن والده فى المناسبات بسبب مرض والده وكبر سنه ••

وعقب وصول الحسيب النسيب السيد على الميرغنى الى السودان أرسل ابنه محمد الميرغنى برقية شكر الى الرئيس جمال عبد الناصر شكر فيها سيادته على الحفاوة والتكريم اللذين قوبل بهما والده أثناء زيارته للجمهورية العربية المتحدة ، هذا نصها :

« تفضلوا بقبول شكرنا وفائق امتناننا على حفاوتكم وتكريمكم البالغين ، وفقكم الله لخير شعبكم العظيم » •

ومن اتحاد الختمية وصلت البرقية التالية :

« لقد تجلت مشاعر الاخوة العربية الكريمة فى حفاوتكم البالغة واكرامكم العظيم وفى استقبالاتكم الشعبية الرائعة ووداعكم الكريم لزعيمنا المفدى السيد على الميرغنى، وان مالقيه سيادته من عناية واهتمام وتقدير أثناء فترة العلاج وبعدها قد أثلج صدورنا وكان له أطيب الأثر فى نفوس جماهير الختمية التى تعرف الرئيس العربى ومواقفه الخالدة وأياديه البيضاء •• واننا نشكركم حكومة وشعبا ونرجو لكم المجد والرفعة •• »

مع الأحداث

"نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا إلى العالم الاسلامى"
الميثاق

الإسلام والتنظيم السياسى

السيد / حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

درج كثير من الكتاب ، حينما يتصدون للحديث عن المسائل الاسلامية ، أن تأخذهم الأمواج العاطفية ، فيسبحون فى خيال روحى ، كثيرا ما يجرد هذا الدين القيم من جوهر الحقيقة .. ولا يزالون كذلك ، حتى ظن القارىء أو المستمع ، أن الاسلام لم يشرع ليمشى على الأرض ، ويعالج مشاكل البشر ، وينظم حياة الناس !..

وجدت نفسى وأنا أكتب الى «منبر الاسلام» أكاد أسير فى نفس الاتجاه .. ولكن الأحداث من حولنا ، وهى تمضى فى حركة لا تعرف التوقف ، وهى فى قوتها تفرض علينا أن نتفاعل معها ، وأن نعيش على مستواها ، ننطلق معها ولا ننافقها ، وانما نؤثر ونؤثر فيها ، فنحن جزء منها .. على قمة هذه الأحداث اليوم ، اعلان قيام الاتحاد الاشتراكى العربى ..

سيقفز الى الخاطر فورا هذا السؤال : وهل لهذا التنظيم الشعبى السياسى علاقة بالاسلام ؟

وجوابى على هذا السؤال ، هو أن : **الاسلام قد وضع أحكم تنظيم سياسى .. بناه على قواعد تفردت بالأصالة ، والبساطة ، والاستمرار .**

وعن الأصالة أقول ان هناك كثيرا من الناس يستهويهم الجديد ، ويخطف أبصارهم البريق ، فيندفعون سراعا بكل حواسهم ، ونحن فى عصر السرعة الى تقليد ما يتحقق سريعا ، وهم

لايشعرون أنهم يسيرون فى الطريق الطويل ٠٠ بل الطريق المسدود ٠٠ لأنهم قد بهرتهم الصورة ، ولم يأخذوا بالأصل فيما اعتزموا القيام به من أعمال ٠٠

وها نحن فى مصر الجمهورية العربية المتحدة **نرجع بالأمور الى أصولها ، فنعتز بأننا جزء من الأمة العربية ، وبأننا عرب ، وبأننا نؤمن برباط روحي وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى كما نص الميثاق ٠**

وكان فرضا علينا ونحن نضع اللبنات الأولى فى البناء الاشتراكى وتنظيمه السياسى، أن نعود الى الأصل ، ولا نلتفت الى الصور ، ونحن نقيم بناء الاتحاد الاشتراكى على هدى من العروبة والاسلام ٠٠

أما البساطة فى البناء فقد أوضحها الاسلام فى مجموعة من القواعد التى تؤدى دائما الى الترابط فى العلاقات ، وفى أسلوب الحياة ، وفى التصرف الخلقى الانسانى ٠

وأما الذاتية فليس كالاسلام أسلوب فى اعداد الفرد القوى بنفسه ، هذه القوة المستمدة من ايمانه بربه ، واتباع أوامره ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، يعتز بحريته ، ويؤمن بذاتيته، ويتبع أوامر دينه ، فى الاتصال بالناس ، من صلة رحم ، الى رعاية جار ، فتقوم الروابط بين الجماعة قوية كالفرد القوى ، **وتتوطد العلاقات بين الناس بلا أجهزة ولا رقابة ولا أحكام ، فقوة الفرد الذاتية هى الأساس فى الاسلام ٠٠**

وأما الاستمرار ، فهو الشعور بمسئولية الرسالة ، وأن هذه المسئولية لا تقتصر على من أنزلت عليه الرسالة ، بل هى مسئولية ملزمة لكل من يحمل الرسالة ٠

قواعد التنظيم من القرآن

فاذا أردنا ترجمة هذه المعانى الأصيلة الى واقع التنظيم السياسى فى الاسلام ، فاننا نجدها مجسمة فى سورة الحجرات ٠

لقد حوت هذه السورة الكريمة سلسلة من القواعد الأساسية للتنظيم ، **ومجموعة من الأوامر والتصرفات التى تحكم علاقات القيادة بالقاعدة ، وتقدم المثل التى تعتبر أصلح** مقياس وأقوى أساس لبناء التنظيم السياسى الأفضل ٠٠

الخطاب موجه فى هذه السورة للمؤمنين ، فهم وحدهم الذين يستطيعون البناء ٠٠ بناء الأمة القوية المتحدة ٠٠

١ – « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله وسوله » ٠٠ أى لا تتقدموا بقول أو عمل بغير اذن من الله ورسوله ، اجلالا للخالق ، واحتراما للقائد ٠

٢ – يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » ٠

٣ – « انالذين يغضون أصواتهم عندرسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى »٠

٤ – « ان الذين ينادونكمن وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ٠ ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ٠ »

تحديد صريح واضح لعلاقة الأفراد بالقائد ، لايمكن تأويله بأى نوع من التمييز الطبقى ، فالقائد هنا وصفه الله بأنه رءوف رحيم على خلق عظيم ٠٠ ولكنها مقتضيات التنظيم التى تكفل قيام البناء على أساس سليم ٠

٥ – « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ٠

٦ – « واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ، ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون » ٠

ويا ويل الجماعة المتحدة ، ان فتحت آذانها لأى نبأ ضد فرد فيها ، ثم تأخذه دون تحقيق، ودون مكاشفته ، والاستماع الى دفاعه ،ستكون مؤاخذته طعنا من الخلف ، قد يؤدى الى اصابة آخرين غيره ، ثم يبين الحق ، فيكون الندم حيث لا ينفع الندم ٠٠ وخاصة عندما تبلغ الجرأة بمن يحمل ذلك النبأ ، فيلقى به فى سمع القائد ، ويحاول بعض أعوانه أن يهموا بالدعوة الى عقاب الفرد المقصود بالبلاغ الكاذب ٠٠

ليس من شك فى أن الجماعة سوف تتصدع لو أخذ القائد رجاله بما يريد المتسرعون فى الحكم على الغائب ..

٧ ـ « انما المؤمنون اخوة ، فأصلحوا بين أخويكم » ..

فالتنظيم يفرض الأخوة ، والأخوة مساواة ومحبة ، فان حدث خصام بين الأخوين ، فعلى الجماعة أن تصلح بينهما ذات البين ، حتى لا يتفاقم الخصام ، ويتطور الأمر الى ما يهدد أخوة الجماعة والمحبة المفروضة فى صفوفها المتحدة .

٨ ـ يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب » .

ولا يعلم غيره ـ سبحانه ـ أخلاق خلقه ، فيحذرهم عواقب السخرية ، ويبصرهم بأضرارها البالغة ، من فقد للأعصاب ، ثم الى شحناء ، ثم الى عداوة وفرقة .

٩ ـ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » .

فاذا خلص التنظيم القائم على الايمان والأخوة والتقدير المتبادل والمحبة البريئة من اثم الظن ، ومن الغيبة التى يصورها الله بأنها أبشع طعام فى الحياة ، الأخ يأكل لحم أخيه ميتا .. اذا خلص التنظيم من ذلك كله ، وامتثل للأوامر التى توثق عراه ، وهى التى أوضحتها هذه الآيات ، فليس من شك فى أن اتحاد الأخوة سيرتفع بناؤه عاليا لايمكن أن تشوبه شائبة ، ولا يمكن أن تتخلله ثغرة ..

العضو العامل .. والمنتسب

فاذا صح ايمان الفرد بالتنظيم كان عضوا عاملا له كيانه فى الاتحاد ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الى جوار المؤمنين قوم يحتاجون الى التدريب ، حتى يؤمنوا ، وحتى يصلحوا للعمل الأمين المنظم ..

١٠ ـ « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .

١١ ـ « يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين

تعريف بالمؤمنين ..

نخلص من ذلك أن التنظيم السياسى هو مجموعة من العلاقات والروابط التى تؤلف بين قلوب جماعة تؤمن بفكرة مشتركة ، وتندفع بكل طاقاتها الى أهدافها ، بغير تردد ولا احجام أو التواء ، فيكون الناتج النهائى حصيلة لاتقدر بثمن ، وطاقة يحسب لها ألف حساب ..

وهنا تتعرض السورة لتعريف المؤمنين فى صراحة وجلاء وصدق بيان :

١٢ ـ « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

ايمان بالرسالة ، وايمان بالرسول .. ايمان بالفكرة .. وايمان بالقيادة .. ثم لم يرتابوا .. يعنى أنهم بلغوا درجة اليقين التى هى الشرط الأساسى للاعتماد عليهم ، والوثوق بهم ، لأنهم لا يحتاجون الى تبرير ، أو اقناع ، فقد جاوز يقينهم حد التردد ، والتساؤل .. واجتازوا فترة البحث والتشكك ، وليس فى قلوبهم مرض .. ثم .. جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ..

لقد وجدناهم فى يسر ..

والسؤال الآن ونحن نبنى التنظيم .. نبنى الاتحاد الاشتراكى العربى .. ما هو المقياس الذى يستطيع القائد أن يقيس به درجة الايمان .. وكل الناس يظهرون له الاخلاص والايمان ؟..

أنى لنا أن نتخير المؤمنين لعضوية الاتحاد الاشتراكى العربى ، الا اذا كنا قد خبرناهم فى مجال المعارك ، والشدائد ، والجهاد والبذل ؟..

الجواب على هذا السؤال قائم بحمد الله .

لقد اجتازت هذه الأمة فى السنوات العشر الماضية ، منذ قيام الثورة ، كثيرا من المعارك ، والشدائد ، والمواقف .. فأصبح اختيار المؤمنين سهلا ميسورا ..

لقد قضت الأحداث المتلاحقة على المفاهيم القديمة التى كانت ضبابا يحجب الرؤية الصادقة ..

ان هناك من يقولون بأننا نقوم بتجارب فى مجال التنظيم الشعبى ولكنى أقول ان التجارب الماضية لم تكن سوى مراحل ، وكل مرحلة كانت على موعد مناسب مع الصورة التى تلائمها فى التنظيم الشعبى .. ونحن دائما نستفيد من التجارب بأخطائها وانتصاراتها معا ..

لقد كانت هيئة التحرير تجمعا دفاعيا للوقوف تجاه أعداء الثورة ، والذين لا يرغبون فى قيامها ، لأن فى قلوبهم مرض ، منافع شخصية ، أو خدمة أجنبية .. واننى أقرر هنا أن هذه الهيئة أدت دورها كما كان يجب أن تؤديه فى تلك المرحلة من التنظيم .

ثم جاءت مرحلة الاتحاد القومى .. بعد جلاء المستعمر عن أرضنا .. وكان تصورنا فى هذه المرحلة أن الأرض قد تحررت ، والاقطاع قد انتهى ، وتحكم رأس المال قد مضى ولم يبق فى بلادنا ما يعوق البناء أو يؤخر التنظيم .. لقد تجسمت أمامنا حتمية الوحدة الوطنية وأنها تعلو فوق كل اعتبار، ولم تكن الاعتبارات الطبقية والانتهازية والرجعية بالوضوح الذى يجعلها تكشف عن نفسها ، حتى يمكن عزلها، ليقوم البناء متحررا من المغالطات ، محررا من التناقض والفجوات ..

أما اليوم فقد تحررت الأمة من الاستعمار وأعوانه الخونة .. تحررت من سيطرة رأس المال المتحكم المستغل .. تحررت من الاقطاع الذى طالما استذل الرقاب .. تحررت من الاحتكار ومن الطبقية والانتهازية والرجعية الى الأبد ..

وكشفت المعارك ، والشدائد ، والمواقف عن المؤمنين الصادقين وعن أدعياء الايمان والمنافقين .. ولم يعد من العسير حسن الاختيار .. ولم يبق أمامنا ضباب يحجب القاعدة عن القيادة.. وانحسرت موجة الأطماع التى كانت تتحين الفرصة للانقضاض على الشعب ..

وجاء ميثاق العمل الوطنى محددا معالم الطريق الى مستقبل مشرق .. يلتقى فيه المواطنون على قلب رجل واحد ، يحمون مكاسبهم باتحادهم ، ويطبقون اشتراكيتهم بوعيهم وسواعدهم ، ويعتزون بعروبتهم ، لا يقتبسون وحدة الصف الا من استقامته فى الصلاة ، ولا يستلهمون النجاح فى البناء من غير الأصل .. لا يجرون خلف الصور .. ولا يخدعهم البريق ، ولا يتورطون فى السير على الطريق المسدود ..

رسالتنا انسانية ..

ان طريقنا الأصيل قد سلكناه .. ونحن نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى ..

ولم يكن جديدا على قانون تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى أن تبدأ واجبات العضو العامل بأن « **يكون متمسكا بالقيم الروحية والانسانية ، وأن يعمل دائما على رفع مستواه الفكرى والعقائدى ويتعمق فى فهم مبادىء الميثاق الوطنى ويتولى شرحه للغير** » .

ويؤكد الميثاق قداسة هذه القيم الروحية الانسانية فتصبح أول واجبات العضو العامل فى الاتحاد الاشتراكى العربى .. وهذا هو التطبيق ..

سيتكون الاتحاد اذن من هؤلاء الأعضاء ، وكلهم يحمل رسالته ، مكلف بشرح الميثاق للغير ..

واننا فى هذه المرحلة الحاسمة لتنظيمنا السياسى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، نتسلح بالقيم الروحية ، التى ستفرض نفسها على المراحل القادمة من العمل على المستوى القومى، وعلى الصعيد العالمى ..

« **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

لقد وجه الله ــ سبحانه وتعالى ــ الأوامر الى المؤمنين فى التنظيم ثم كلف المؤمنين بعد اتحادهم وترابطهم بأن يحملوا مسئولية الرسالة الى الناس كافة .. فى شعوبهم ، وفى قبائلهم ، ليتعارفوا على أن مقياسهم عند الله هو التقوى .. أى العمل الصادق لتحقيق مشيئة بحفظ كرامة الانسان ..

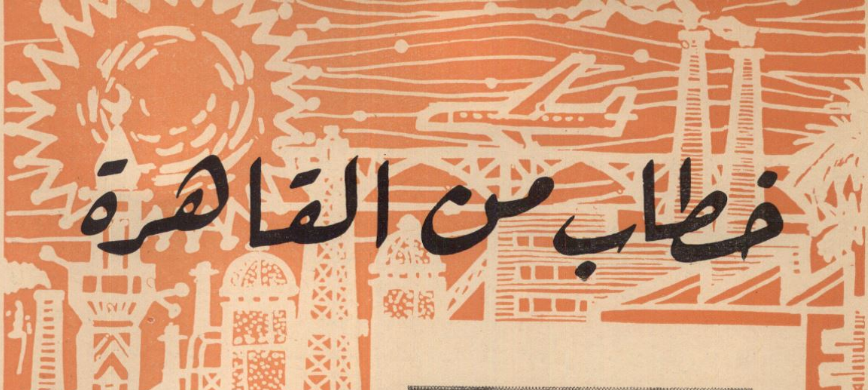

الأستاذ الدكتور
محمد البهي
وزير الأوقاف
وشئون الأزهر

الحضارة ... الإنسانيّة

ان تطبيق الحضارة - بعد أن أوضحنا مفهومها وجوانبها المختلفة - يجب أن يقاس بموضوعيتها وبآثار المستوى الانسانى الرفيع فى الحياة الجارية .

والشعب المتحضر هو الذى **ينضج الطابع الانسانى وخصائص الانسانية فى علاقة أفراده وفى موقفه وسلوكه من الشعوب والمجموعات البشرية الأخرى**، ويصور - فيماله من جوانب حضارية متعددة - المعانى الانسانية التى ترتفع فوق الفردية والحزبية والطائفية والمذهبية والشعوبية بقدر الامكان .

واذن لا تقاس حضارة الشعوب بالتقدم فى الصناعة والتقدم فى العلم **الا بمقدار ما يعبر التقدم فيهما عن الاهداف الانسانية التى تستهدفها الشعوب الصناعية .**

لا يوصف مجتمع بأنه مجتمع حضارى لأن أفراده يملكون السبق فى العلم وآلة الصناعة ، اذا ما كان هؤلاء الافراد تتملكهم فى الوقت نفسه نزعة الأنانية أو أية نزعة أخرى تبعدهم عن المستوى الانسانى العام فيما لهم من انتاج فى دائرة الفكر ، أو الوجدان ، أو فى السلوك العملى الأخلاقى .

كثير يرى أن وجود العلم أو وجود الصناعة لدى شعب من الشعوب **أمارة على الحضارة . وبناء على ذلك يعتبر في غير احتياط كل انتاج**

لهذا الشعب فى مجالات الانتاج الانسانى ظاهرة حضارية ..

حتى لو كان علم هـذا الشعب أو كانت صناعته لتهديد أمن البشرية واثارة القلق والاضطراب فيها ..

حتى لو كان علم هـذا الشعب أو كانت صناعته وسيلتين للقرصنة واستغلال الشعوب الاخرى أو فرض الوصاية عليها ..

حتى لو كان علم هـذا الشعب ـ أو كانت صناعته ـ بسبب توجيههما لانتاج وسائل التدمير والتخريب ـ أكثر من توجيههما لانتاج وسائل الرخاء وتيسير الحياة ـ مصدرين لانتشار الفاقة والمرض والجهل فى العالم الانسانى !! ـ

صحيح ان تقدم الصناعة ترجمة لتقدم العلم .. ولكنها لا تكون ترجمة عن عنصر حضارى الا اذا كان طابعها انسانيا !

وكذلك العلم وقوانينه جانب من جوانب الحضارة كالفلسفة والقانون والدين والفن والأدب وقواعد السلوك الخلقى ... ولكن اذا أسىء استخدامه لم يكن الذين باشروا هذه الاساءة من أصحاب الحضارة ، وان كانوا هم العلماء أنفسهم !!

وهنا يمكن أن يقال : **ان الانسان قد يصنع الحضارة ، ولكنه نفسه قد يكون غير حضارى أو غير متحضر !!**

قد ينتج بطاقاته الفكرية على الأخص ما يسهم به فى بناء جانب الحضارة الفكرية ـ الفلسفية أو العلمية أو القانونية ، **ولكن طاقاته الأخرى الوجدانية أو السلوكية العملية ليست من التهيؤ والنضوج بحيث تجعل منه متحضرا ، بالاضافة الى ماله من اسهام فى الحضارة الفكرية .**

ويمكن أن يقال أيضا : ان مخترع الصناعة مع اسهامه فى تجسيد جانب من جوانب الحضارة وابرازه الى الوجود المادى ـ وهو جانب العلم ـ قد يكون غير متحضر ، اذا لم يكن له من وجدانه ومن ارادته الخلقية ما يدفعه الى توجيه مخترعه فى خدمة البشرية وصون الحضارة الانسانية « ككل » من التهديد بالفناء أو من الفناء بالفعل .

كما يمكن أن يقال فى مقابل ذلك ، أن شعبا لم يعرف الصناعة الحديثة ولم يمارسها هو شعب متحضر مع ذلك ، اذا كان هذا الشعب فى سلوكه الجماعى وفى سلوك أفراده مايعبر عن الانسانية فى خصائصها الرفيعة . لأن الغاية الأخيرة للحضارة مهما تعددت جوانبها أن يسود الطابع الانسانى العام ، فهى صورة للانسانية نفسها ، وصانعها الانسان كانسان .

وهنا نعود مرة أخرى لتفسير : **لماذا كان الدين ـ على نحو ما أشرنا ـ الجانب الاصيل فى الحضارة الانسانية ..؟**

ذاك لأن السلوك العملى وتكوين الارادة الخلقية الانسانية أهم ما يعنى به الدين . وهو اذن يعنى بسيادة الطابع الانسانى العام عن طريق الايمان والترجمة العملية له فى الحياة . ثم عن طريق ايقاظ الوعى بالمستوى الانسانى الذى يدفع اليه الايمان بالدين يتجه الانسان فى انتاجه الفكرى على وجه خاص الى أن يكون ذا انسانية وبالتالى الى أن يكون صاحب حضارة .

ولا عجب اذن أن نرى الآن من يملكون حضارة العلم والفلسفة والقانون ـ أى من يملكون حضارة الفكر ـ قد لا يكونون هم أنفسهم أصحاب حضارة فى الوجدان : فى الدين والأدب والفن ، أو أصحاب حضارة فى السلوك العملى : فى الأخلاق والارادة الخلقية .

وما انقسمت الحضارة الى مادية وروحية ... ما انقسمت الى حضارة العلم فى ميادينه المختلفة ـ وهى ميادين مجسدة أو مشاهدة ـ تسانده الفلسفة المادية ويجمعه القانون ، والى حضارة الدين فى مجال الاعتقاد به وهو القلب ـ تعبر عنه الأخلاق فى مجالها وهو السلوك العملى .. ما انقسمت الحضارة الى هذين النوعين ووضح الانفصال بينهما ثم ترجح الجانب المادى فيهما ، ما حصل ذلك الا لأن **الانسان عندما تفوق فى الحضارة الفكرية ووجد نفسه متخلفا فى الجانب الحضارى الوجدانى والسلوكى لم**

يشأ الا أن يسترسل فى اعتزازه بما أنتج وبما يستطيع أن ينتج فى الجانب الفكرى من الحضارة مدفوعا بكامل الزهو والغرور !! واعتزازه بذلك ان كان قد ولد الثقة به فى نفسه ، فقد ولد فيها في الوقت نفسه شبه استخفاف بالجانب الآخر الذى أعتبره مقابلا وهو الجانب الوجدانى والسلوكى .

ولكن حينما يتضح له أن الحضارة انسانية فى أنتاجها وفى تطبيقها ، وانها كل لا يتجزأ ، وان هدفها الأخير أن تسود الانسانية فى أوضح صورها فى السلوك العملى الفردى والجماعى .. ان وضح له هذا سيعلم يقينا ان مايزهو ويفخر به - وهو التفوق فى العلم على الأخص - وفى الجانب الفكرى من الحضارة بوجه عام - سيصبح حتما على الأقل مصدر ضعف له ، وهو ضعف الخائف من صديق يمكن أن يغدر به ويأتيه من مأمنه ، ما لم يضمن أن هذا الصديق وهو العلم قد وجه الى الخير والى الخير وحده - بتزكية ما فى القلب من ايمان بالانسانية ينعكس على السلوك العلمى فى واقع الحياة .

ان الذى يجب أن يفخر به الانسان كانسان ليس هو ما يملك من وسائل الارهاب ولو كانت العلم وآثار الفكر .. انما هو ما يمنع مما له طابع الانسانية !

ان العرب يوم قبلوا الاسلام وآمنوا برسالته وطبقوها فى حياة أنفسهم وحملوها لغيرهم بعد ذلك فى صورتها الايمانية والعملية كانوا بناة حضارة انسانية ، وكانوا أيضا متفوقين فى الوصف بالحضارة ، ومع ذلك لم يكونوا أصحاب علم تجربى - على نحو علمنا المعاصر - وبالتالى لم يكونوا أصحاب صناعة ترهب العالم بتقدمها وبخطرها فى الوقت نفسه !

كانوا حضاريين لأن سلوكهم العملى كان مملوكا انسانيا ، وايمانهم بالله لم يكن عن تقليد أو اتباع فكانوا انسانيين أيضا فيما فكروا وآمنوا .. وكانت علاقة بعضهم ببعض علاقة محبة وأخوة ، فكانوا انسانيين أيضا فى وجدانهم .

وأخيرا كانت رسالتهم رسالة بناء حضارة ، لأنها هى التى جعلت منهم حضاريين ، فكان ما لهم من حصيلة فى مجالات الفكر والوجدان والارادة العملية ، يتميز بالطابع الانسانى .

ان الانسان لا يقسم على سبيل الحقيقة - كما يقال - الى قسمين منفصلين ، هما **الروح والبدن ..**

ان الواقع يلزم انه **وحدة لا تركيب فيها ،** وان ما يوجد لانسان من ارادة ووجدان وارادة عملية وبدن هو الهيكل المرئى منه ، ان هو الا مناطق تحدد هذه الوحدة ولكنها لا تقسمها الى أقسام ينفصل بعضها عن بعض .

وطبيعة الوحدة تدفع الى اعتبار : ان نموها المزدهر هو ما كان شاملا لها ، وليس لمنطقة فيها دون أخرى .. والضرر يصيبها اذا ما حيا فيها جانب ومات جانب آخر لها . فمن الأرض الجرداء أو الأرض المالحة تهب ريح الفقر والجدب على ما يجاورها من أرض منبتة خضراء ، فتصيب نباتها بالوهن والضعف أو الشلل وقد تحيلها الى شبيه لها !!

ان الجهل يؤذى السلوك الخلقى ..
وان سوء السلوك الخلقى يؤذى الفكر .. والعلم ، وان الجهل وسوء السلوك الخلقى يؤذى الوجدان ..

ولما كانت الحضارة كلا لا يتجزأ ، وكان الانسان وحدة لا تقبل القسمة ، فخير الحضارات ما ازدهر ظاهرها وباطنها ، وحققت السعادة للانسان فى بدنه وروحه .

ومن هنا كانت الميزة الخالدة لحضارة الاسلام ، التى بدأ تأسيسها من الأعماق ، فنضجت ثمارها فى دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة ..

انها من وحى « **الله** » الواحد .. الى « الانسان » فى وحدة كيانه البدنى والوجدانى والفكرى .. « ولو كان من عند غير **الله** ... لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

حديث

مع سفير الملايو بالقاهرة

محمد غزالى بن جادى

تستمتع الملايو بمركز استراتيجى هام ، يجعل لها قيمة بين شعوب آسيا المتحررة ، ويجعل السياسة التى تتبعها ذات أثر كبير فى المجال العالمى اذ يتوقف عليها فرص كثيرة لانقاذ السلام .

وتاريخ الملايو الحديث يعتبر فى حقيقته مراحل متشابكة من الكفاح من اجل الاستقلال والحرية . فقد بدأ الاستعمار يتطلع الى الملايو منذ بداية القرن السادس عشر . احتلتها البرتغال سنة ١٥١١ ثم هولندا سنة ١٦٤٠ وبريطانيا فى القرن التاسع عشر وفى ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ أعلن استقلال اتحاد الملايو بعد ثلاث قرون من الكفاح المتواصل ضد الاستعمار ..

والسكان فى الملايو حوالى ٦ مليون نسمة .. والديانة الغالبة هى الاسلام .. وفى هذا الشهر التقت مجلة « منبر الاسلام » بسيادة سفير الملايو بالقاهرة ودار الحديث حول مسلمى الملايو .. ثقافتهم .. مشاكلهم .. آمالهم .. وكان سيادة السفير شديد الاهتمام بكل مايخص مسلمى الملايو شديد التحمس لكل ما من شأنه أن ينهض بمسلمى الملايو اجتماعيا وثقافيا ..

مسلمو الملايو :

وسألنا سيادة السفير عن نسبة المسلمين فى الملايو .. فقال :

يبلغ تعداد السكان فى الملايو بوجه عام حوالى ٦ر٨١٥ر٠٠٠ نسمة .. موزعا كالآتى :

٣ر٤٠٦ر٠٠٠ سكان الملايو الاصليين .

٢ر٥٢٠ر٠٠٠ سكان صينيين .

٧٦٧ر٠٠٠ سكان من الهند وباكستان .

١٢٢ر٠٠٠ من أجناس اخرى .

هذا بينما نسبة المسلمين تبلغ ٦٠ ٪ من مجموع سكان الملايو .. وجميع أهل الملايو مسلمون .

التعليم :

ما هو نظام التعليم فى الملايو ؟.. وهل توجد معاهد دينية ؟

فى الملايو التعليم الابتدائى اجبارى ثم يليه التعليم الثانوى ثم الجامعة ، وهى اما فى الملايو أو انجلترا أو أستراليا أو الهند أو القاهرة ..

وتوجد مدارس قومية .. ومدارس شبه قومية ولا بد من دراسة اللغتين .. لغة الملايو والانجليزية ، والى جانب هاتين اللغتين تدرس لغات أخرى مثل الصينية والهندية اما التعليم الدينى فهو واجب أو هو « فرض عينى » تقوم به الحكومة منذ المرحلة الابتدائية والثانوية عندما يكون عمر الطفل ٦ سنوات .

وهذا بالنسبة لأهل الملايو الأصليين وكلهم مسلمون وفى كل يوم يكتسبون عددا جديدا من المسلمين الذين يعتنقون الدين الاسلامى ..

وتوجد مدارس دينية حكومية وأخرى أهلية ابتدائية وثانوية وينص دستور البلاد على أن الاسلام هو الدين الرسمى للدولة .. ويبلغ عدد المدارس الدينية أكثر من ٤٠٠ مدرسة .. وبعد أن يجتاز الطالب الامتحان الثانوى يلتحق بكلية الاسلام العليا وقد اعترف بها الأزهر . كما اعترف بعدة مدارس أخرى . .. وبعد الكلية يأتى الطالب المتخرج الى القاهرة للتخصص فى الازهر ثم يعود بعد ذلك الى الملايو ليعمل مدرسا فى المدارس الدينية أو الكلية ..

الجمعيات الاسلامية :

وهل توجد الى جانب هذه المعاهد .. جمعيات اسلامية ؟

ـ تتكون الملايو من ١١ مقاطعة لكل منها حاكم يسمى السلطان يقوم بتعيين مجلس الاسلام لتشريع القوانين بالنسبة للمسلمين فقط ..

ولكل مقاطعة مفت وقاض للحكم فى قضايا المسلمين فقط .

والقاضى يقوم بعقد الزواج .. وأى فرد يرتكب خطأ دينيا لايقدم للمحاكم العامة ، ولكن يقدم للمجلس الدينى المتخصص .. كما يقوم المجلس بجمع الزكاة من المسلمين جميعا ، وتقسيمها على الفئات الثمانية طبقا لما نص عليه القرآن الكريم .. وهذا المجلس يقوم مقام الجمعيات الاسلامية عندنا ، وهناك بعض الجمعيات التى تعلم الفتيات الشواذ .. وجمعيات لجمع الاطفال الفقراء من الشوارع وتعليمهم حتى يخرجوا للمجتمع بعد ذلك مسلحين بسلاح جديد من العلم والمعرفة .. وهناك جميعيات للصم والبكم والأكفة .. لتعليمهم بعض الحرف التى تتلاءم مع عجزهم .. والتى تكسبهم موردا للرزق ..

وجمعيات لتعليم ربات البيوت واعداد المرأة للمجتمع اعدادا صالحا ..

ـ شرعت الحكومة فى الملايو قانونا بمحاكمة المسلم الذى يمتنع عن الزكاة فالى أى مدى استفاد المسلمون هناك من هذا التشريع ؟

فقال سيادة السفير :

ـ كان لا بد من وجود هذا القانون لحماية أموال الزكاة من أيدى العابثين حتى لايستغلوها لمصلحتهم الخاصة .. فالحكومة تجمع الزكاة وتوزعها فى أوجهها السليمة . مثل مساعدة الجمعيات والمدارس الدينية وتوزع على الفقراء المسلمين بالعدل .. حتى أصبح عدد الفقراء قليلا جدا بفضل هذا القانون .. وتمتع كل فرد بحقه .

ـ وهل هناك تشريعات أخرى ؟

ـ هناك تشريع بالنسبة لحالات الزواج.. فاذا ترك الزوج زوجته مدة ثلاثة شهور فهو يوقع عند عقد الزواج بأن لها الحق فى الطلاق اذا تركها هذه المدة..ولا يمكن رجوعها اليهالا بعد موافقتها .. و فىهذا حرص على كرامة المرأة وآدميتها وانسانيتها ..

هذا كما انه يقامفى شهر رمضان من كلعام مسابقة دينية يحضرها الشيخ الحصرى كأحد المحكمين فيها ويحضر اليها من يجيدون حفظ القرآن الكريم من جميع الأجناس من الملايو وأندونيسيا وتايلاند وباكستان .. وتمنح الجوائز لمن يستطيعون قراءة القرآن الكريم .

العلاقات الثقافية بين الملايو والقاهرة :

ثم تحدث سيادة السفير عن العلاقات الثقافية بين الملايو والقاهرة فقال :

يوجد فى القاهرة ٢٠٠ طالب من الملايو يدرسون فى جامعة القاهرة والازهر منهم ١٠ طالبات .. وقد التقى سيادة السفير أخيرا بالسيد وزير الاوقاف ودارت المباحثات بينهما حول شئون مسلمى الملايو .. وايفاد البعثات الاسلامية من الاساتذة خريجى الأزهر للتدريس بمعاهد الملايو .. ولنشر الثقافة الاسلامية هناك وايفاد طلبة من الملايو للدراسة فى جامعات القاهرة .

هذا كما تقرر انشاء دار للضيافة تقيمها الملايو فى القاهرة بجوار مدينة البعوث الاسلامية وهذا مما يدل على مدى ثقتنا بحكومة الجمهورية العربية المتحدة وبالأزهر كمركز تعليم اسلامى كبير ..

وبعد : فالمجلة تشكر سيادة سفير الملايو على هذا الحديث القيم الذى أوضح لنا فيه كيف يعيش مسلمو الملايو وما هى أحوالهم الاجتماعية والثقافية وما هى العلاقات التى تربط بيننا وبينهم .. متمنين من الله عز وجل أن يعزز ويقوى الروابط بين مسلمى الملايو وشعب الجمهورية العربية المتحدة .. وبين مسلمى العالم الاسلامى جميعا .

فى الأخلاق

العادة

لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد

يسير الشاب الى بيت القمار ، أو الى عمل آخر من أعمال الرذيلة بخطوة مضطربة، ينتابه الحياء مرة والخوف مرة أخرى ، وقد لا يجرؤ بعضهم على أن ينفرد فى هذا الطريق المخجل المخيف ، فلا يأنس الا برفيق أفضل منه فى السبق الى الرذيلة ، فاذا اقتحم تلك المرة الأولى ، وخلا الى نفسه ، استلمه وخز السريرة ينغص عليه ما طاب له من اللذة، ويقتص منه على ما أتاه ضد ما يعتقده من الفضيلة المعروفة · فاذا تهيأت له صدفة أخرى ، فأتى ما أتاه فى المرة الأولى ، خفت فى قلبه صوت الضمير، وتقوت اعتذاراته الباردة لنفسه عما فرط منه ، وكثر تمثله بالذين وقعوا من قبله فى الخطأ من العلماء والكتاب والأمراء والوزراء · ثم الضمير له (الرذيلة عادة) بعد ذلك ، يأتيها من غير فكرة ، والانسان أسير عادته .

كذلك يخطو الشاب فى طريق الفضيلة مدفوعا بعامل الشوق الطبيعى الى الكمال ، فتكون خطوته الأولى صعبة عليه فاذا تكلف الصبر عليها ، خطا الثانية .. ثم تصير الفضيلة عادة ، والانسان أسير عادته .. اذ كان هناك شك فى أن الانسان خير بالطبع أو شرير بالطبع ، فلا شك فى أن مقومات الانسان فى الحياة هى ما حصل عليه من آبائه بحكم الوراثة من الأخلاق ، وما كسبه من الوسط الذى تربى فيه من العادات . **وقد علمنا أن العادة طبيعة ثانية ، وأن أعمالنا فى هذا الوجود ، هى نتائج أخلاقنا حسنة أو قبيحة ، ومظهر عاداتنا صالحة أو سيئة .**

متى صح ذلك ، والامثلة على صحته فى هذا الوجود ، حسية مستفيضة ، وجب أن يكون الغرض الأول من التربية والتعليم ، هو اصلاح الأخلاق وتقويم العادات .

ليس من الصعب على أحد أن يفرق بين الخير والشر ، ولا بين القبيح والحسن ، أو بين الفضيلة والرذيلة · فانا قد ورثنا من الأجيال الطويلة التى قد خلت من قبلنا من العقائد الدينية والتعاليم الانسانية والعادات

العامة ، ما قد جعلنا جميعا نفرق بين الخير والشر ، سواء فينا الذكى والغبى ، والعالم والأمى ، خصوصا فيما يتعلق بأمهات الفضائل وأمهات الرذائل . ولكن الصعب علينا هو أن نروض أنفسنا على مباشرة الخير ومباعدة الشر ، أى الاخذ بالاسباب التى تقرب أفراد الانسان بعضها من بعض ، والبعد عن الأسباب التى تفرقهم . ولئن أعوز شباننا أن يعودهم أمهاتهم وآباؤهم ، وأساتذتهم فى المدرسة ، الأخذ بأسباب الخير أى بالفضيلة ، وترك أسباب الشر ، أى الرذيلة ، فان لهم من أنفسهم خير مهذب .

ان أحدنا يستطيع أن يتعلم السباحة من غير معلم ، ويتعلم ركوب الخيل من غير معلم ، ويجيد الرمى بالسلاح من غير معلم ، بل يمكنه أن يتعلم العلم أيضا من غير معلم . كل ذلك يمكن حقيقة بالتمرن والاعتياد ، وان لنا فى أعمال الناس وظواهر الطبيعة نماذج نتعلم عليها ، فهل يصعب بعد ذلك أن يمرن الانسان نفسه ويعودها ما يعرف أنه الخير أو الفضيلة ؟ . نحن لا نحتاج فى تقوية أبداننا الى معلم يعلمنا كيف نتغذى غذاء مقويا ، ونأتى التمرينات العضلية التى تجعل الانسان من شدة البدن على ما نراه فى الفلاحين ، الذين لم يقف أحدهم مرة فى ملعب **الجمناستيك** ، فكيف لا يمكنه أن يقوى نفسه ، اذا أمكنه أن يقوى جزاه المادى فيجعله صحيحا سليما أيضا .

لشباننا المتعلمين عادة حسنة ، هى أن الواحد منهم يتخذ فى غرفة نومه « ساندوز » أو أثقالا من الحديد ، يمرن عضلاته بها كلما هب من نومه ، ذلك فوق ما يعنون به من ركوب الخيل ، ودورة الجزيرة على القدم .

فليس ببعيد على هؤلاء أن يتخذ أحدهم فى فى غرفة نومه أيضا آلات معنوية يمرن بها نفسه على الصحة والسلامة .

تلك الآلات هى أبسط كثيرا من الساندوز المركب . هى الخلوة بالنفس ومحاسبتها كل ليلة على أعمالها .

لست أشك فى أن محاسبة النفس على ما صدر منها من الأعمال ، وما جال فيها من الخواطر ، وما عقدت عليه النية من الأمور ، هى أمر صعب فى أول يوم يجد النفس دائما لذاتها عذرا تعتذر به عن أعمالها الضارة وأفكارها الشريرة ومقاصدها السيئة ، ولكنها بالزمان تبطل أعذارها وتصفو . ومتى صفت النفس بالمحاسبة ، رأيت فيها دفعة واحدة كل أعمالها الماضية وأفكارها كما تنظر فى المرآة واستحيت من تكرار الاعتذار عن الخطأ . بعد ذلك تحصل النفس على السلامة وتقدير أعمالها بميزان العدل ويصير لها عادة لا تحب النزول عنها ، فالانسان أسير عادته .

سذاجة المنكرين

الأستاذ الكبير
عباس محمود العقاد

يحب الماديون ، والمنكرون الملحدون على العموم ، أن يصفوا أنفسهم بأنهم بأناس بعيدون عن السذاجة ، معصومون من آفة التصديق السريع وقبول الآراء والعقائد بغير برهان ، وأنهم ـ بهذه الصفة ـ على نقيض المؤمنين أو المستعدين للايمان الذين يصدقون ما يلقى عليهم من عقائد الدين ، ويفتحون عقولهم سهلة طيعة لما يسمونه بالخرافات أو الغرائب التى لا تقبل التصديق .

فاذا كان الانكار بغير برهان قاطع شبيها بالتصديق بغير هذا البرهان ، فالثابت من التجارب الطويلة فى تواريخ الأديان وتواريخ الشكوك الفكرية أن السذاجة عند جماعة المنكرين والملحدين أشد وأظهر من السذاجة عند المؤمنين والمستعدين للايمان ، لأنهم يسرعون الى الانكار لغير سبب، أولسبب واهن لا يكفى لتكوين الرأى ، ولا يبلغ من القوة والاقناع مبلغ رأى واحد من جملة الآراء التى تدعو الى الايمان والتصديق بالدين ، ولا ريب أن انكار الغيب المجهول قضية تحتاج الى مئات البراهين والشواهد حيث لا يحتاج الايمان بما وراء الظواهر الى أكثر من براهين الواقع المشاهد بالتجربة اليومية ، وذلك أن الظواهر تخفى وراءها من أسرار الوجود ما هو أعمق وأبعد أمدا من كل ظاهرة تتكشف للعقول ، ولا تزال قابلة للمزيد من التكشف كلما تقدم الانسان فى وسائل الاظهار والتدقيق .

وآخر الكشوف العلمية أو الصناعية هو بذاته آخر الأدلة على سذاجة المنكرين وجمهرة الماديين الملحدين .

فقد خيل اليهم أن العقائد الدينية مهددة فى هذا العصر بما يكشفه العلماء من وسائل ارتياد الفضاء ، ووسائل تحضير المادة الحية فى معامل الكيمياء .

ولو تمهلوا قليلا لعلموا يقينا أن كشوف العلم العصرية أدعى الى تثبيت تلك العقائد من كل كشف علمى عرفه الناس قبل العصر الحديث .

فماذا فى الرحلة الى أقصى آفاق الفضاء من دواعى التشكيك فى أمر السماء ؟

ان المؤمنين بالدين من أبناء العصور الماضية لم يعتقدوا قط فى أمر السماء عقيدة تمنع القول بارتياد الفضاء الى أبعد غاياته ، بل منهم من يقدر المسافة بين سماء وسماء بألوف الألوف من السنين كما جاء فى بعض الأخبار التى يدين بها أشد الناس تصديقا للأوصاف المحسوسة عن عالم الغيب ، وأكثرهم يؤمنون بأن عوالم الغيب تقاس بمقاييس الروح

المعنوية ، ولا تحيط بها هذه المقاييس التى تدخل فى حساب الرحلات الى الفضاء ٠

ولقد فتحت كشوف الفلك الأخيرة أبوابا لتصور الآفاق السماوية لم تكن مفتوحة أمام الحس ولا أمام العلم قبل هذا القرن العشرين ، **وأقرب هذه الأبواب الى ادراكنا باب المجرة الأولى تعلوها مجرة ثانية وثالثة ، ولا مانع من رابعة وخامسة ، أو سادسة وسابعة ، الى مدى الملايين وملايين من السماوات الضوئية ، وهى فى امتدادها وابتعادها واستحالة عبورها وارتيادها شىء يفوق ادراك العقول ٠٠ فماذا فى كل هذا ، أو فى بعض هذا ، مما يهدد عقائد المتدينين ؟ بل ماذا فيه مما يجيز الشك فى عوالم الغيب وفى أسرار السماوات؟ بل ماذا فيه مما يفتح له المتدين عقله وبصيرته فلا يزيده امعانا فى الايمان واستعدادا للعجب من روعة المجهول ؟**

أما الكشف عن مادة الحياة فى معامل الكيمياء فامره أعجب وأدل على السذاجة فى تفكير جماعة الماديين وجمهرة الملحدين ٠

فان هذه الكشوف قد أثبتت من عالم الروح بمقدار ما نقضت من عالم المادة ، فانها تحدثنا عن جزء من مائة مليون جزء من السنتيمتر ، كما تحدثنا عن جزء من ألف جزء من الثانية ، فهل هناك فرق فى الادراك العقلى بين تصور القوة الروحية وتصور الفضاء أو الزمن حين ينتهيان الى هذه المقادير ؟

ان المليمتر جزء واحد بين عشرة أجزاء فى السنتيمتر ، ونحن نراه غاية فى الدقة والصغر فكيف نتصور جزءا من عشرة أجزاء فى هذا المليمتر الدقيق الصغير ؟ وكيف نتصور بعد ذلك جزءا من مائة ؟ أو جزءا من ألف ٠٠ أو جزءا من مليون ٠٠ أو جزءا من مائة مليون ؟

هنا لابد أن تعتقد أن العالم المادى يتسرب أمامنا الى عالم الروح ، وأن القوى التى تكمن فيها الحياة هى شىء قد بلغ من الخفاء غاية ما يبلغه خفاء أمر الروح ، وأننا أمام ادراك للعقل والبصيرة لا تجدى فيه تقديرات المادة والامتداد ، وهما أساس كل ادراك يلغط به جماعة « الماديين » والمنكرين ٠

فى سنة ١٨٢٨ تمكن الكيمى الألمانى وهلر Wohler من تحضير مادة « البولينا » vrea بمعمل الكيمياء ، وهى مادة توجد فى بول الانسان والحيوانات العليا ٠

وكانت زهوة الغرور بالعلم التجريبى يومئذ فى ابانها على ديدن « النعمة الحديثة » فى كل مغنم جديد ، فتعالت الصيحة من جوانب الماديين بين أرجاء الأرض وراحوا يتباشرون باقتراب اليوم الذى تخرج فيه المخلوقات الحية من المعامل الكيمية ، ولو كانت أصغر الأحياء ٠

وهنا ظهرت السذاجة الأولى من هؤلاء « الخرافيين » أعداء الخرافة ٠٠

فقد خلطوا « أولا » بين المادة الحية والمادة التى توجد فى جسوم الأحياء ٠ فالماء والكربون وصنوف من الغازات توجد فى الجسم الحى ولا يقال عنها انها مادة حية ، وقد كان صنع الماء والكربون وصنوف تلك الغازات ميسورا للكيميين قبل صنع البولينا ولم يقل أحد أن العلم بتركيبها الكيمى هوعلم بتركيب مادة الأحياء مستقلة أو ممتزجة بالجسوم ٠

وقد خلطوا ثانيا بين تركيب جزء من الجسم الحى وتركيب الحياة فى سائر أجزائه ٠٠ فان المهم فى الأمر كله هو التفاعل بين تلك الأجزاء حالة اجتماعها وتبادل العمل بينها فى بنية واحدة ، وليس المهم تركيب جزء واحد منها على حدة ، ولو كانت فيه مادة الحياة ٠

ولقد مضى على صنع « البولينا » فى سنة ١٨٢٨ أكثر من مائة وثلاثين سنة ولم يتقدم معمل الكيمياء قيد شعرة فى هذا الطريق ٠

وحدث فى هذه السنة الأخيرة أن طائفة من العلماء الكيميين تمكنوا من معرفة حامض نووى يعرف باسم حامض « الدال نون ألف » DNA يوجد فى الخلية الحية يرتبط بالخصائص الوراثية التى تنقطع اذا لم تتوافر فيها هذه المادة بالمقدار المطلوب ٠

فعادت الصيحة « المادية » من جديد ، وتناقلت الصحف أخبارهذا الكشف بما شاءت

من العناوين الطنانة ، ومنها « أن الحياة تخلق فى مصانع الكيمياء » .

ولكن علماء اليوم كانوا أعلم بعلمهم من أسلافهم قبل مائة وثلاثين سنة، وكان أحدهم « جرهارد شرام » Gerhard Schramm من أشهر علماء الألمان المشتغلين بهذه المباحث فى البلاد الألمانية ... فراعه هذا التهويل الذى ينم على الجهل والسذاجة ، وبادر الى تصحيح هذا الوهم فى بعض الأحاديث الصحفية ، لأن المادة المكشوفة ليست « بالمادة الحية » ولكنها من التراكيب التى تدخل فى بنية الأحياء ، وليس المعول على المادة نفسها وانما المعول على أشكالها وتقسيماتها داخل الخلية ، بل داخل الناسلة Gene التى هى جزء من الصبغية Chromosom التى هى جزء من الخلية التى لاترى بالعين ولا بالمجاهر العادية

وحسبنا أن نذكر أن مقدار هذه المادة فى أقسام الخلية تقاس بوحدة الانجستروم وهى جزء من مائة مليون جزء من السنتيمتر ، ولا يمكن أن ترى بالمجهر العادى ولا بالمجهر الألكترونى ، ولكنها تقدر بالحساب بعد استعمال الأصباغ لتلوين أجزاء الملايين منها ثم تكبيرها مرة بعد مرة بعد مرة ألوف المرات، الى أن ترى بالحجم الذى تدركه العين .

ومع هذه الدقة التى تفوق تصور العقل للأبعاد المادية تفقد هذه المادة كل صفة حيوية لها مالم تكن لها أشكالها وتقسيماتها وفجواتها التى تكمن فيها خصائصها الحيوية ، ولا يكفى هذا لتزويدها بتلك الخصائص كلها بل ينبغى أن توجد الصبغيات بعدد مقدور فى كل نوع من أنواع الأحياء وأن تكون قابلة للانقسام بين خلايا الذكر وخلايا الأنثى بالتركيب الذى يسمح بالتعاون بينها بعد الانقسام والتركيب ، ثم اعادة الانقسام والتركيب فى الرحم ، ملايين المرات .

فالمادة العامة التى تتألف منها الخلايا التناسلية متشابهة فى جميع الحيوانات ، ولكن الفرق بين أشكال الأجزاء فى الخلية وبين تقسيمات تلك الأجزاء وفجواتها هو الذى تتولد منه فروق تنشىء من هذه الناسلة قطا أو زرافة أو تنشىء منها انسانا على أربع مثال لبنى آدم وحواء .

وللعدد شأنه الأكبر فى تنويع الأحياء ، فلابد من عدد من الصبغيات لا يتغير فى كل نوع ، لأن كل صبغية تكمل غيرها عند تركيب الأعضاء ، وقد تبدو الصبغية شبيهة بأخواتها فى كل شىء ولكنها بعد الانقسام والتركيب تبدو كأنها مخصصة لعمل واحد يتوقف على بعضه خلق الجلد أو خلق الشعر أو خلق الأعصاب أو خلق الدماغ .

والصبغيات فى النوع الواحد متشابهة غاية التشابه الذى ندركه بالعيان أو بالحساب والتقدير ، ولكنها مع ذلك مزدحمة بالفوارق التى لا تحصى والتى يترتب عليها أن يلد هذا الانسان ولدا أبيض اللون ، أصفر الشعر ، طويل القامة ، قوى البنية ، موفور الذكاء ، قويم الأخلاق ، وأن يلد انسان غيره ولدا على خلاف تلك الصفات .

فأين هو المعمل الكيمى الذى يودع فى جزء من مائة مليون جزء من السنتيمتر خصائص تنتقل فيها بعد الانقسام مليون مرة هذه الأعضاء والوظائف الجسدية والنفسية على اختلافها بين الملايين من أبناء النوع الواحد ، وبين ملايين الملايين من أفراد جميع الأحياء ؟

لا سذاجة فى عقل المؤمن الذى يعتقد أن الحياة قوة روحية تعلو على مقاييس المادة ، ولكن السذاجة كلها فى عقل المادى «الحصيف» الذى يصدق أن المعمل الكيمى يودع تلك الفوارق كلها فى امتداد من المادة يعجز العقل عن اداركه ، مهما يبلغ من قدرته على حسبانه بالأرقام والمعادلات .

والمسألة ـ بعد ـ ليست مسألة سذاجة دينية أو حصافة مادية، ولكنها مسألة استعداد للايمان بمجهول أثبت من المعلوم ، وتزداد الحاجة الى الايمان بذلك المجهول المغيب عن العقول كلما اتسع نطاق العلم وتعلم العلماء كيف يتأدبون بأدب العلم الصحيح .

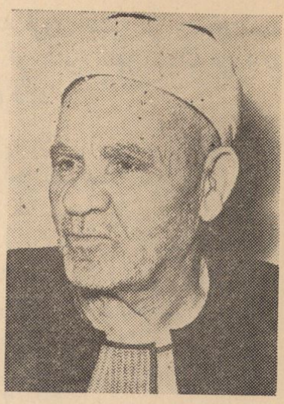

حاجة المجتمع إلى الدين

العلم

لفضيلة الشيخ محمد احمد فرج السنهوري

اذا كان ((الايمان)) هو عماد ((الدين)) وقطب راحه وحجر الأساس فى المنهج الاسلامى ، فان مما جىء فى أعقابه وله المكانة العظمى فى هذا المنهج ((محاربة الجهل)) فى جميع البيئات ونشر العام بين جميع الطبقات والنهوض بالتعليم والتعلم نهضة شاملة لا هوادة فيها .

فالعلم هو معراج الرقى والحضارة الانسانية وهو السبيل الوحيد للسعادة فى الدنيا والآخرة .

وماكرم الله عز وجل الآدمى وفضله على كثير ممن خلق بضخامة بدنه وعظم جسمه . فكم من حيوان أعجم هو أعظم منه جسدا وأضخم منه جثة .

وما فضل ولا كرم بما آتاه من القوة . فكم من دابة هى أشد منه قوة وأعظم منه .

ومافضله ولا كرمه بما لديه من شجاعة واقدام . فسباع الحيوان وكواسر الطيور أعظم منه شجاعة وأكثر اقداما .

وما فضله ولا كرمه وما سخر له ما حوله من المخلوقات وما يحيط به من الكائنات الا بما حمله من أمانة العقل والنطق والفهم والادراك .

وما يسر له من وسائل العلم والمعرفة فأخرج الناس من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لتكون أدوات علم ومعرفة وأراهم آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، ونصب لهم فيما حولهم أعظم الدلائل ليزداد علما ، وشرع لهم شرائع الأحكام وأرسل اليهم الرسل مبشرين ومنذرين وهداة معلمين ليتم لهم نور العلم والمعرفة وليرقوا الى درجات الكمال وليظفروا

بأعظم قسط مستطاع من الحضارة ، فمن أعرض عن سبيل ربه ونأى بجانبه بقى مغمورا فى ظلمات الجهل يخبط خبط عشواء، أن أصاب مرة أخطأ المرات ، وماتكون اصابته الا بمحض الصدفة فهو يجهل ولا يعلم ولا يهتدى لنفع ولا لضر ولا يحسن أن يفكر ولا أن يقدر ، وان هو الا كالأنعام بل أضل سبيلا وهو من شر الدواب كما قال العزيز الحكيم : « **ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون** » .

والويل كل الويل لمجتمع يسوده « الجهل » فهو فى طوفان من الفوضى والاضطراب ولا تصان فيه حقوق ولا تعرف واجبات وكل روابطه وسائر أموره فى انحلال وهو فريسة الاعداء والطامعين ولا مصير له الا الاستعباد والفناء .

أما من اهتدى بهدى بارئه وسلك سبيله السوى فان نفسه تشرق بنور العلم والمعرفة : تصفو روحه أتم الصفاء وتقرب على الدوام من ملئها الأعلى فيعرف « نفسه » و « ربه » حق « المعرفة » ، ويشرح بالايمان صدره ويلتزم مكارم الأخلاق وحدود الله ويعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات وبه وبأمثاله رقى المجتمعات ، ولما ذكرت من المعانى وما ألم به كانت عناية المنهج الاسلامى بالعلم والتعليم أعظم عناية .

وقد أعظم **الكتاب الكريم** شأن « **العلم** » « **وأهله** » وامتن به على عباده كما فرض « **التبليغ والتعليم** » **ولعن من يكتمون العلم .**

أما السنة النبوية الصحيحة فزاخرة بهذا وبغيره وقد كان أول ما بدىء عليه الصلاة والسلام من الوحى ونزل من القرآن قوله تعالى : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

ثم تتابع نزول الكتاب الكريم وفيه الكثير من الآيات التى تمتن بالعلم وتعظم من شأنه وشأن الله له فيقول جل شأنه : « **خلق الانسان علمه البيان** » ويقول تعالى :

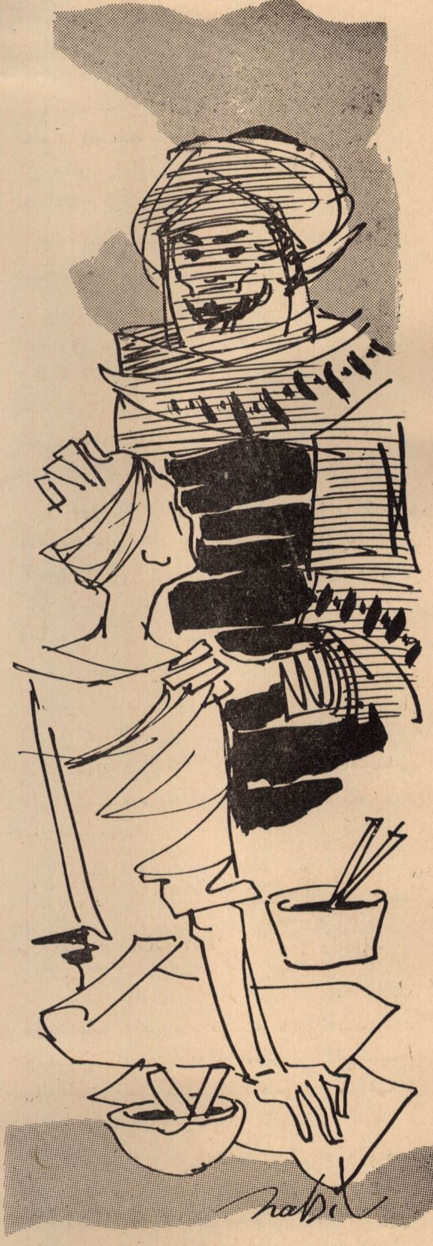

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلهاالا العالمون » ، « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « العلماء ورثة الأنبياء » .

ويقول عليه السلام : « للأنبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة » .

ويقول سبحانه فى شأن التبليغ والتعليم : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » .

ويقول جل شأنه : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ، « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة » .

وقال عليه الصلاة والسلام بعد ما علم من الأحكام : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ألا هل بلغت : اللهم فاشهد .. »

وقال : « نصر الله امرءا سمع منا حديثا فاداه عنا كما سمعه » .

وقال : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

وقال : « من سئل علما يعلمه فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار » .

وفضل عليه الصلاة والسلام الجلوس مع المعلمين والمتعلمين على الجلوس الى جماعة المتعبدين الداعين .

وقال : وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل » .

وقال عليه الصلاة والسلام فى شأن المتعلم: وما من رجل يسلك طريقا يلتمس فيها علما ، الا سهل الله له طريقا الى الجنة ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وكان من فداء أسارى « بدر » أن يعلم الأسير القارىء عشرة من المسلمين .

وكان عليه الصلاة والسلام العالم الأول يعلم فى المسجد ، وفى البيت ، وفى الطريق وفى كل مكان ويعلم الرجال والنساء ، وجعل لجماعتهن يوما يأتى فيه لتعليمهن .

ولم يكن التعليم قاصرا على طبقة دون طبقة ، فهو تعليم شعبى ، الكل فيه سواء .

ولقد سرت هذه الروح فى أصحاب رسول الله وفى سائر المسلمين فملأوا الآفاق علما وكانوا القادة المعلمين المرتقين بالانسانية من حضيض الجهل الى أرقى درجات العلم فى شتى العلوم والفنون والآداب فكانوا بحق أساتذة الانسانية والعلم والمعرفة .

والمنهج الاسلامى منهج دينى يعنى عن أن الاسلام دين جاء بما يحقق مصالح العباد فى الدنيا والآخرة ودعا الى أن يعمل المرء لدنياه كأنه يعيش أبدا وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا .

فما يدعو اليه هذا المنهج من العلوم والتعليم شامل للعلوم الشرعية وغير الشرعية ففرض على كل امرىء أن يتعلم من العلوم الشرعية ما تصح به عبادته ، ومعاملاته مع الناس ومن غير الشرعية مايحتاج اليه فى تدبير رزقه وقوام حياته .

أما تعلم ما زاد على ذلك فانه من فروض الكفايات التى اذا قام بها البعض سقط الواجب عن الباقين واذا قصرت الجماعة فيها اثموا جميعا . ففرض على كل جماعة أن يكون من بينهم عالمون بالعلوم غير الشرعية كالطب والحساب واصول الصناعات كالفلاحة والنسخ والخياطة وغير ذلك من العلوم والفنون والصناعات التى يؤدى ضياعها الى تأخر المجتمع ووقوعه فى الحرج .

والأصل فى كل هذا الدال عليه بنصه ومنطوقه او بروحه ومعناه قوله تعالى : **« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .**

الجاهلية والإسلام

-٤-

تمام البحث

حمية الجاهلية

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

« اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها، وكان الله بكل شىء عليما » .

الحمية : الأنفة والكبرياء ، وهى تعبير عن القوة الغضبية اذا ثارت وكثرت ، كأن الجسم قد أصابته منها الحمى والحرارة ، ويقال : حميت على فلان ، أى غضبت عليه غضبا شديدا .

وقد ذكر الله تعالى هذا التعبير فى كتابه العزيز وهو بصدد قصة « الحديبية » المشهورة فى تاريخ الاسلام ، والتى تضمنت ألوانا من العبر والأحداث ، هى جديرة كل الجدارة بأن تدرس ويفقه فقهها الدينى ، والسياسى ، والاجتماعى ، والنفسى .

ولقد تكفلت سورة « **الفتح** » ببيان أهم هذه النواحى ، وتكفلت « **السيرة النبوية** » بتفصيل أحداثها على وجه يهيىء لكل «باحث»

عناصر بحثه ، ومادة دراسته ، وليس هناك الا أن تنشط الهمم ، وتشحذ العزائم .

وموضوعنا هذا عن « **حمية الجاهلية** » انما هو جانب من تلك الجوانب التى تضمنتها السورة ، وعنصر من العناصر التى يجب أن تراعى فى **تحليل القصة** :

ومن المعروف أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرج من المدينة يوم الاثنين مستهل ذى القعدة سنة ست من الهجرة ، يريد العمرة ، وكان يتوقع أن تتعرض له قريش بحرب ، أو تصده عن المسجد الحرام، فدعا الناس الى الخروج معه للغرض الذى خرج له ، فلباه عدد كبير من المهاجرين والأنصار وغيرهم بلغوا ألفا وأربعمائة تقريبا، وفيهم مائتا فارس ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، ولم يخرج بسلاح الا سلاح المسافر – السيوف فى القرب – .

فلما كان بذى الحليفة ، وهى أقرب نقطة يمر بها المسافر من المدينة ، أحرم هو وأصحابه منها ، ليعلم الناس أنه انما خرج زائرا « للبيت الحرام » ، ومعظما له ، لا قاصدا « الحرب » ، وساروا فى طريقهم ، وبلغ ذلك قريشا ، فخرج جمعهم صادين لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه عن المسجد الحرام ودخول مكة ، وقرروا أن يقاتلوه لو قاتلهم وأراد دخول مكة، عنوة ، وعلم بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقرر أن يسلك طريقا يبتعد به عن جمعهم الزاحف اليه ، فلما وصل الى « الحديبية » بركت ناقته ، فقال الناس : **خلأت ، خلأت ..**

فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – « ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة » .

وقد حسب الناس أن ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد حرنت وبركت بالأرض تمردا على السير ، فعرفهم بأن هذا ليس من خلقها ، فهى ناقة أصيلة معلمة ، لكنها انما بركت فى هذا المكان « **بالهام** » من الله تعالى ، لأمر يريده جل جلاله ، وهذا معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – « **ولكن حبسها – أى منعها من مواصلة السير – حابس الفيل عن مكة » (يشير الى « حادثة الفيل » الذى قدم مع جيش « أبرهة » فى العام الذى ولد فيه الرسول يريد غزو مكة ، وتهديم الكعبة ، وكان من لطف الله يومئذ أن الفيل كان يأبى السير حين يوجه الى طريق البيت الحرام ، ويسير اذا وجه الى الطريق العكسى ، وروى انهم كانوا يضربونه ويعنفون عليه فى السوق فلا يطيع ، وكان ذلك من ارهاصات بعثة الرسول – صلى الله عليه وسلم – .**

وهنا يحتفظ التاريخ بأجمل صفحة سجلها عن أعظم المحاولات الشريفة للمحافظة على السلام ، وكراهية سفك الدماء البشرية بلا مبرر ، والتلطف مع الأعداء وتمكينهم من دراسة الأمر فى هدوء وعن كثب ، ليعرفوا الحقيقة وينكشف عنهم الزيف الذى موه به عليهم فى شأنها .

كان للرسول – صلى الله عليه وسلم – موقف رائع ، تتجلى فيه الرحمة ، والحكمة ، والثبات ، والصبر ، والدفاع عن الرأى حين يجابه بالمعارضة القوية من الأنصار والأصحاب وكان للمسلمين موقف ، وكان للمشركين موقف :

فأما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد قرر ألا يسلك مسلك العنف .

فقال منذ أول لحظة وطئت فيها قدماه أرض الحديبية : « والذى نفس محمد بيده : لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم ، الا أعطيتهم اياها » .

وهذا يفصح عن رحمته ، وحسن نيته ، وكريم مراعاته للرحم ، أى للعلاقة القومية بينه وبين هؤلاء الذين أخرجوه وحاربوه وصدوه ، فلم ينس مع ذلك كله علاقته الرحمية بهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا ويح قريش ، نهكتهم الحرب ، فماذا عليهم لو خلوا بينى وبين العرب ، فان هم أصابونى ، كان

الذى أرادوه ، وان أظهرنى الله عليهم ، دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان أبوا قاتلونى وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله الذى لا اله الا هو لا أزال أجاهد على الذى بعثنى به ربى حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ـ وهى صفحة العنق ، يكنى بذلك عن قتله » .

وفى هذه الكلمات النبوية العالية يبدو انصاف الرسول واشفاقه ونصحه حتى لمخاصميه ومعارضى دعوته ، فهو يعجب لاصرارهم على حربه وقد نهكتهم هذه الحرب وكلفتهم الأموال الطائلة والدماء الغالية ، وعوقتهم عن كثير من وجوه أعمالهم ونشاطهم التجارى الذى كانوا يعرفون به ، ثم يذكر أنه كانت لهم مندوحة عند هذه الحرب ، وكانوا فى سعة من أمرهم ، لو انهم خلوا بينه وبين العرب ،يبثهم دعوته ، ويلقى اليهم برسالته ، فاما أن يغلبوه ويصيبوه ، ويومئذ تستريح قريش منه ، وتسحب ذيل النسيان على أمره ، واما أن يؤمنوا به ، فلن يفوت قريش ما تريد، حيث تستطيع أن تناجزه العداء والحرب فيما بعد ، وهى حينئذ قوية بما استراحت من الحرب ، واستردت من جأشها ، ونظمت من شأنها ، ثم يتساءل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما تريد قريش منه ، فيقسم بالله قسم الواثقين بأمرهم ، المنبعثين وراء عقيدتهم : أنه لن يتزحزح عن دعوته وعن الجهاد فى سبيلها بكل ما يملك ، فاما أن ينتصر ، وأما أن يموت كما يموت الشهداء الأوفياء للحق ..

وفى هذا تيئيس لهم عما عسى أن يراود نفوسهم من الطمع فى نزوله عن دينه والتفاهم معهم على وضع يرضونه .

وهكذا نجد فى هذا الكلام النبوى الكريم اشفاق النبوة النبيل ، ونصحها الرزين ، وانصافها الانسانى لمن هم ألد الأعداء ، يتوج ذلك كله ايمان لا يتزلزل بدعوة الحق ، وثبات على الجهاد فى سبيلها حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، وتلك لعمرى دروس جديرة بالتأمل والاعتبار .

ولم يكن ذلك عن احساس من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالضعف ، وخوف من الأعداء ، فلقد كان رسول الله يومئذ على رأس قوة من المسلمين ، ما منهم الا فدائى يود لو أنه جاد بنفسه طاعة لأمر الله ورسوله .. ولقد بايعوه يومئذ بيعة الرضوان التى يقول فيها القرآن الكريم : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » .. والتى جعلها مبايعة لله ـ عز وجل ـ اذ يقول : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم » .

ولو شاء رسول الله ـ صلى الله عيله وسلم ـ أن يشعلها يومئذ حربا زبونا لأشعلها، وان قريشا قد علمت بهذه المبايعة فانخلعت قلوبها ، وامتلأت صدورها رعبا ، لأنها وجدت نفسها أمام طائفة مؤمنة قد شروا أنفسهم فى سبيل الله لا يبتغون عرضا ولا جاها ، وانما يبتغون احدى الحسنيين ، اما نصرا مؤزرا ، واما استشهادا يدخلون به الجنة فى حلل النعيم ، وظلل الرضوان .

ومن عادة « الباطل » أن يجفل من «الحق» ولا سيما اذا رأى عزمة من عزمائه ، وثورة من ثوراته ، انه حينئذ يتزلزل ويتخلخل ويصيبه الذعر ، ويلتمس أسباب النجاة .

وقد أرشد الله تعالى الى هذا المعنى حيث يقول فى شأنهم :

« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ، سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

أما المشركون فقد وقفوا يومئذ مع ضعفهم ورعبهم موقف الشراسة والاستكبار ، تقودهم « **حمية الجاهلية** » ويطمعهم فى الرسول ما بلغهم عنهم من قوله :

« لا تدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة للرحم الا أعطيتهم اياها » .

لقد طمعوا بذلك ، ودعاهم طمعهم الى التشدد والاشتراط ، بل الى التعسف والشطط ٠

فبينما هم خائفون يملؤهم الروع، ويحملهم ذلك على طلب الصلح ، اذا هم يشترطون فى هذا الصلح شروطا ثقيلة على المسلمين لا يشترطها الا المنتصرون ٠

وكانت خلاصة هذه الشروط أن ينصرف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامه ذلك دون ان يزور البيت معتمرا كما نوى ، فاذا كان العام القابل أتى معتمرا ودخل هو وأصحابه مكة بغير سلاح ـ حاشا السيوف فى قرابها ـ فيقيم بها ثلاثا ويخرج ، وعلى أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام ، يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا ، وعلى أن من جاء من الكفار الى المسلمين مسلما من رجل أو امرأة رد الى الكفار ، ومن جاء من المسلمين الى الكفار مرتدا لم يردوه ٠

هذه هى شروط الصلح كما أصرت عليها قريش ، وقبلها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ايثارا للسلام، وحقنا للدماء، واحتراما للحرم، واشفاقا على الرحم ، وصبرا حتى يأتى فرج الله ٠٠

وكان « سهيل بن عمرو » هو مندوب قريش فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا لتسجيل كتاب الصلح ، فقال له : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سهيل : لا نعرف هذا ، فليكتب : « باسمك اللهم » ، فضج المسلمون وقالوا : والله لا يكتب الا ما امر به رسول الله ٠ »

لكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قطع النزاع بقوله لعلى :

اكتب : باسمك اللهم ٠ فكتبها على ممتثلا امر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم قال له النبى : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ٠

فقال سهيل : لو كنا نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، ولا صددناك عن البيت ، ولكن ليكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ٠

فقامت قيامة المسلمين فى الانكار على سهيل ، وأبوا الا أن يكتب ما أملاه رسول الله وكادت الفتنة أن تقع لولا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أنا محمد رسول الله ، وان كذبتمونى ، وأنا محمد بن عبد الله ، فاكتب يا على :

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ، فكتبها على ٠

وهكذا تجلى حلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتجلى حرصه على السلام وعدم سفك الدماء ، كما تجلت « **حمية الجاهلية** » واضحة جلية فى صنيع قريش واصرار مبعوثها ٠

وهذا من أعظم ما سجله التاريخ لقائد عظيم يحلم غاية الحلم ، ويتكرم أعظم التكرم، مع احساسه بالقوة ، وقدرته على أن يحسم الأمر بالسيف ، ويحمل أهل الشطط والعنف على الطاعة حملا ٠

فأما موقف المسلمين فقد كان أول الأمر موقف الألم الشديد من قبول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذه الشروط ، لما فيها من مظهر الاذلال للمسلمين ولا سيما وهم لم يدخلوا موقعة مع المشركين فينهزموا فيها ، فتكون تلك الشروط المهينة طبيعية ونتيجة منطقية لانهزامهم ، ثم هم قد بايعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الجهاد حتى الموت ، فما بانه يتقبل مبايعتهم، ويضع يده فى أيديهم عليها ، ثم لا يمضى فى حرب المشركين ، ويدخل البيت الحرام آمنا ، كما قص عليهم من رؤياه التى رآها ، وان الله يبشره فيها بأنه هو وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ٠

عجب المسلمون من موقف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلغ الأمر الى أن ثارت ثائرة كثير منهم ، والى أن عمر بن الخطاب نفسه ثار واشتد وتساءل : ألسنا

على الحق ؟ أليس هو برسول الله ؟ فلم نقبل الدنية ؟..

ثم بلغ الأمر بهم أن عصوا الرسول ، أو توقفوا عن تنفيذ أمره ، حين أمرهم أن ينحروا الهدى ويحلقوا رءوسهم ، متحللين من احرامهم الذى أحرموا به ، وقد كان ذلك فى نظرهم أمرا عظيما ، حتى أشارت « أم سلمة » على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يبدأ هو فينحر هديه ويحلق رأسه ، فاذا رآه المسلمون يفعل ذلك فعلوا غير مترددين ، فعمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما أشارت به أم سلمة ، فعاد الناس الى رشدهم وأطاعوا الرسول فيما كان قد أمر به ، وكانت مشورة ناجحة مباركة احتفظ بها التاريخ لامرأة عاقلة مؤمنة مخلصة .

وابتدأ المسلمون يستمعون الى « بيان » الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتبريره لما فعل ، وأنه كان فى ذلك صادرا عن أمر الله وان الله جاعل بعد ذلك فرجا وفتحا قريبا ، فاستقرت نفوسهم واطمأنت قلوبهم ، وأنسوا الى « وعد » الله ورسوله ، ولزموا الطاعة وكلمة التقوى ، وهى : « **لا اله الا الله ، محمد رسول الله** » فكانت هذه الكلمة ثباتا لهم ، ونورا يهتدون به كلما راودهم الشيطان عن أنفسهم فى هذا الشأن الخطير ، اذ يقول المؤمنون بهذه الكلمة : ما دمنا قد آمنا بالله ربنا ، وبمحمد رسولنا ، فلنرض بما رضيه الله ورسوله .

وذلك كله هو ما تشير اليه الآية الكريمة فى شأن المواقف الثلاثة ، للنبى والمؤمنين ، والمشركين ، وهى الآية التى صدرنا بها هذا الفصل :

« اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما » .

وقد عاد هذا الصلح الذى لم يدرك المسلمون أول الأمر حكمته بأعظم الفوائد على الاسلام والمسلمين ، ونحن نسوق ما كتبه فى ذلك العلامة « شرف الدين الموسوى » فى كتابه « النص والاجتهاد » اذ يقول :

« كفى بالصلح عائدة أنه كان سببا فى اختلاط المسلمين بالمشركين ، فكان المشركون يأتون بعده الى المدينة ، كما أن المسلمين كانوا يأتون مكة .

فاذا جاء المشركون الى المدينة ، ورأوا رسول الله بهرهم – صلى الله عليه وسلم – بأخلاقه وقدس سيرته ، وعظم فى أنفسهم أمره ، هديا ورأيا ، وسمتا ونعتا ، وقولا وفعلا ، وراقهم الاسلام بشرائعه وأحكامه ، من حلاله وحرامه وعباداته ومعاملاته ، وسائر نظمه ، وبالغ حكمه ، وملكهم القرآن بآياته وبيناته ، فأخذ بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم ، وأدهشهم أصحاب رسول الله بتعبدهم بأوامره وزواجره .. فاذا هؤلاء على مقربة من الايمان ، بعد أن كانوا قبل صلح الحديبية فى منتهى العمه والطغيان ، واذا هم يرجعون الى أهليهم كمبشرين بمحمد ومنذرين بفتحه .

واذا أتى المسلمون مكة وخلوا بأرحامهم وأصدقائهم لا يألونهم نصحا ودعاية الى الله ورسوله بما يوقفونهم عليه من اعلام النبوة وآيات الاسلام ، وما فى القرآن الحكيم من علم وحكمة ، ونظم اجتماعية ، وسنن وفرائض وآداب وأخلاق ، ومواعظ وعبر ، وأخبار الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، فاذا هؤلاء أيضا مبشرون – ببطن مكة – ومنذرون ، وقد كان لعملهم هذا أثره العظيم فى تسهيل أمر الفتح ، بلا قتال ولا ممانعة ، والحمد لله .

وهناك من فوائد الصلح ما حصل بمجرد اجتماع المشركين مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى الحديبية ، ووقوفهم على هديه وخلقه بامعان ، وكان أكثر قريش – اذ ذاك – لا يعرفون منها شيئا ، ولا سيما شبابهم ، اذ كان أبو جهل والوليد وأبوسفيان وشيبه وعتبة وأمثالهم من مشيخة الأوثان والجاهلية ، أرجفوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتسنى لهم تسميم الرأى العام الجاهلى فيه ، وقد أجلبوا عليه بكل ما لديهم من حول وطول ، وبكل ما يستطيعونه من

فعل وقول ، ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ٠

قصدوه وهو فى دار هجـرته محاربين ليقتلوه وأصحابه ، وليستأصلوا شأفة الذين آووه ونصروه بغيا وعدوانا ، فنصره الله عليهم فى بدر وأحد والأحـزاب : وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » ٠

لكن ظل أهل مكة ـ بعد هذه الحروب ـ على ضلال رأيهم المسموم فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ اذ لم تره أعينهم بعد الهجرة ، ولم يبلغهم عنه الا ما سـمعوه من أولئك المرجفين ، فلما كان يوم الحديبيـة ، واختلطوا به وبأصحابه ، رأوا منه خلقـا عظيما ٠

كانوا كلما تبغضوا اليه بجفاء وسوء صنع، تحبب اليهم بحنو وعاطفـة وحسـن صنع ، فاذا قسوا وأغلظوا له ، لان وخفض لهم جناح الرحمة ، مستمرا معهم على هذه الحال ، يقابل اساءتهم بالبقيا عليهـم ، والاحسان اليهم ، عملا بقوله تعالى : « أدفع بالتى هى أحسـن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ٠

وهذا ما كان فى نظر قريش كفارة له عما كان فى بدر وأحد والأحزاب ، اذ تجلى يومئذ لهم ـ بكفه عن قتالهم ـ انه غير مسؤول عن شىء من ذلك ، وانما المسؤول عن تلك الدماء المسفوكة انما هم مشايخ قريش كأبى سفيان وأبى جهل وأضرابهما الذين غزوه ـ وهو فى مهجره الذى فر منهم اليه ـ فاضطروه الى دفع عدوانهم عنه وعن أصحابه، ولو كفوا عنه وعن الذين آووه ونصروه لكف عنهم مقتصرا فى دعوته الى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ٠

أطفأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ فى الحديبية ـ وقدة قلوب هؤلاء المشركين، واستل سخائمهم ، وأزال أضغانهم ، وأغراهم بسادتهم ، وكبرائهم ، حتى أيقنوا بعدوانهـم عليه ، وجنايتهم على أنفسهم ، وبهـذا لانت قلوبهم مطمئنة بحسن عواقبهم معه اذا انضموا الى لوائه ، معتصمين بولائه ، حكمة بالغة ، أعقبت الفتح المبين ، والنصر العزيز ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا » ٠

هذا هو مسلك الاسلام فى معالجة « حمية الجاهلية » ، وهذا هو ما انتهى اليه من الفتح الحقيقى المبين ، فتح القلوب والأفكار ، ولقد نعلم ويعلم المسلمون جميعا فى مختلف شعوب الأرض ، أن ألوانا من « حمية الجاهليـة » ما زالت فى مختلف العصور الى عصرنا الحاضر تهب ريحها بين المسلمين ، فتقطع الأواصر ، وتجعل الاخوان فى الدين والأهداف العليـا يختصمون ويتفرقون شيعا وأحـزابا ، وهم يعلمون أنه لا يفيد أحد من تفرقهم وتقاطعهم الا المستعمرون وأعداء الاسلام ٠

ان « حمية الجاهلية » تتمثل أحيـانا فى الطائفية بين المذاهب الاسلامية ، فهؤلاء شيعة ٠٠ وهؤلاء سنة ، مع أن الدين واحـد ، والرسول واحد ، والكتاب واحـد ، والقبلة واحدة ، والصلوات واحدة، والأهداف واحدة، فعلام نختلف اذن ونتفرق ويتظننن كل أصحاب مذهب منا بالآخرين ؟

ألا وان « حمية الجاهلية » تتمثل أحيانا فى حرص هؤلاء الرجعيين على الاستمساك بما فى أيديهـم من صولجان الملك ، وجشـع الرأسمالية الطاغيـة القاسية ، فهم يخشون أن يضعوا أيديهم فى أيدى دعاة الاصـلاح والعدل والاشتراكية السليمة الموفقة الموافقة لدين الله ، ولمبادىء العدل والانصاف التى قامت عليها شريعة الله ٠

فلا يظنن أحد أن « حمية الجاهليـة » قد انطفأت نيرانها ، أو انقضت بانقضاء القرون الماضية ، فان الجاهلية كما قلنا لا تزال تلح على كل اصلاح ، وتجابه كل دعوة الى الخير ، وتحارب كل من يقيمه الله على سنن الرشاد، محاولة بذلك أن تطفىء نور الله ، وما نور الله الا مثل الحق والهدى والصلاح والخير ٠

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى اللـــه الا أن يتم نـوره ولو كره الكافرون » ٠

صور دينية في شعر شوقي

الدكتور
أحمد الحوفي

ليس من غرضى فى هـذا المقال أن أعرض للشعر الدينى عند شوقى ، من حيث بواعثه أو مظاهره المتعددة أو ألوان الفن فيه ، فقد فرغت من هذا فى كتاب ((الاسلام فى شعر شوقى)) الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

انما أريد أن أتناول ناحية لم أعرض لها من قبل وهى الأفكار الموصولة بالدين التى عرضها شوقى فى موضوعات لا صلة لهـا بالدين ، والصورة التى عبر بها عن مشاعره وآرائه فى أغـراض بعيـدة عن التـدين وعن الاشادة بالاسلام وخصائصه وتاريخه المجيد.

ولقد تكون هذه الصورة والافكـار التى توافدت على خاطر الشاعر فى موضوعات لا يريد بها الدين من أقوى الأدلة على أن الدين يعمر قلبه ، ويشغل عقله ، فلا يفتأ يستمد منه الفكر ، ويستوحيه الصور ، لأن من عادة المرء أن يلهج بما يشغل نفسه ، وان

تتوافد على خاطره معان واخيلة واطياف مما يجيش به صدره ، ويهفو اليه قلبه ، ويموج به عقله الواعى وعقله الباطن .

فهل نجد فى شعر شوقى ـ شعره غير الدينى ـ صورا موصولة بالدين أو مستقاة منه ؟

نعم نجدها فى كثير من قصائده ، لأنها فى رأيه المثل الذى يضرب ، والمثال الذى يقاس عليه .

ومن حقنا أن نستدل بها على أن قلبه كان بالاسلام عامرا ، وأن شعوره بمفاخر الاسلام كان زاخرا .

فهو فى مدحه للسلطان محمد رشاد الخامس يصفه بأنه جدد عهد الخلفاء الراشدين بسيرته الصالحة العادلة ، ويهنئه بأن الله أعز به الحق ، وأيد الاسلام ، ثم يشبهه بعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب .

والذى يعنينى فى هذا المقام أن شوقى نصب هذه المعالم الاسلامية امثلة عالية يقيس عليها ويضاهى بها :

جددت عهد الراشدين بسيرة
نسج الرشاد لها على منواله

بنيت على الشورى كصالح حكمهم
وعلى حياة الراى واستقلاله

حق اعز بك المهيمن نصره
والحق منصور على خذاله

فكأنك الفاروق فى كرسيه
نعمت شعوب الأرض تحت ظلاله

او انت مثل ابى تراب يتقى
ويهابه الأملاك فى اسماله

عهد النبى هو السماحة والرضا
بمحمد أولى وسمح خلاله

وفى قصيدة له عن ثورة سنة ١٩١٩ أشاد بالشباب الذين أبلوا فى الثورة بلاء حميدا مجيدا ، وصور جهادهم لتحرير وطنهم بجهاد المسلمين فى غزوة بدر ، اذ كان جهاد المسلمين فى بدر فاتحة النصر والعزة للاسلام والمسلمين ، وكان جهاد الشباب فى مصر خالصا لوجه الله والوطن ، وقائما على السخاء فى بذل الأرواح والدماء ، ومبشرا بتحرير الوطن وعزته وعلاه :

يا نشأ الحى شباب الحمى
سلالة المشرق من نجبه

ما نسيت مصر لكم برها
فى حازب الأمر وفى صعبه

مزقتم الوهم والفتم
اهلة الله على صلبه

حتى بنيتم هرما رابعا
من فئة الحق ومن حزبه

يوم لكم يبقى كبدر على
انصار سعد وعلى صحبه

ثم مجد الثورة مرة اخرى ، فنوه بحماسة الشعب فى الاستجابة لها ، وتنافسه على تقدم صفوفها ، وصور هذا باستجابة المسلمين لبلال وهو يؤذن فى مكة ، فيرج شعاب مكة وبطاحها ، ويسارع المسلمون الى تلبية أذانه ، ثم وصف الوفد الذى وكلته مصر للدفاع عن حقوقها بأنه وفد امين على حقوق الشعب الذى وكله ، شجاع فى المطالبة بالحق المغتصب وفى الذود عنه ، وشبهه بأبطال بدر الأبرار الأطهار :

ورد المسلمون فقيل خابوا
فيا لك خيبة عادت نجاحا

اثارت واديا من غابتيه
ولامت فرقة واست جراحا

وشدت من قوى قوم مراض
عزائمهم فردتها صحاحا

كأن بلال نودى : قم فأذن
فرج شعاب مكة والبطاحا

حواريين أوفدنا ثقات
اذا ترك البلاغ لهم فصاحا

لهم منا براءة اهل بدر
فلا اثما نعد ولا جناحا

وذكر فى قصيدته التى حيا بها الأزهر عدة افكار متصلة بالدين ، منها أنه جدير بالذكر

بعد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وأنه كوثر العطاش الى المعرفة وملاذهم كما ان البيت العتيق مثابة العباد واملهم :

واذكره بعد المسجدين معظما
لمساجد الله الثلاثة مكبرا

ان الذى جعل العتيق مثابة
جعل الكنانى المبارك كوثرا

وفى تحيته لدار العلوم قدر العلم واجله ، وتخيل أن الدار لو كسيت ستائرها لكانت مثل الكعبة :

وارى العلم كالعبادة فى ابعـ
ـد غاياته الى الله ادنى

انت كالشمس رفرفا والسماكـ
ـين رواقا وكالمجرة صحنا

لو تسترت كنت كالكعبة الغرا
ء ذيلا من الجلال وردنا

ان تكن للثواب والبر دارا
انت للحق والمراشد مغنى

ولما ائتلفت الأحزاب المصرية ابتهج شوقى، فصور الاتحاد حصنا ينهار حوله الاستبداد ، فتنعم مصر بالدستور والحرية والمساواة ، كما انهار الكفر فى مكة وقوضت أصنامه ، وأضاء الاسلام بنوره فمحا ظلمات الشرك والوثنية ، ورفع الناس الى سماء التوحيد والفضائل والمثل العليا :

يبنى كما تبنى الخنادق فى الوغى
تحت النبال وصوبها السحاح

ينهار الاستبداد حول خراصه
مثل انهيار الشرك حول صلاح

ويكب طاغوت الأمور لوجهه
متحطم الأصنام والأشباح

ويعود الى التمثيل ببطولة المسلمين فى بدر وخيبر وهو يريد الغزوات كلها ، اذ ينوه بالعرب المجاهدين فى ايطاليا سنة ١٩١٢ ، فيقول : ان دماءهم تجرى فيها شجاعة الابطال فى بدر وخيبر ، وشجاعة على بن ابى طالب، وان زوارهم يتمسحون باردانهم فى توقير وتعظيم كما يمسحون بالكعبة :

ومجاهدين هناك عند معسكر
ومن المهابة بين الف معسكر

موفين للأوطان بين حياضها
لا يسمحون بها وبين الكوثر

عرب على دين الأبوة فى الوغى
لا يطعنون القرن ما لم ينذر

الفوا مصاحبة السيوف وعودوا
اخذ المعاقل بالقنا المتشجر

فى أعين البارى وفوق يمينه
جرحى نجلهم كجرحى خيبر

من كل ميمون الضماد كأنما
دم أهل بدر فيه أو دم حيدر

عواده يتمسحون بردنه
كالوفد مسح بالحطيم الأطهر

والأمثلة على مثل هذا كثيرة ، اكتفى منها بهذه الالوان ، واختمها بأنه حين عاد من منفاه استخفته نشوة الفرح، فتخيل منار الاسكندرية الذى يهدى الباخرة من بعيد نور القبة النبوية يهدى الحجيج ، وشبه نور المنار وقد غطى البحر بنار الطور التى اضاءت امام موسى :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا

هدانا ضوء ثغرك من ثلاث
كما تهدى المنورة الركابا

وقد غشى المنار البحر نورا
كنار الطور جللت الشعابا

وبعد : فلعل فى هذا القدر غناء للدلالة على ان شوقى كان يستوحى الاسلام وتاريخ الاسلام ومجد المسلمين وبطولتهم وحضارتهم كثيرا من صوره ومعانيه ، ويضرب من ذلك الأمثال ، ويرسم الوانا من الخيال .

دور المثقف

فى مجتمعنا الاشتراكى

الدكتور عثمان امين

الاشتراكية العربية

تتميز الاشتراكية العربية عن غيرها من النظريات بسمات واضحة . انها اشتراكية لا تقنع بمسايرة طبيعة البلاد العربية وجوها الاجتماعى الخاص بها فحسب ، بل أرادت كذلك أن تتمشى مع تعاليم الدين الحنيف ، ومع ما نسميه بالرأى العام والوعى الجماعى. والاشتراكية العربية ليست نظريات ولا قوانين ولا مظاهر ، بل هى أمور قد استقرت فى النفوس ، وجرت مجرى الطبائع ، فاصبحت نوازع انسانية تتمثل فى العطف على المحرومين والمظلومين ، والاستنكار للمحتكرين والظالمين ، وتؤمن بسيادة الشعب والمساواة بين المواطنين .

وما دامت الاشتراكية العربية تريد أن تكون الحقوق مكفولة للجميع ، فمن الطبعى أن يعمل دعاتها على تغيير النظم التى ثبت بالاستعمال انها تسىء الى جمهرة الناس . ومن الطبعى كذلك أن تنظم الملكية تنظيما اشتراكيا جديدا يحقق تكافؤ الفرص ، ويستبعد رذائل الأغنياء وشقاء الفقراء على السواء .

والاشتراكية العربية اشتراكية روحية عقلية . قانونها المحبة والصفاء ، ودستورها العقل والحرية ، وغايتها العدالة الاجتماعية . **وهل هنالك شك فى اشتراكية الاسلام ، وقد دعا القرآن اليها ، ووردت الأحاديث بالحث عليها ، وسار المسلمون على نهجها فى عهد النبى وأكبر خلفائه ؟ وقد شرع الاسلام الزكاة درءا لجشع الأنانيين ، ودفعا لحقد الفقراء على أرباب الثراء ، وتمكينا للمحبة والتعاطف بين الناس .**

الثقافة ما هى ؟

تلك بعض سمات الاشتراكية العربية . فلنحاول الآن أن نلقى ضوءا على دور المثقفين فى ظل المجتمع الجديد القائم عليها . ولست أريد هنا أن أخوض فى حديث عن الثقافة والمثقفين ، **ولكنى أود أن أنبه الى أن المثقفين ليسوا طائفة معينة من الأمة تخصصت فى فروع المعارف المختلفة : فقد يكون الشخص عالما طبيعيا ، أو رياضيا ، أو مهندسا أو طبيبا ، أو عالما بالفلسفة أو الاجتماع أو القانون ، وقد يكون ممن حصلوا على شهادات دراسية أو دبلومات جامعية ، ولا يدخل مع ذلك فى عداد المثقفين .** ذلك أن الثقافة ليست معلومات محفوظة ولا تطبيقات منقولة ، بل هى فى مفهومها الصحيح شىء يتجاوز المهارة أو البراعة فى اى ناحية من نواحى العلوم النظرية أو العملية . والثقافة الحقيقية هى ما يتبقى لنا بعد أن نكون قد نسينا ما حفظنا. انها مرادفة فى نظرنا لحضور الوعى ، ويقظة الروح ، وهما لا يكونان الا مع الضمير الحى ، والعقل الناضج ، والقلب السليم . ومتى استيقظ الوعى فى الانسان أصبح النظر والعمل عنده أمرين متلازمين لا يفترقان ، واصبحت حياته مصداقا لأفكاره ، فبعد عن الآلية والأنانية ، وقصد الى الغايات بأفضل الوسائل ، واتجه الى الجوهر والمخبر دون الوقوف عند المظاهر والأعراض .

والأساس المتين الذى تقوم عليه الثقافة الواعية ثقافة القلب والعقل والحس ، هو الاعتقاد بالقيم الروحية والمبادىء الأخلاقية. فلسنا نتصور مثقفا واعيا لا تصدر أفكاره واعماله عن يقين راسخ بأن الثقافة – كالحضارة – تقوم على الايمان ، أى على الرابطة الأخلاقية التى تدفع الناس الى أن يفكروا ويعملوا متساندين مرتفعين على بواعث الأنانية والاثرة ، متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة .

دور المثقف فى المجتمع :

١ – الانسان والمجتمع : الانسان مجعول لكى يحيا فى جماعة ، وواجبه أن يعيش فيها : ولو أن انسانا عاش منعزلا عن الناس لما كان انسانا تاما ولكانت حياته فى تناقض مع نفسه .

والانسان المثقف منوط برسالة اجتماعية عليه أن يؤديها ، انه مقتنع بأن وجود الآخرين يكمل وجوده ، كما أن وجوده يكمل وجود الآخرين . صحيح أنه حين يعمل يكون فى شبه خلوة روحية ، بمعنى أن يعمل فى صدق واخلاص ، جاعلا نصب عينيه الاتقان والكمال، وكأنه خارج حدود الزمان والمكان ، فلا يتعجل النتيجة ، ولا يجارى « الموضة » ولا يلتمس الشهرة ، ولا ينشد المنفعة . ولكن يجب على المثقف من أجل الاتقان أن يعيش مع الناس ، بمعنى أن يفتح قلبه وعقله وحسه لشئون المجتمع ، وينمى تجاربه مع الناس والأشياء ، فيدخرها فى نفسه ليقتبس منها ما شاء حين يشاء ، ويضفى عليها من عنده قوة جديدة تفصح عنها وتجعلها تجارب انسانية تنفع الناس .

٢ – المثقف يتألق فيه نور العقل : وكل وظيفة فى المجتمع لازمة لحياة المجموع ولكرامته ، وهى لذلك تستحق احترامنا وتقديرنا . ولكن المثقف يجب أن يكون عنده من التواضع بمقدار معرفته للمسافة التى بينه وبين المثل الأعلى . ولذلك تعين على المثقف أن يشغل فى المجتمع وظيفة مرموقة هى توجيه الآخرين وهدايتهم . والمثقف بحكم وعيه المستنير ، تكون رسالته السعى الدائب الى تقدم المجتمع واسعاده : فالمثقف هو ذلك الذى يتألق فيه على الأصالة نور العقل ، وظيفته فى جوهرها اجتماعية أخلاقية .

٣ – المثقف والقدوة الحسنة : على أن المجتمع لا يتطلب من المثقف لكى يؤدى رسالته أن يكون عارفا فحسب ، بل أن يكون فاضلا : لا يتطلب أن يكون قد وصل الى أعلى درجة من الثقافة فحسب ، بل الى أعلى درجة من الأخلاق فى عصره . وان احدا لا يستطيع أن يزهو بنجاح دعوته لاصلاح الآخرين ما لم يكن قد بدأ باصلاح نفسه : **فاننا لا نحمل الناس على الخير عن طريق المواعظ والخطب ، بل نؤثر فيهم تأثيرا فعالا عن طريق السلوك الحميد والقدوة الحسنة .**

٤ – المثقف وتزكية الشعور بالمثل الأعلى : والانسان تزيد واجباته على قدر ما يكون لديه من وعى واستنارة . والمثقف الواعى يجعل جهده أن يزكى فى نفوس الناس الشعور بالمثل الأعلى – لا ذلك الشعور الغامض المضطرب الذى يتجلى تارة فى تأوهات وشكايات ، ويتجلى تارة أخرى فى تبرم وتمرد – بل يزكى فيهم الشعور الذى استضاء بنور العقل ، فأصبح حرية نابعة من الذات ، ووعيا للحقوق والواجبات .. فهو يعلمهم وعيا للحقوق ، حتى لا يستغلهم المستغلون ، وحتى لا يكونوا أذلاء مستعبدين ، ويعلمهم وعيا للواجبات ، حتى يتعاونوا فيما بينهم وحتى يبذلوا جهودهم من أجل المجموع ، **فاذا توهم البعض أن الاشتراكية هى أخذ بغير عطاء ، واكتساب حقوق دون أداء واجبات، فلن تكون الاشتراكية حينئذ خيرا من الرأسمالية المستغلة .**

٥ – أمثلة لطائفة من المثقفين أيقظوا الوعى الاشتراكى فى أممهم : ولدينا أمثلة طيبة لأعلام المثقفين فى الشرق الاسلامى ، قاموا خير قيام بهذه المهمة الخطيرة ، مهمة ايقاظ الوعى الاشتراكى فى الفرد وفى المجتمع : **جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبى ، ومحمد اقبال – كلهم قد وجهوا عنايتهم الى هذه المسالة بالذات ، فكانت عندهم أساسا لدعواتهم الاصلاحية ، من دينية أو اجتماعية أو سياسية ، فنظروا الى الدين على أنه فى صميمه ايمان بالله ، وثقة فى النفس ،وولاء للوطن .**

الكتابى المسلم

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

الجمع بين ديانات لا يعتبر دينا ولا تدينا

١ ـ تهيأ لأفراد من الناس أن يزعموا لأنفسهم فى التدين مكانة ليست لسواهم . فالواحد منهم يعلن ثلاثية اعتقاده ، وعبادته .. فهو مؤمن بموسى ، ويتعبد على شريعته .. وهو مؤمن بعيسى ، ويتعبد على شريعته ، ومصدق بمحمد ، ويتعبد على شريعته .

وازاء هذا المزيج الدينى يكون كتابيا مع أهل التوراة ، وأهل الانجيل ، ويكون مسلما مع أهل القرآن .

فهو محرز لخير الديانات فى زعمه ، ولا يفلت منه نصيب من ثواب يستحقه أهل الديانات الثلاث .. وهذا لون جديد فى التدين ، وهو شان عجب بين اصحاب الديانات .. حتى الديانات الوضعية .. وما ندرى : أهذا ـ حقا ـ مسلك جدى يعقلونه ، ويحرصون عليه ؟؟ أم هو ثغرة مبتدعة من ثغرات الالحاد الماكر ، وضرب من ضروب النفاق الممعن ، ليشغلوا به الناس عن الحديث فيهم ، ويتستروا به من فضائح التحلل والانهيار اللادينى ؟

فان يكن هذا الغرض أو ذاك فهم يهيمون فى تيه من الضلالة والغفلة ، أو هم يخوضون فى غمرات من المفاسد على حساب الدين .

فاذا أخذت على الواحد منهم سقطة فى مأثم ، أو زلة فى قول تهرب منك الى ما يزعمه من الديانات التى ينتحلها ، موهما لك أنه فى ظل ديانة تبيح له ما أجترح .

٢ ـ ونحن نجابه أولئك الملفقين بالانكار عليهم باسم الدين فى مختلف شرائعه قديما وحديثا ، فان الله ـ سبحانه ـ فرض علينا الايمان بجميع رسله دون شقاق فى هذا مع الملفقين ، ورغم انكار المنكرين .

ولكنه جعل دينه واحدا ـ منذ أول رسول ، الى خاتم الرسل جميعا ـ الدين واحد فى أصوله الاعتقادية وفى أهدافه الغائية المرموقة من تشريعه ، وان تنوعت المناهج التفصيلية على ما نذكره بعد .

وعلى تلك الأصول قامت دعوة الرسل واحدة ، لم تتغير مع الزمن ، **وتلك الأصول هى : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر من عند الله .**

فوحدة الايمان بهذه الأمور هى وثيقة العبد بربه ، وهى قدر مشترك فى مجموع الأمم والرسالات .

وقد قرر القرآن هـذا كما قررته الكتب السماوية فيما سلف ((**قل ما كنت بدعا من الرسل**)) ((**انا أوحينا اليك** ــ يا محمد ــ **كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ــ شرع لكم من الدين** ــ فى اصوله ــ **ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم، وموسى ، وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**)) اى فى اصل من اصوله ، ولا فى تصديق بعضكم لبعض فيما جاء به من قبل .

٣ ــ أما فيما عدا الأصول الاعتقادية فبين الشرائع مغايرة فى المنهج العملى : ما بين عبادة ، أو معاملة ، وهــذه المغايرة ظاهرة يقتضيها تطور الزمن، ونضوج العقلية البشرية حينا بعد حين .

فطبيعة الحياة الانسانيـة مسترسلة فى نموها ، والتشريع موضوع لتوجيه الانسان فى مراحله الزمنية ، حتى لا يجمد به التشريع على وضع واحـد ، فيبعد عن خصائص الانسانية ، ويكون فى وضع آخر .

فكان من مقتضيـات الحكمة ان يختلف المنهج عن سابقه فى رسوم العبادة ، وفى نمط المعاملات ، والنظم الاجتماعية ، والسياسات ، سواء اكان الاختلاف يسيرا ، أو كثيرا .. أو كان اختلافا فى اجمال ، أو تفصيل ، او فى حظر ، أو اباحة .

فهذه سنة الهية تساير الفطـرة فى تدرج الحياة .

واذا لم يكن هذا الاختلاف ضرورة طبيعية وعقلية كضرورة الحياة الانسانية الى تشريع الدين ابتداء ، لما كانت هناك حاجة الى تعدد الرسالات وتجديد الدعوة ، أو تكون الحاجة الى هذا اتفه واهون مما فرضنا ..

والقرآن الكريم يقرر تماسك الرسالات فى تأييد هذا التنويع الزمنى ، ويقرر أن كل كتاب سماوى كان مؤيدا لما سبقه ــ ومصدقا لما بين يديه ــ ، ويقرر أن لكل أمة شريعة تخالف ما سبقها فيما تقتضيه الحياة ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)) ((ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها)) .

على هذا تتابعت الرسالات ، ولم يجمع الله فى تشريعه بين رسالتين ، ولأكثر من رسالتين فى زمن واحـد ((**ثم أرسلنا رسلنا تترى**)) متتابعين ، مع فصـل فى الزمن ((**ولكل أمة رسول**)) .

وقد انتهت الرسالات بمحمد بن عبد الله ــ لا شك ــ ورغم المعاندين عن ضلال .

((**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله ، وخاتم النبيين**)) بشريعته انتهى تجديد التشريع السماوى .

وقد احكم الله شريعة محمد بما يجعلهـا متمشية فى مرونتها ، واتساع منهجهـا مع الزمن مهما اتسعت بنا رقعة الحيـاة ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى**)) .

هذا صنع الله فى تشريعه ((**وكان الله بكل شىء عليما**)) .

ولم يكن يستقيم فى حساب العقل ان تظل الرسالات مسلسلة ، والتشريع يتجدد ! فمعنى ذلك : أن يكون النقص التشريعى غير منته الى كمال ابدا .. ثم الى متى يكون التجديد ؟؟.

ولا يستقيم فى حساب العقـل كذلك أن يجمع الله بين شريعتين يتعبد بهما عباده فى زمن واحد .

فان تعـدد التشريع يقتضى التنويع فى المنهج ، والتفريق بين الناس فى ألوان التعبد ، حتى يمكن التعـدد فى التشريع !! ويقتضى تشقيق الأهداف ، ليكون لكل نوع غاية تترتب عليه !! والمفروض أن الدين لجميع الناس فى اطار واحد .

فافتراض التعدد فى التشريع فى زمن متحد يعتبر افتراضا للتنـاقض ، وللعبث العقيم من جانب الله ، وهذا من المستحيلات العقلية وتعالى الله عن ذلك ونحوه علوا كبيرا .

٤ ــ والى هنا تنتهى وحـدة الدين فى أصوله ، وتنتهى ــ ثانيا ــ الى أن تسلسل التشريع قد انتهى بشريعة محمد ((**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**)) ويستقر توجيهنا عند الاقتناع بعموم رسالة محمد ، فلم يعد

هناك تحديد لزمن التشريع ، ولا تخصيص لأمة دون أمة بدعوة الله الى التدين بدينه « **وما أرسلناك الا كافة للناس : بشيرا ونذيرا .. قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا .. قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم** »

٥ ــ واذا كان التشريع الدينى من صنع الله ، ومن حقه وحده ، فما يكون لأحد من خلقه أن يتطاول على الله فى ابتداع دين ، ولا فى تسمية الدين باسم من عنده ، ومن يفعل ذلك فهو كاذب أفاك « **انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** » .

وقد اختار الله تسمية دينه منذ كان فى علمه دين لخلقه ، ثم أخبرنا بذلك فى قوله : « **ان الدين عند الله الاسلام** » .

فانظر الى قوله : عند الله !! . فهى راسمة أمام عينيك أنها تسمية أزلية ، وليست بنت اليوم ، وهى مطردة مع مسماها ، لا تفارقه ولا يحمل سواها .

والتسمية المطردة لدين الله لا يعارضها اختلاف التشريع العملى فكل ذلك دين الله ، وهو واضعه ، وهو مسميه .

٦ ــ غير انه لما تعددت الرسالات قديما ، وتجدد التشريع بالتوراة على موسى ، ثم تجدد بنزول الانجيل على عيسى ــ عليهما الصلاة والسلام ــ ثار جدل عنيف بين أهل الكتاب ، وأصبح هناك فى الدين طائفتان ــ يهود ، ونصارى ــ وامتد بهم الجدل الى تسمية الدين باسم طائفى من عندهم .

فالمتشبثون بالتوراة عكفوا على ما سموه : يهودية .. والمسيحيون للانجيل عكفوا على ما سموه : نصرانية ، أو مسيحية .

فلما نزل القرآن ، وصرح بأن الدين عند الله الاسلام : قام العرف على تخصيص شريعة محمد باسم الاسلام : طبقا لما سمى الله دينه الحق منذ القدم .

أوضح القرآن هذا فى مقامات عدة ، كقوله سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » .

وكذلك أوضح النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى قوله ــ بنى الاسلام على خمس ــ فانعزلت الديانات عن اسم الاسلام .

وقبل هذا ، كان اليهود ملئوا الدنيا صياحا بدعوى انهم أبناء ابراهيم ، وانهم على دينه الموروث لهم عنه .

وكذلك كان للنصارى جدل مع اليهود ، ومزاعم تشبه مزاعم خصومهم ، وكان كلاهما يسرف فى تحقير الآخرين .. فكشف القرآن بطلان ما عليه الفريقان ، وطهر سمعة ابراهيم أن يعلق بها أثر من هذا الارجاف المزدوج وقال « **يا أهل الكتاب !! لم تحاجون فى ابراهيم ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، أفلا تعقلون ؟** » .

يعنى ، مادام ابراهيم كان سابقا على نزول التوراة والانجيل ، فكيف يتشبث كلاكما بنسبة دينه الى ابراهيم مع انه سابق ، وان ما لديكم من تشريع كان متأخرا عنه ، فضلا عن كونه تشريعا مدخولا ، ولو كان على أصله الحق لما وجد افتراق بينكم .

هذه حجة يقيمها الله عليهم فى تكاذبهم ، ويبرىء بها ابراهيم من لجاجهم فى باطل ، وبعد هذه التبرئة ، والتنزيه لابراهيم عن لوثة جدلهم هذا .. يبين القرآن أن ابراهيم كان على الدين الحق الذى ضلوا عنه « **ما كان ابراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا .. ولكن كان حنيفا مسلما .. وما كان من المشركين** » .

فانظر : تجد فى هذا تزكية لابراهيم بأنه كان بنجوة من اليهودية ، والنصرانية ، والشرك ، فهو بحق ــ حنيف ــ مائل عن الباطل كله .

فأين هؤلاء الطائفيون من ابراهيم فيما يحاولون من التعلق به ؟

وكذلك يقرر القرآن أن دين محمد هو ــ بالحق ــ دين ابراهيم ــ الاسلام ــ واليه يدعو الله جميع الناس لتكون الوحدة المنشودة فى التدين بدين الله . كما يذكر المسلمين بدينهم فى قوله : « **اعبدو ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى**

الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو ـ الله ربكم ـ سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ـ القرآن ـ » .

كما قال تعالى : « **ورضيت لكم الاسلام دينا** » . « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » !

٧ ـ أفبعد هذا كله يطلع علينا من يشغب فى الدين ، ويهرف بجديد من الباطل ، ويستجيب لحمقه ، ويعلن ثلاثية العقيدة والعبادة ؟.

(ا) هناك ديانات منسوخة ، فكيف نفرضها قائمة ؟؟ وهناك تناقض بين ما نسخ ، وما لم ينسخ فكيف نجمع بين هذه المتناقضات فى عقيدتنا وعبادتنا ؟؟

(ب) الاسلام قائم على توحيد الله وتنزيهه عن الولد ، فكيف تنهض عقيدة التوحيد والتنزيه لدى من يقول عزير ابن الله ـ كما فى اليهودية ـ او المسيح ابن الله كما يقال فى المسيحية ؟؟

(جـ) صلاة المسلمين الى الكعبة لاغير ، وبيت المقدس قبلة منسوخة فى تشريع القرآن ، فكيف يكون مسلما من يصلى الى بيت المقدس ويعتقده قبلة حتى اليوم ؟؟ الخ الخ .

الحق : أن ثلاثية العقيدة تفكير مضطرب ، وعبث هازل .

والدين : لا يكون هزلا ، ولا مجالا للهزل .

والله يقول ـ حقا ـ « **انه لقول فصل ، وما هو بالهزل** » .

وكأن الملفقين لا يدينون بدين ، ولا بثلاثة ، وانما هى ستار يختبئون من ورائه ليخدعوا ، ويخادعوا .

واذا كانت لهم أحدوثة مصطنعة بأنهم يعملون أعمالا صالحة ويرجون ثوابها فسنعود ـ ان شاء الله ـ الى بيان حق فى ثواب الأعمال ـ وفق الله .

الاتحاد الاشتراكى العربى

فى ضوء الميثاق

الدكتور طعيمة الجرف

لقد أكد الميثاق أن الديمقراطية بالمفهوم السياسى والاجتماعى ، هى الحل السليم لمشكلات العمل الوطنى . بل انها وسيلة النضال الشعبى وغايته تحقيقا لمبدأ اساسى يقضى بأن تكون الثورة بالشعب وللشعب .

وتأسيسا على ذلك ، فان الديمقراطية تحتاج الى تنظيم شعبى يجمع الجماهير ويبلور مطالبها ويقود حركتها الى المستقبل ، بشرط أن يتبع هذا التنظيم بالطريق الديمقراطى ، وأن يجمع الجماهير المؤمنة بالثورة ، وأن يعبر ديمقراطيا عن ارادتها .

وقد افادت التجربة الوطنية كثيرا فى تحقيق الظروف الملائمة لامكانية قيام هذا التنظيم ، بما يصحح اخطاء الماضى ويتلافى مسببات عجز التنظيمات الشعبية السابقة منذ قيام الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ حتى الآن. **فقد دلت التجربة على أن هذه التنظيمات السابقة قد عجزت لسببين :**

أولهما : انها لم تملك دليلا واضحا للعمل الثورى ، تلتقى عليه الجهود الشعبية والسياسية ، مما جعل أساس التجمع فيها فرديا وليس جماهيريا .

وثانيهما : أن هذه التنظيمات قد وقعت فى خطأ توهم قيام الوحدة الوطنية على أساس غير سليم ، مما سبب قيام التصادم فى اطار هذه التنظيمات بين القوى الثورية بالطبيعة والقوى الرجعية بالطبيعة .

وباقرار الميثاق تهيأت امكانيات التنظيم السياسى السليم . فقد أعطى الميثاق دليلا واضحا للعمل الوطنى ، كما حدد بوضوح قوى الشعب العاملة التى يمكن ان تقوم بها الوحدة الوطنية بما يسمح لها بالتفاعل الديمقراطى لحل مشكلة الصراع الطبقى سلميا .

وفى البيان السياسى الذى قدمه سيادة رئيس الجمهورية الى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، تقرر ان يكون التنظيم الشعبى الجديد الذى هو الاتحاد الاشتراكى العربى ، بمثابة الجهاز العصبى لبنائنا الديمقراطى . ومن ثم فانه يجب أن تتوافر له عدة خصائص اساسية اهمها :

(ا) أن يتخذ من الميثاق، دليله للعمل، باعتبار أن هذا الميثاق هو حصيلة التجربة الوطنية ونتيجة الارادة الشعبية .

(ب) أن تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطيا بحيث يكون الانتخاب أساسا تجرى عليه جميع تشكيلاته فى المستويات المختلفة، وان تقوده هذه الجماهير الثورية ديمقراطيا كذلك، **بالمناقشة الحرة وبالنقد والنقد الذاتى ،** وباتباع قاعدة الالتزام بحيث يجب ان تنزل الأقلية على رأى الأغلبية .

(جـ) وكذلك فان الاتحاد الاشتراكى العربى يجب أن يكون الدرع الحامية لكل الضمانات الديمقراطية التى تقررت فى الميثاق بما فيها :

أولا – ان يضمن النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال .

ثانيا – أن يعمل على دعم التنظيمات النقابية والتعاونية .

ثالثا – أن يحقق مبدأ القيادة الجماعية على جميع المستويات .

رابعا – أن يسارع على نقل سلطة الدولة الى المجالس الشعبية المنتخبة تدريجيا وكلما كان ذلك ممكنا .

خامسا – أن يفتح الفرصة الكاملة لممارسة النقد والنقد الذاتى .

سادسا – أن يكون التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتوجهها فى جميع المجالات وعلى جميع المستويات .

سابعا – أن يعمل على تزويد العمل الوطنى بالقيادات المتجددة الصالحة ثقافيا وفكريا ، وعلى توسيع نطاق اشتراك الجماهير ايجابيا وربطها باستمرار بنشاطه .

ثامنا – أن يعمل على تنسيق النشاط الحكومى والشعبى لكى يزيل التعارض بين الشعب والحكومة ، وحتى يستقر باستمرار – فكرا وعملا – أن سلطة الحكومة هى امتداد لسلطة الشعب .

(د) ولذلك فان عضوية الاتحاد الاشتراكى لا بد وأن تخضع للمبادىء الآتية :

أولا – أن تكون قاصرة على القيادات الشعبية التى تستطيع ان تتحمل بكفاءة وأمانة مسئولياتها التاريخية .

ثانيا – أنها لذلك تكليف بالخدمة للقادرين على الوفاء بها .

ثالثا – كذلك يجب فى عضو الاتحاد الاشتراكى أن يكون ثوريا مؤمنا بالميثاق ، ليس منحرفا ولا مستغلا ، وأن يقف بكل قواه لأعداء الاشتراكية وان يحترم الشعب ولاينفصل عن قاعدته الجماهيرية ، وأن يعد نفسه صاحب الثورة وصاحب الاتحاد الاشتراكى ، وأن يقدم مصالح الشعب على مصالحه الشخصية .

رابعا – العضوية فى الاتحاد الاشتراكى على نوعين : عضوية عاملة وعضوية منتسبة .

أما العضوية المنتسبة فتشمل كل المواطنين الذين بلغوا سن الثانية عشرة ممن يقوم منهم التحالف الوطنى لقوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية .

وأما العضوية العاملة ، فتشمل كل مواطن كفء يقبل العمل داخل اطار الوحدات التأسيسية المختلفة .

نحو الحقيقة

الأستاذ البهي الخولي

لعل الكتابة فى المسائل الروحية لم تكن الزم فى وقت من الأوقات منها فى هذا الوقت .

ولا نريد بالمسائل الروحية ما يتعلق بحقيقة الروح ، فان الروح من أمر ربى ، ولا سبيل الى ادراكها بحواسنا العادية ، ولا سلطان لعقلنا الذى يسمونه العلمى أو الرياضى أن يطلع على بعض أمرها فى أفقها الأعلى ..

وكذلك لا نريد ما يشتغل به بعضهم من تحضير الأرواح ، وتلقى ماتجىء به من رسائل الغيب وانبائه .. لا نريد شيئا من ذلك أو نحوه من أمور لا يتعلق بها اى نفع فى عاجل أمرنا أو آجله ، **انما نريد أن نعود الى « حقيقة أنفسنا » .. الى « حقيقة وجودنا » ونفكر فيما يحيى تلك الحقيقة ويزكى هذا الوجود ، فان من يحيا بعيدا عن حقيقة نفسه لا وجود له .. ولأمر ما ، دعانا الحق سبحانه بقوله : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »**

ونحن فى وقت بلغت فيه الموجة المادية اقصى قدها ، وتوشك أن تنقلب راجعة أو مندحرة أمام سلطان الحق فى فطرة الانسان ، تاركة لتلك الفطرة أن تحقق مبادئها ومثلها فى ضمائر الناس وواقع حياتهم

ونعنى بالموجة المادية أمرين أساسيين :

الأول : ذلك التفكير الحسى الذى لايعترف بغير الأمور المحسة ويجحد كل الجحود أن يكون وراء المادة اى أثر غير محسوس .. فلا وجود لله فى زعمهم ، ولا روح أصيلة فى ضمير الانسان أو خارجه ، لأن وسائلهم العلمية التجريبية لا تثبت شيئا من ذلك .

ولقد كان للقدامى فى كل عصر مادية فى التفكير ، لكنها كانت مادية ساذجة ، تقوم على كثير من الخرافة والجهل ، فلا تلبث أن تذوب أو تنهار تحت أشعة الذهن الفاحص ، أو سطوة البرهان الجلى .. أما ماديتنا المعاصرة ، فتعتمد على فلسفات دقيقة ، وتفكير حر منظم ، وعلم تجريبى بهر الألباب بما أفتن واخترع وكشف من أسرار الطبيعة .. فهى ذات أسناد من العلم والمنطق ، فلا يسهل عليك أن تهزها فى صدور معتقديها .

والأمر الثانى من مرادنا بالموجة المادية ، ذلك المتاع الحسى الذى يذهب الى أبعد مدى فى لذة الجسد ، وشهوات النفس ، وترف الجوارح والحواس .

ولقد كان للماضين فى تمتعهم الحسى عرف فى الفضيلة ، يمنعهم ان يسقطوا قيم المروءة والعرض حفاظا وأنفة ، حتى ليقول قائلهم :

فاذا شربت فاننى مستهلك
مالى .. وعرضى وافر لم يكلم
فاذاصحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلى وتكرمى

أما المادية التى منطقها العلم والفلسفة ، فقد أزرت بقيم الماضى فى الحياء والتصون ، واعتدت من شارات التخلف والجهل ، أن يحجم المرء فى خاصة نفسه عما يعن له من هوى ولذة تهيبا ورعاية لموروثات بالية فى العفة والعرض

وبهذين جمعت على نفسها بين ضلالة الهوى والعلم ، ومثلت لنا حقيقة ما اراد سبحانه بقوله : « **أفرأيت من اتخذ الهه هواه ،**

وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟! .. أفلا تذكرون ؟ »

ولقد بلغ من غرور العلم والاعتداد بحرية السلوك فى المتعة والهوى ، أن اعتدوا الحادهم ذاك هو الدين الحق ، واحتسبوا تبذلهم فى علائق الجنس ونحوها مرتبة حضارية يقدسها المجتمع ويرعاها القانون ، فاذا رحت تحاجهم فى الله وما وراء المادة ، فأنت تحاجهم بمنطق الخرافة .. واذا ذهبت تنذرهم عاقبة الانحلال والتبذل رثوا لحالك ، وابتسموا لما تدعوهم اليه من تخلف وردة ..

وحين يبلغ البعد بين المتناظرين ان تكون حجج كل طرف هى البرهان الذى يؤكد للاخر صدق ماهو عليه ، يغدو الحجاج عبثا لاطائل وراءه .. وليس أبعد من متناظرين توصل أحدهما - بتأمل بصيرته فى آيات السماء والأرض - الى الايمان بالله ، وأن ما وراء المادة هو الوجود الحق ، وتوصل الآخر - بوسائله العلمية البحتة - الى أن المادة هى كل شىء فى الحياة،وأن ليس وراءها سوى تخمين الظنون والأوهام .. فان أولهما لا يزيده ما يأتى به مجادله من البراهين الحسية البحتة الا ثقة بايمانه ، فانه لا صنعة بغير صانع ، ولا أثر بدون مؤثر .. والثانى لا يزيده ما يلقيه صاحبه الا ثقة بمذهبه ، فانه لم ينكر ما وراء المادة الا بالفروض النظرية التى لا يجد فيها ما يلمسه أو يحسه ..

واذ يغدو الحجاج على هذا النمط : لا يكون للحق من آية الا أن ينبعث البرهان من بين أصابع المنكرين أنفسهم ، أو أن تنطق به فطرهم على نحو من الانحاء ، والا : فمن يهديه من بعد الله ؟ » ، وذلك ما تبدو طلائعه اليوم ، اذ ظل استاذ المادة يقبض على الذرة بيده ، ويعتدها برهانه الذى لا يدحض على انكار ما وراءها ، فاذا بها تتحطم ، وتتحول كهاربها الى سر رهيب عجيب ، بهت له جبروت العلم ، لا هو مادة ، لأن أحكامها لا تنطبق عليه ، ولا هو روح ، لأنه لا يدرى ما الروح ، وكل ماتحققه من أمره أنه شىء « وراء المادة » يهتف فى ضميره بمضمون قول الله تعالى : **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** .. ومن بين هؤلاء بدات طليعة تسابق المؤمنين فى اثبات وجود الله عز وجل ..

والى جانب ذلك بدأ بعض كتابهم وكبار مفكريهم يلحظون ما يبدو على الانسانية من نهم مادى ، وما يقترن بهذا النهم من قلق ، وملل ، وتطلع للسعادة والاستقرار على غير جدوى ، وما يقترن بذلك كله من تفريط فى حق المثل العليا ، وما يتوقع له من انحلال روابط المجتمع ، وتدمير ما حققت الانسانية فى عصورها المختلفة من ثقافة ومثل .. يلحظون ذلك ويعللونه بأن الروح اذ فقدت زادها بحضارة المادة ومتاع الحس ، لم يغنها شىء من ذلك عما فقدته ، فأقامت على الضجر ، والقلق ، والمقاومة ، والاباء لما تلقى من جحود وحرمان .. فما يبدو على الناس فى المجتمعات المادية الحسية من نهم فى المطالب ، وملل لا يستقر على حال ، فهو يدفع ذويه كل آن الى تغيير ألوان الحياة ، وتقليب وجوهها المختلفة ، لعله أن يظفر فى أحدها بطلبته المرجوة .. ما يبدو على الناس من ذلك: انهو الا أثر الصراع الدائر فىأعماق المرء بين فطرة الله فيه ، ومادية الفكر واللذة للاستيلاء على وعيه وارادته.. ويصورون ذلك فيما يضعون من كتب ، وما ينشئون من قصص لها قدرها.. وتلك طليعة أخرى تدعو الناس الى حقائقهم الروحية بمضمون قوله سبحانه : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** »

ولم يكن من المصادفات العارضة أن يقوم بالدعوة الى الروح طليعة من الباحثين فى الآفاق فى الوقت الذى نهضت فيه طليعة أخرى من علماء النفس وأدبائها بمثل ذلك ، انما هو القدر المرسوم فى علم الله ، جلاله سبحانه لوقته ، تبصرة للناس ، وانجازا لوعوده فى قوله جل شأنه « **سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهمأنه الحق أو لميكف بربك أنه على كل شىء شهيد**»

واذا فنحن فى وقت تتنادى فيه طلائع الغرب - بلسان العلم والفلسفة والأدب -

بوجوب الايمان بالروح ، وضرورة اتخاذها أساسا لمطالب الحياة العصرية ، أو فى وقت توشك فيه الموجة المادية أن تنحسر عن عقول الناس وضمائرهم ، تاركة لفطرة الله فيهم ان تحقق ذاتها علما صادقا ، وخلقا ينهج بالانسانية قصد السبيل

ولكن القوم اذ عرفوا مكان العلة ، لم يهتدوا الى التشخيص التحليلى لحقيقة الداء وذلك شأن من يجتهد فى تلك الاسرار على غير وحى الله ، ولا جرم ان يقوم وصفهم للدواء على مجرد التخمين والظن .. فثمة اخطاء فى فهم الروح ، ووظيفة العقل ، وحقيقة الزاد الذى فقدته ضمائر الناس ، والمصدر الذى يلتمس منه ، والغاية التى ينبغى لها ، واثر ذلك كله فى السعادة الكاملة للانسان

وليس من قصدنا فى هذا المقام ان نعرض لشىء من تلك الأخطاء بتصويب ، انما نريد ان نقرر - غير غالين ولا متعصبين تعصب الجهال - ان القرآن الكريم فى هذا الباب - كما هو فى غيره - كتاب الانسانية الحق ، وديوانها الصادق الذى جمع لها من أصول علل النفس ومناهج تزكيتها - على وفاء واصالة - ما تنقطع دونه مرامى الحكماء ، ولا يقارب شأوه سواه مما أنزل الله من كتب ، وانه فى ذلك لا يذكر وصفات مجربة أو غير مجربة ، بل يذكر السنن التى قدرها الله تعالى لكل شىء ، فهو سبحانه **« الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى »** فلكل شىء نواميس فطرته التى يكتمل بها وجوده ، ويتحقق بها ثمره ، فاذا انحرف عنها ، فالانحراف هو العلة ، التى يتخلف بها الثمر ، ويقف دونها الاكتمال .. **وما تعانيه الانسانية اليوم قطعا ليس سوى انحراف الانسان عن نظام خلقه ، ونواميس اكتماله .. قد نسميه شقوة ، أو ضلالا ، أو قلقا ، أو خطيئة ، ولكنه قبل ذلك انحراف الكائن الحى عن نواميس تكوينه ، أو تعطيل تلك النواميس بعوارض قد لا تخفى على التحقيق والتدقيق**

ومعلوم ان للبدن قانون احتماله الذى يبنى له الخلايا ، ويحقق نموه المطرد ، حتى يبلغ تمام البنية وسواء الأعضاء .. ولا ارادة للانسان فى ذلك القانون ، فهو يؤدى وظيفته فى غير اشراف للعقل أو الارادة ..

ولغرائز الانسان قانون اكتمالها الذى تعبر به عن نفسها ، وتلح به فى ادراك مطالبها .. وهو قانون يثيره ما تقع عليه الحواس من عرض الدنيا ومتاعبها الحسى والنفسى ... ويبدأ عمله قبل أن يعى الانسان نفسه ، ثم لا يلبث ان يكون للارادة فيه دخل ، وللعقل فى جمعه والوصول اليه تقدير وتدبير ... وهو الجهاز الذى يزين للناس حب **« الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .. الآية »**

ولكيانه الروحى ، الذى هو حقيقة وجوده قانون اكتماله ، وهو نزوعه الى مبادىء الفضيلة والخير ، ومثل الحق والعدالة .. واذا كانت غلبة غرائز المرء على عقله وارادته فى اكثر احيانه تمنع ظهور ذلك النزوع ، فانه كثيرا ما يتضح حين تخلو ظروفه من الملابسات الداعية للميل والهوى ، فيرتاح - مثلا - اذا انتصر الحق فى قضية عادلة ، ويتألم اذا رأى جورا يستبد بمسكين ضعيف

ويتماثل الكائن الروحى ، وجهاز الغرائز فى أن كلا منهما أمر واقع لا ريب فيه ، واذا كان نزوع الغرائز الى مطالبها هو البرهان الذى دل عليها واكد وجودها ، فلا جرم ان تدلنا نزعات الخير على مصدرها المستكن فى ضمير الانسان

ويتفقان أيضا فى ان منافذ كل منهما الى عالم الطبيعة هى حواس البدن .. فالغرائز تتصل بالكائنات الخارجية عن طريق الحواس ، وتنفعل انفعالها ، وتؤدى وظيفتها بحسب مالها مع كل كائن من مأرب .. فتحب شيئا ما ، وتقبل عليه ، أو تحذره وتنفر منه ، بحسب ما جربت له من نفع ولذة ، او ضر والم .. وذلك من قوانين السعى والعمارة التى تسير فى اتجاه **قوله تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »**

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »

وكذلك الكائن الروحى يتصل بتلك الكائنات المحسة عن طريق الحواس ، وينفعل انفعاله ، ويؤدى وظيفته بحسب ما له فى كل كائن من مأرب « وكائنات الطبيعة كلها بالنسبة لهذا الكائن نافعة ، حسنة ، جميلة ، لأنها كلها ذات دلالة على الله تعالى ، ولأنها من خلقه وصنعه سبحانه .. فهى خير كلها ، خير يتملاه ذلك الكائن ، ويتزوده ، ويسعد به ، ويبلغ عليه اكتماله المقدور .. **وذلك من القوانين التى تبعث الانسان فى اتجاه قوله تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ؟ » « او لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ؟ »**

وغنى عن البيان ان الغرائز اقرب تأثرا بكائنات الطبيعة ، وأسرع انفعالا بها من الكائن الروحى ، لدى أكثر الناس ، ولذلك يكون ثمة حجاب معنوى يشغل حواس المرء ووعيه بانفعال غرائزه ومطالبها ويغلظ ذلك الحجاب أو يرق بحسب استغراق عقل الانسان وارادته فى خدمة الغرائز ، أو تحررهما من تلك الخدمة .. وعلى قدر رقة الحجاب أو كثافته يكون حظ الكائن الروحى من رؤية الكائنات الخارجية .. أى شهود صلتها بالله وما ضمنها سبحانه من حقيقة الخير

ومن هنا يتبين أن لنا ضر بين ضرورين من الاتصال بالكائنات : احدهما حسى ، تنفعل به الغرائز ، وتؤدى به وظيفتها ، وبه يتوفر للبدن مطالبه .. والاخر روحى ، لاينظر فى الكائنات الى قوامها المادى ، ولا يبغى منها اى نفع للحس أو لذة للغرائز ، فهو اتصال ينظر الى الكائنات على انها اثر للخالق سبحانه فيها بهاء الاتقان والاحسان .. وفيه جلال الجد ، والقدرة والحكمة والعلم .. وفيه تلطف الودود بالنعم ، وعنايته بتسخير الكائنات رحمة وفضلا منه

وانفعال الكائن الروحى بذلك ، هو زاده الذى يحيا به ، والقانون الذى يبلغ عليه اكتماله

فثمة ضربان من النفع لاغنى للانسان عنهما : أحدهما حسى ، والاخر روحى .. والذى تقره الفطر ، وتسلمه العقول ، أن النفع الروحى أفضل من النفع الحسى ، ونحن نقرأ فى ذلك قول الله تعالى : « وتزودوا ، فان خير الزاد التقوى » فهو سبحانه يأمر باعداد الزاد الحسى ، لكنه يلفت الأذهان الى أن أفضل ما يتزوده المرء هو تقواه سبحانه .. ومن هذا القبيل **قوله تعالى : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير » ..**

ولعل أوضح من هذا وأجمع فى المفاضلة أن نقرن قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » الى قوله سبحانه : « قل متاع الدنيا قليل » . فقد بين أن الحكمة التى يؤتاها فرد واحد « خير كثير » وان الدنيا بأسرها « متاع قليل » فاذا كان ما يستعظمه الناس من أمر الدنيا كلها قليلا الى جانب مايرزق المرء من الحكمة ، فأى سعادة تتملاها ضمائر الحكماء من هذا الخير الذى وصفه الله تعالى بأنه كثير؟ .. وقد بين الفخر الرازى أن البرهان العقلى يطابق ما يستنبط من هذه الموازنة بقوله : « لأن الدنيا متناهية المقدار .. متناهية العدد .. متناهية المدة ، وعلوم الحكمة لا نهاية لمراتبها ، وعددها ومدة بقائها ، والسعادة الحاصلة منها .. وذلك ينبيك على فضيلة العلم »

ولكن الأمر اجل – فى القرآن – من أن يكتفى فيه بعرض تقسيمات نظرية ، ومفاضلات ذات عموم واجمال ، فلابد من ارشاد ، وتفصيل ، وتسديد ، ومعالجة تقيم الوضع على سنته التى ارادها له الله سبحانه .. وان العجب لحكمة القرآن فى هذا الباب ، لا ينتهى اذ يعرض دقائق السنن فى الخبر الحسى والروحى ، فلا يشعب هم المرء فى التماس هذا من شقوق الأرض ، والتماس ذاك من أفواه العلماء بل يجمعه على قضية واحدة ، تعذر اليه بانتفاء الجهد ووضوح المراد ، فان لنا فى كل نعمة بين أيدينا خيرا

حسيا ، وآخر روحيا ، ولابد ٠٠ فاذا كانت النعمة مما يطعم ــ مثلا ــ ففيها خير لمعدتة البدنية ، وآخر لمعدته الروحية هو فضل الله فى المنة بها .. والأول يحصل بمجرد الأكل والاخر يحصل بملاحظة نسبتها الى الله سبحانه .. وحين جمعنا الله فى شأن الزرع والشجرة على أن نأكل « من ثمره اذا أثمر » وأن ننظر « الى ثمره اذا أثمر » لم يرد سبحانه بالأمر مجرد اباحة الأكل ، فان الاباحة تخيير ولا خيار لنا فى أن نأكل أولا نأكل ، بل أراد الى ذلك تقرير الناموس الفطرى الذى يتحقق به للمرء مالا غنى له عنه من المطالب ٠٠ وكذلك لم يرد سبحانه بقوله : « **انظروا الى ثمره اذا أثمر** » مجرد النظر الى جرم الثمر ، فان ذلك نظر يسبقنا اليه الحيوان دون تكليف من الله انما أراد نظر البصيرة التى تستخلص من كل نعمة فضل الله فيها ، فهو ناموس آخر يتحقق ، للمرء ما لا غنى عنه من المطالب ٠

وقد لا يفطن كثيرون الى هذا الضرب من النظر مع أن مثاله التقريبى يحصل فى كثير من تجاربنا اليومية ، فان أحدنا قد يقف مستغرقا فى اعجابه أقام صورة متقنة ، من ابداع فنان موهوب ، مع انها لا تعدو أن تكون تقليدا لما صنع الخالق سبحانه .. وهى فى باب التقليد لا تعدو معالم الحس ، وحكاية المثابة الظاهرة ، أما الحياة التى هى تبع الجمال فى كل شىء فهيهات .. فاذا كان هذا شأن أحدنا بازاء صورة من هذا القبيل : فانظر ما يجب أن يكون شأنه فى آيات الطبيعة وقد اجتمع لها من سر الحياة وابداع الخالق ما لا نهاية لحسنه ؟!

ذلك والفنان لم يخطر له معنى الحفاوة بأى زائر أو ناظر الى فئة ، فانظر ما يجب أن يكون عليه وجدان أحدنا ، وهو يرى آثار عناية الخالق به فى كل نعمة ، قد احتفى له سبحانه بطعومها ، وألوانها ، وانواعها ، فما من نعمة منها الا وهى رسالة ود وتلطف منه سبحانه ، قد ارادها من أجله ، وفصلها على ذوقه وطبعه ..

واذا كانت حقيقة الصورة ليست سوى الوانها وتقاسيمها التى أحكمتها موهبة الفن أما ورقتها التى رسمت عليها فلا حساب لها بين المدركين لذلك الشأن ، فان حقيقة كل نعمة ليست سوى فضل الله تعالى فيها ، أما صفحتها الحسية فلا اعتبار لها فى تقدير العارفين .. ذلك الى أن التقاسيم فى الصورة وتوزيع الظلال والألوان ، ليست الا تعبيرا عن صفات الفنان الموهوب ، وما له من خصائص الابداع والاجادة ، فاذا لم تكن مواهب ولا اجادة ، فهو عبث لا يقف عنده ذو بصيرة ٠٠ واذا ــ فالفرح الباعث على الاعجاب والتقدير ، هو فرح بصفات الفنان القادرة على تمثيل نفسها جمالا تتملاه البصائر والأذواق .. وهذا تقرير أو تمهيد يرفع للاذهان ما نريد من آثار صفات الله فى النعم ، فتلك الصفات القدسية قادرة على تمثيل ذاتها جمالا ورحمة وودا ، وفضلا ، وحكمة وذلك هو حقيقة الانعام الذى يجب أن يشهد فى كل نعمة ، والا يشهد فى أى نعمة سواه ، فهو حقيقتها ، وهى لم تكن نعمة الا به .. واذا ــ فافضل ما يرزقه المرء من النعمة هو ذلك الزاد القدسى

وقد يبدو أننا أمعنا فى أفق مثالى ٠٠ والحق اننا لم نبعد عن الواقع قيد شعرة ، فالفنان وصورته لم يغيبا عنا فى كلمة واحدة ، ولا يعارض أحدنا فى أن نعم الله معارض جمال وآيات حسن وحكمة ٠٠ وهى فى الوقت نفسه طيبات أبدعت من أجلنا ، فيها قصد الحفاوة والالطاف ، والتودد ، وتلك حقائق يفرض لها الواقع مواجيد راقية فى النفس ، فاذا لم تكن تلك المواجيد فنحن بازاء كائن يجرى على غير سنته ، حين يحيا المرء بوعيه كله مع غرائزه وحدها ، ويترخص فى سنن كائنه الروحى ، ويعتدها أمورا كمالية ، فهو يأكل « **كلوا من ثمره اذا أثمر** » ويعجله أو يشغله الأكل عن النظر الى حقيقة النعمة ، ولعل ذلك بعض المراد يقول الله تعالى : « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم** » ، فوجه الشبه بين أكل أولئك المتمتعين ، وأكل الأنعام ، لا يرجع الى صورة حسية فى مضغ الطعام وحركات تناوله

وازدراده ، انما يرجع الى حقيقة نفسية مشتركة هى الاستغراق فى مادية الطعمة ، دون النظر ، أو التفكير ، او الاحساس بما لهما من دلالات قدسية على الله ، ولذلك وصفوا بأنهم كفرة ، اذ حقيقة الكفر أن يعرض المرء بقلبه ، وعقله ومشاعره عن رؤية آثار الله فى آياته ونعمه ، فلا يكون لها فى ضميره خلجة قدسية تحييه ، وتضيئه بالحنان ، والذكر ، والخشوع ، والثناء ..

ويمتد ارشاد القرآن فيعلمنا كيف نجنى الخير الروحى من سائر النعم الى جانب ما لها من خير حسى .

فالزواج ـ مثلا ـ نعمة جليلة، أو هو سنة فى نعمة ، فاذا كان للغريزة فيه مأرب ، فمن سقوط الهمة وانتكاس الحال ، ان يغدو ذلك المأرب هو كل حظ الانسان من تلك النعمة ، ولذا اختار لنا سبحانه من دماء ذوى البصائر قولهم : « **ربنا هب لنا من أزواجنا ، وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما** » فان قرة العين ليست ـ قطعا ـ ما يصيب الرجل فى فراش زوجته ، فان فهم العرفاء يتسامى فى تقدير قرة العين عن هذا المستوى وهم يعلمون ان امام أهل المعرفة صلى الله عليه وسلم يقول : « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » .. وقد تكون قرة العين ما يجد الرجل فى صلاح زوجته من معونة له على الخير ، أو ما يجد فى ذلك الصلاح من جمال النفس وحسن الخلق ، وقد تكون غير ذلك مما لسنا بصدد تعداده ، فان لب الارشاد أن يدرك المرء ان لله فى كل شىء ضروبا من الخير لا تدركها الأبصار ، ولا يحتسبها الذهن ، فاذا قضى له زواج فليستقبل فيه عهدا حافلا لا يدرى ما أخفى له فيه من قرة عين ، وليسأل الله بقلبه أن يهب له من ذلك ما تقر به عينه ، فانه منجز له سؤله .. وهذا الخير هو الذى أرشد اليه الله سبحانه بقوله : « **فان كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** » وكأنه سبحانه بهذا يوجهنا الى أن ننظر الى الزواج ببصائر الايمان لا من خلال الغريزة المتقلبة الملول ، فان الغريزة وظيفة ، وليست حكما فى خير أو دليلا عليه ، وقصرها على الوظيفة مع تطلب ما لله فى مقاديره من خير ، يردها الى موطن المواءمة فتغدو داعية سكن وود .. أما تدليلها على التقلب والملل ، فيغلق دوننا أبواب الرحمة ويفتح السبل الى انهدام الاسر وتداعى أسس المجتمعات الى آخر ماتنبىء به النذر من شرور

وللمال فتونه ـ كما للطعام والزواج ـ ويخطىء من يظن أن القرآن يمقت حب المال أو يكره الجد فى تحصيله ، فحب المال بعض طبيعة الانسان، والسعى فى تحصيله،تحصيل لأسباب الحياة ، وقد أثنى الله سبحانه على سليمان عليه السلام (اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال: انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على، فطفق مسحا بالسوق والأعناق » . والصافنات الجياد هن الخيل التى قال عنها سليمان عليه السلام :« **انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى** فالخيل على هذا ضرب من المال أحبه أحد الأنبياء وجاء ذكره فى معرض ثناء الله سبحانه عليه .

انما يمقت القرآن أن ينحرف هذا الحب الى ما يعارض فطرة الانسان نفسه على نحو مانقرؤه فى قول الله تعالى : « ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد » فالخير فى الآية الأخيرة هو المال .. والشديد هو البخيل،ومعنى الآية ان الانسان بسبب حبه المال لبخيل ممسك .. **قال فى لسان العرب** : « ورجل شديد : شحيح . **وفى التنزيل العزيز** : وانه لحب الخير لشديد ، **قال ابو اسحاق** : انه من أجل حب المال لبخيل » .. وذلك فعل الغريزة حين تنحرف من فضيلة الادخار الى علة كانزة تدعو للقطيعة والشح ، وهى دعوة تعترض اكتمال الكيان الروحى فى أقدس مقوماته ، ولا نعيد ماقدمناه من أن نواميس اكتمال هذا الكائن هى نزوعه لمبادىء الفضيلة والخير وعقل الحق والعدالة ، انما تشير الى الآثار الفادحة التى تنزل بهذا الكيان،حين نترخص فى سننه ونعتدها أمورا كمالية، فاننا نستطيع ان نتصور ما يحل بالبدن من عطب اذا توقف ناموس اكتماله عن بناء خلاياه ـ مثلا ـ لنقيس

عليه ما يحل بـ « الذات العليا » للانسان اذا توقف ناموس اكتمالها بعارض ما . فانه لن يكون ثمة الا ذات ممسوخة شائهة ، هى حقيقة وجودنا التى نلقى بها الله بعد ان ينتهى دور البدن فى هذه الدنيا

فحب المال أمر جبلى ، اذا استقام على سواء الفطرة ، فهو ما يرضى الله على ما راينا فى مثال سليمان عليه السلام ، واذا انحرف الى ما يفسد ، فهو ما يغضبه تعالى .. والفرق بين ما اثنى عليه الله تعالى ، وما عابه ، نلمحه فى **قول سليمان عليه السلام : « انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى »** أى ان حبه للمال زكت منابته ومفارسه فى طبعه بما جادها من الذكر القدسى ، فأحبه لما كسب من قداسة وشرف ، قال **الفخر الرازى** : « فقوله أحببت حب الخير بمعنى احببت حبى لهذه الخيل ، ثم قال عن ذكر ربى بمعنى أن هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله وأمره ، لا عن الشهوة والهوى » .. أما الآخر فقد قام حبه للخير على كنود لربه ، والكنود فى معنى الكفر الذى اسلفناه ، هو ان يعرض المرء بقلبه وفكره ، ومشاعره عن رؤية آثار الله تعالى فى آياته ونعمه .. وشتان بين من يحب المال عن ذكر ربه ، ومن يحبه عن ذكر نفسه .

فالأول فطرة سوية ، اطلعت على الوجود ، فلم تشهد بصائرها به سوى الخالق سبحانه فكان حظها الذكر ، والجمال ، والخير ... وتبعتها على هذا السمت خصائص الطبع ووشائجه الجبلية فيما يحب ويكره .. فوضع ما يملك من مال وغيره فى خدمة الحق وتأييده ووجد لذلك فرحا يزداد به حبه ، كلما رآه نائما موفقا واضح الأثر فيما وجه اليه .. وكان لسليمان تلك الخيل التى احبها لما ارتبط به نفعها من فتح وغزو فى الله ، فعرضت عليه ذات يوم ، فتبعتها عينه فى حب ومعزة ، حتى توارت خلف الأفق ، وكانه لم يقض لحبه حظه من النظر اليها ، فقال فى شوق ردوها على .. فلما ردوها ، قام اليها ــ وهو النبى الملك ــ وطفق يمسح سوقها واعناقها بيده فى حنان ، وحب ، ورضى ..

ولعلنا فى غنى عن بيان حال الآخر . اذ كان على نقيض ما أوضحنا من مثل سليمان عليه السلام

ولكن الموازنة بين مثلين قد تنفع فى استخراج احكام لما يجب ان يكون ، وهو شأن الخواص ، أما عموم المكلفين ، فلهم ارشادهم العملى ولابد ، وهنا نرى القرآن كانه يدخل على أحدهم فى خاصة ما له ، يرشده الى خفى عنه من حقيقة نفعه : « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير .. الآية** » . وحين يذكر الخير فى سياق الشعائر ، فهو خير روحى ، أما البدن ، فهى الابل والبقر التى يتقرب بها الى الله تعالى فى الحج والعمرة . وقد اجتزىء بذكر منافعها الروحية دون منافعها العادية لأن مقام المناسك يقتضى افراده بالتنويه اما فى غير سياق المناسك ، فنرى النظم الكريم يوالى بين ذكر هذه وتلك ، وارجع الى اوائل سورة النحل تجد قوله تعالى : **« ولكم فيها جمال » عقب قوله : « ومنها تاكلون » .. وتجد قوله : « وزينة » عقب قوله : « لتركبوها »** .. **وتجد ذكر رحمة الله ورأفته فى قوله : « ان ربكم لرءوف رحيم » عقب قوله : « وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس »**

فذاك تفصيل واضح لنوعى النفع ، أريد به بيان ما خفى عنا من ازدواج الخير فى نعم المال .. لترتقى أذواقنا من رتبة الاستمتاع الحسى بـ « الأكل » و « الركوب » ونحوهما الى رتبة تذوق القيم الروحية فى « الجمال » و « الزينة » و « الرحمة »

وبعد فان اخطاء الانسانية أو آثامها التى تشقى بها نفسها اليوم ليست شرا فى ذاتها ، فما هى الا اضطراب فى تنسيق القوى الفطرية التى تبنى للمرء كيانه الكامل ، أو اضطراب فى الوظائف العاملة فى هذا البناء .. فأيما اضطراب وقع عليه النظر من هذا القبيل فهو قوة مباركة انحرفت عن غايتها ويوشك الارشاد الحكيم ان يردها الى الاعتدال ، وان ما قدمنا من نماذج هذا الارشاد جدير أن يجعلنا نثق كل الثقة بأن القرآن الكريم هو جامع ذلك الارشاد

كونية الإسلام

وحاجات المجتمعات الراقية

الدكتور محمد غلاب

مما لاريب فيه أن الفكرة الرئيسية لهذه الحركة التحررية الهائلة التى أشعل الافريقيون والأسيويون نيرانها ، وأعشت الأبصار أضواؤها ، وكاد يحرق الظالمين لهيبها ، وهى تحقيق الاستقلال الكامل للامم الاسلامية وغيرها من الشعوب العريقة التى قضت عليها الظروف السيئة بأن تبقى تحت نير الاضطهاد كل ذلك الزمن الطويل البغيض . ومن آيات ذلك أن زعماء تلك الأصقاع الطيبة المليئة بالأسرار والأنوار قد هبوا على قلب رجل واحد ، ونظموا ثوراتهم المباركة التى لم تعرف غير غاية واحدة هى الحرية والتقدم واستعادة ماضيها المجيد فى احراز قصب السبق والصدارة فى قيادة الانسانية وارشادها الى الرقى والخير والنور كما كان أسلافهم يفعلون فى العصور الغابرة ، أثناء كانوا يرفلون فى ثياب الحضارة الروحية التليدة ، ويمثلون المعرفة الصحيحة فى أبهى صورها فيجيدون الحساب والجبر والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والتشريح ويتوجون ذلك كله بالفلسفة العقلية فى مختلف فروعها ونواحيها وكان كل ذلك حقيقة واقعة ابان كان أجداد مستعمريهم يقطنون الغابات ، ويقتلون الحيوانات بالأحجار فيشوون جلودها وينبذون لحومها جهلا منهم بما يؤكل ومالا ينبذ كما شهد بذلك النزهاء من بنى جلدتهم وسجلوه فى كتبهم .

ولاجرم أن معنى هذه الثورات هو أن المحدثين من أبناء تلك الأمم العريقة قد تنبهوا الى مكانتهم الحقيقية وأدركوا منزلتهم الصحيحة ، فنهضوا من نومهم الذى طال مداه ، ونفضوا عن أنفسهم غبار السنين ، وزأروا زأرات الأسد فى العرين، وأقسموا غير مترددين ولا متهيبين ألا يتركوا حريتهم قيد أنملة حتى يظفروا بها كاملة أو يلهكوا دونها غير نادمين ولا آسفين ، بل سعداء مغتبطين .

غير أن هذه النهضة الوطنية ـ عندما يتعلق الأمر بالأمم الاسلامية ـ ينضم اليها عنصر رئيسى آخر هو الفكرة الدينية التى هى أساس التماسك والقوة والغلبة والهيبةوالنجاح ،والتى يبذل الغرب الاستعمارى جهوداجبارة فى هدمها أو النيل منها ، بتهوين شأنها عند أهلها ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠

ولكن على الرغم من أن صوت الاسلام قد بدأ يدوى عاليا ويجلجل من جديد ، ويرغم الصم والبكم على سماعه ، ويشعر الدانى والقاصى بقوته المفعمة بالسكينة والسلام ، ويخطو بأهله نحو التقدم خطوات واسعةحازمة وثيقة تبشر بأن الأذكياء فى العالم الحديث من جميع الأجناس سيدخلون عما قريب فى دين الله أفواجا ٠

على الرغم من هذا كله ، بقى على صفوة المسلمين وعليتهم المثقفة واجب ثقيل هوأن يقفوا بالمرصاد وكلهم أعين محدقة ، وآذان صاغية ، وأرواح صافية ، وقلوب واعية متنبهة ، وأن يحملوا أعباء الجهاد والكفاح ضد هذه الحركة المعادية المثارة على الاسلام من الغرب الاستعمارى المتوحش الذى نبذ مسيحيته وأصبح بسبب أهوائه الجشعة أقرب الىالوثنية منه الى الديانة السماوية التى أول مبادئها الحب والغيرية ٠

وأولى خطوات هذا الكفاح الواجب على الصفوة الاسلامية ، هى تبديد أستارالظل التى بسطها المستعمرون وأعوانهم من مغرضى المستشرقين على بعض أنوار الاسلام ليخفوا معالمها على الأبرياء ، فيصلوا بذلك الى تشويه جماله ، وتمويه حقائقه « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » ومن أخطر هذه الفكر الزائفة ، والأوهام التى لاوجودلها ، والافتراءات البعيدة عن الواقع ، بعدالعدم عن الوجود ، هى تلك الصورة الدميمة المشوهة التى يبرزونفيها الاسلام مغلقا دون العلم ، وعدوا لانتشاره وغير قابل للانسجام مع الصور الاجتماعية التى تهدف الى تقدم الانسانية كالديمقراطية التى تجعل آمال الشعوب واقعة ملموسة ٠

ونحن لكى نرد على هذه الأباطيل ، بما يدحضها ويجعلها أثرا بعد عين ، **ينبغى أن نقرر بدهيا أن أولى خصائص الاسلام التى يمتاز بها عن الديانات الأخرى ، هى الفطرية والكونية والصلاحية لكل زمان ومكان ٠ ومعنى الفطرية أنه هو الدين الملائم بطبيعته للفطرة المستقيمة التى لم تفسدها عوامل طارئة ، ولا ظروف أجنبية « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ٠ « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه هما اللذان يمجسانه ، أو يهودانه أو ينصرانه »**

واذا كانت كلمتا الفطرة والاسلام مترادفتين فقد اتضح وصف القرآن ابراهيم أو غيره من الأنبياء عليهم السلام ـ بأنهم مسلمون ٠ وهنا يحق لنا أن نقف وقفة عاجلة عند هذه المناسبة لنشير اشارةخاطفةالى أولئك السطحيين وأنصاف الأميين الذين طالما رأيناهم يسخرون من نص القرآن على اسلام ابراهيم قائلين : « كيفيكون ابراهيم مسلما وقد وجد قبل الاسلام بأكثر من عشرين قرنا من الزمان » ٠٠ وقد فات أولئك المتسرعين أن معنى اسلام ابراهيم هو فطرته ولكن « مايعقلها الا العالمون » ٠

« وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم »

أما الكونية فهى واضحة جلية فى تجاوز الاسلام جميع الحدود الموضعية ، والآفاقالمحلية واتمام مبادىء الأديان الأخرى واكمال تعاليمها واختصاصه بالتوحيد الفطرى النقى الذى لا شائبة فيه ولا تذبذب ٠

وليست هذه شهادة مسلم لدينه ، وانما هى شهادة فريق من علماء الغرب النزهاء نخصمنهم بالذكر هنا ثلاثة من أعلامهم : أولهم المستشرق الفرنسى النزيه المأسوف عليه الأستاذ لويس ماسينيون عضو مجمعنا اللغوى السابق اذ يقول : أما كونه عاما فلأن مبادئه الدولية قد تركت فى نفوس صوفيته الذين فهموه حق الفهم أثرا خالدا فعالا جعلهم فى جميع البلاد التى ارتحلوا اليها قدوة صالحة أثرت فىنفوس أهلها ، وبالتالى فى اعتناقهم الاسلام أضعاف مافعله الغزاة الفاتحون ٠

وهذا المبدأ الأساسى ذو الأثر الفعال هو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الانسان »

وثانى هؤلاء العلماء المستشرقين الهولندى سنوك هورجروتيج الذى يقول فى كتابه « سياسة هولندا تجاه الاسلام » مايلى :

« ان الاسلام ـ بفضل تصوفه ـ قد وجد وسيلة صعوده الى مكانة مرتفعة يستطيع منها أن يرى أبعد من آفاقه الظاهرية ..

« أى أن هذا التصوف الاسلامى مشتمل على شىء من دولية الدين » .

أما ثالثهم فهو العالم الرحالةالايطالى الأستاذ انساباتو الذى يقول فى مقدمة كتابه « الاسلام وسياسة الحلفاء » الذى نشر فى سنة ١٩١٩ مايلى : « ان التسامح والعمومية أى الكرم العقلى والمحبة الروحية ـ وهما المحمدتان الأساسيتان فى الاسلام ـ يسمحان للشعب الذى يتصف بهما وللحضارة التى تحتويهما بالوصول الى أسمى الصور الاجتماعية وأفضلها » .

وأما صلاحيته لكل زمان ومكان ، فآيتها أن الحكمة الالهية لو جعلت محمدا خاتم النبيين دون أن يكون دينه صالحا لجميع الأزمنة والأمكنة كانت مغررة بالانسانية فى مستقبل حياتها . والتغرير مناف للكمال الذى هو أول شروط الألوهية « تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » .

ولاجرم أن دينا هذا شأنه ، وهذه عناصره ، وتلك مبادئه ، يستحيل عليه أن يحارب العلم ، أو يضيق صدره به ، أو أن لايفتح ذراعيه لاحتضانه ، بل كيف يتصور عاقل وجود هذه النقيصة فى دين يقول كتابه : **« هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » . أو « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور » . ويلح نبيه على التعلم والتعليم فيقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . « لجلسة عالم فى فراشه يعلم الناس خير من عبادة سبعين سنة » « من كتم علما يعلمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار »** الى غير ذلك مما لو حاولنا تفصيله هنا لضاق بنا المجال .

على نبراس هذه المبادىء القرآنية والمحمدية الصريحة فى وجوب تحصيل العلم والعض عليه بالنواجذ ورعايته وحمايته وتعهده بالتنمية والنضوج ، سار الخلفاء الراشدون وتبعهم فى ذلك العباسيون فترجموا حكمة الهنود ، وفلسفة الاغريق ، وعلومهم وفهموها فهما دقيقا ، وهضموها هضما حقيقيا ، ووجهوها توجيها مستقيما ، وعلقوا عليها تعليقات رشيدة مفيدة . وجددوا فيها تجديدات أساسية نافعة، وعلى منوال هؤلاء المهيمنين على النهضة الاسلامية نسجت كل أمة فهمت مبادىء الاسلام حق فهمها . وتعتبر أمتنا فى هذا العهد الراهن مثلا رائعا نعتز بذكره وتسجيله فى العصر الحديث ، بل نستطيع أن نباهى به عظميات الأمم الغربية .»

وفى الحق أنه لو طاف أحد شعرائنا الموهوبين الآن بريف مصر ، لأخرج لنا صورة شعرية ساحرة لتلك المدارس الناصعة البياض المنتصبة فى وسط خضرة الحقول المزهرة على هامش القرية كأنها تلك الطيور البيض الضخمة التى تدعى ب « أصدقاء الفلاح » لنفعها وافادتها واذا أمعنا فى التشبيه قلنا انها هى النماذج الصادقة للروح الاسلامية الهائمة بالعلم هيام العاشق الموله ، أو أنها هى البراهين الحية على الحرية التى ظفرت بها الأمة بعد كفاحها الطويل .

ينبغى ألا ننسى أن رسالة هذه المدارس ليست بيداجوجية أو تعليمية فحسب ، بل هى على الأخص وطنية سامية لأن مسابك المدارس هى التى قبل غيرها تكون الأوطان وتمنحها احترامها وجلالها وترصعها باللآلىء الوطنية وجواهرها ، وان فيها وحدها نصنع المواد الأولية للروابط القومية العامة التى تجمع العناصر المتفرقة لتحويلها الى وحدات روحية متماسكة متينة البناء ، أو اذا كانت روح هذه المدارس اسلامية فاضت على تلك الوحدات نور العمومية الدينية التى تمقت التنافر والتنابز

واذا غادرنا هذه القرية الوهمية الى نظيراتها التى تزعم فى غير ضياء ، بل مجون سافر أن الاسلام يضيق ذرعا بالديموقراطية ، ألفيناها تحمل كسالفتها بطلانها فى عناصرها الأولية ، والا فكيف تزعم فى غير خجل أن الديمقراطية ليست من مبادىء هذا الدين الجليل الذى يقول كتابه : يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » • ولم يقل : ان أكرمكم عند الله أعرقكم نسبا ، ولا أقواكم حسبا ، ولا أكثركم ثروة ، أو الذى يقول نبيه: « الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى »

واذا انتقلنا من نصوص القرآن والحديث وألقينا نظرة على أفعال أولئك الأعلام الأماجد الذين كانوا يهيمنون على تنفيذ تعاليم الاسلام ألفينا فى هذه الافعال العجب العاجب فى تشييد حصن الديمقراطية الصحيحة ، والمساواة الحقة الجدية • ومن أمثلة ذلك تصرف أمير المؤمنين العظيم عمر بن الخطاب بازاء جبلة بن الأيهم فى حادثة القصاص لذلك الصعلوك الخافت من الأمير الرفيع المكانة ولم يبال بتهديده بمغادرة البلاد اذ أجابه « بأن أرض الله واسعة » • ولا بتهديده بالكفر ، بل أجابه بأن « من كفر فعليه كفره » ومازال يتعقب الظالم المعتدى فى عزم وحزم حتى أرضى العدالة والديموقراطية ارضاء تاما كما جاء فى هذه القصة الرائعة التى تتحدى جميع حماة العدالة والديموقراطية فى العصر الحديث •

غير أن الباحثين الغربيين فى العصر الراهن قد تبينوا أن هذه المهاجمات لم تخرج عن كونها دعايات عامية مبتذلة من جانب المستعمرين وأشياعهم من المتعصبين أو المغرضين • **أما النزهاء الأدقاء فقد انعقد اجماعهم على براءة الاسلام من محاربة الديموقراطية كما سجلوا فطرته وكونيته من قبل • ومن آيات ذلك المستشرق الفرنسى المعاصر الأستاذ لويس جارديه فى كتابه « المدينة المسلمة » يشيد بالروح الديموقراطية الصحيحة المنبثة فى مبادىء الاسلام بصورة صريحة نزيهة •**

وأخيرا ينبغى أن نلفت أنظار أولئك الباحثين فى المبادىء الاسلامية الى أن يتوخوا الدقة فى بحوثهم فلا يخلطوا بين روح الاسلام وتلك الروح الشريرة البغيضة المتكبرة المستبدة التى تختفى وراء ستار الاسلام لترتكب الجرائم وتقترف الموبقات بأكل أموال الناس بالباطل والاتجار بالأعراض وبيع الأحرار والقتل والتعذيب وتثبيت دعائم الطغيان فى بقاع مهبط الوحى ومبعث النور ومنشىء العدل والرحمه والسلام •

خواطر مستشار

المستشار علي علي منصور

قتلى الحرب في الاسلام

قواعد الاسلام لاتمنع كل مااتفق عليه بين الدول حديثا فى هذا الشأن فقد نهى رسول الله عن المثلة ولو بالكلب والمثلة هى التمثيل بجثث الموتى من الاعداء فقيل انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بدفن قتلى المشركين فى غزوة بدر ٠ ووقف القتال فترة حتى يسترد كل فريق جرحاه وقتلاه جائز عندنا ٠ كما يجوز تبادل الجرحى وتبادل أسماء القتلى ٠

أما القتلى من المسلمين شهداء القتال فيدفنون دون أن يغسلوا أو يكفنوا كما يفعل بغيرهم من الموتى العاديين بل جرت السنة على أن يلفوا بما عليهم من ثياب ثم يدفنوا على نحو ماأمر به الرسول فى غزوتى بدر وأحد ٠

وفى صدد الكلام عن تحريم المثلة بجثث الاعداء نذكر ماجرى عليه العمل فى الحروب فى الدول جميعا قبل الاسلام من حمل رءوس بعض قتلى الأعداء الى الملوك وحدث أن فعل ذلك عتبة بن عامر الجهنى حيث حمل الى أبى بكر رأسا فأنكر عليه ذلك فقال عتبة ياخليفة رسول الله انهم يفعلون بنا ذلك فقال له مامعناه انه فسق لايصح للمسلم أن يجارى فيه الكافر وكتب الى قواده يقول « لايحمل الى رأس والا فقدبغيتم ـ أى جاوزتم الحد للتشفى ـ ولكن ـ يكفينى الكتاب والخبر » ولقد علق على ذلك محمد بن الحسن بقوله ان هذا من نوع المثلة والرأس جيفة يجب أن لاتبدى بل تدفن لاماطة الأذى ويقول الأستاذ مصطفى زيد تعليقا على ذلك بأنه ان كان قد حصل شىء من ذلك فى أوائل الاسلام فهى حادثة فردية ولم تتكرر بعد نزول الآية « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله » وتقوى الله توجب على المسلمين عدم المعاملة بالمثل فى هذا المقام كما أن التقوى تبعدنا عن مظان التشفى ٠

أسرى الحرب فى العصور القديمة :

كان أسرى الحرب فى العصور القديمة والغابرة يقتلون بل ان الديانة اليهودية على ماورد فى التلمود كانت تقضى بألا يقتل الأسرى فحسب بل يقتل جميع النساء والأطفال والحيوانات التى توجد فى المدن المستولى عليها ٠

وتطورت الأفكار فى عهد الرومان واليونان الى استرقاق الأسرى بدلا من قتلهم وذلك بقصد الانتفاع بهم وكان الرقيق ملك يمين يكلف بما لايطيقه من أعمال شاقة وتساء معاملته فى مأكله وملبسه وكل مايكسبه ملك لسيده وان خرج عن طاعته أو سرقه قتل

أسرى الحرب فى الاسلام :

جاء الاسلام والحال بالنسبة للأسرى على ما ذكرنا من قتل أو استرقاق فلما كانت غزوة بدر وأسر فيها المسلمون من أسروا من المشركين شاور النبى أصحابه فى شأنهم فقال أبو بكر هم بنو العشيرة نأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام . أما عمر بن الخطاب فقال لا والله ماأرى الذى رأى أبو بكربل أرى أن تمكننايارسول اللهمنرقابهم فنقربها فانهم أئمة الكفر قيل فمال رسول الله الى رأى أبى بكر وأخذ منهم الفدية ومن لم يكن له مال من أسرى بدر جعل فداءه أن يعلم عددا من أولاد الانصار القراءة والكتابة .

هذه واحدة أخذ فيها النبى الفدية ونشير الى أخرى من فيها على الأسير فأطلقه وهو ثمامة ابن أثال سيد أهل اليمامة روى أبو هريرة أنه أسرته خيل للمسلمين تجاه نجد وجاءوا به الى المدينة فسأله النبى ماعندك ياثمامة فقال عندى يامحمد خير ان تقتل ذا دم ، وان تنعمتنعم على شاكر ، وانكنت تريد المال فسل نعطمنه ماتشاء فتركه الى الغدثم أمر باطلاق سراحه بغير فداء أى أنهمن عليه وأنعم بحريته فخرج الرجل فى طريقه الى بلده ، ولكنه أتى نخلا قريبا من المدينة وقد أثر فيه هذا الصنيع فاغتسل ثم عاد الى مسجد النبى بالمدينة ودخله فوجد النبى فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وعاد من المدينة الى اليمامة مسلما ، وعرج فى طريقه على مكة فاعتمر بالكعبة فى الحرم فعيره واحد من أهل مكة بأنه صبأ أى كفر بدين آبائه فقال لا ولكنى أسلمت والله لاتأتيكم من يمامة حبة حنطة حتى يأذن بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال ابن هشام فخرج الى اليمامة ومنع تجار مكة من أن يحملوا منها شيئا فشكوا الى رسول الله وكتبوا اليه انك تصل الرحم فكتب الى ثمامة باباحة التجارة بينهما .

وقد من الرسول الى جميع أهل مكة يومالفتح وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ، والقرآن صريح فى أن معاملة أسرى الاعداء تحصر فى أمرين لا ثالث لهما هما المن أو الفداء . فقال تعالى «**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** » . وبهذا المعنى الواضح الظاهر أخذ الحسن وعطاء وكذلك روى عن ابن عمر أن الحجاج أتى بأسير فقال لعبد **الله بن عمر نعم فاقتله فقال ابن عمر ما بهذا أمرنا** وتلا الآية الى قوله « **فاما منا بعد واما فداء** »

ويرى الشافعى أن الفداء يكون بالمال أو بأسير مثله وهى نظرية تبادل الأسرى فى القانون الدولى الحديث .

استرقاق الأسرى فى الاسلام كان من قبيل المعاملة بالمثل :

يقول فى ذلك فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة فى مقدمة كتاب السير الكبير جاء بعد ذلك عصر الصحابة رضوان الله عليهم واشتد الالتحام بين المسلمين والمجوس فى الشرق والمسلمين والروم فى الغرب وكان استرقاق الأسرى نظاما متبعا فى الحروب اذ ذاك وقد أسروا فعلا من المسلمين واسترقوهم وباعوهم فاضطر قواد المسلمين الى السير على سنة المعاملة بالمثل ولم يكن من المعقول أن يسترق أعداؤهم أسرى المسلمين ويمن المسلمون على الأسرى منهم فان ذلك يدفع الى كلب الاعداء فيهم واستمراء أفعالهم ولم يجد قواد المسلمين نصا قويا يمنع من الاسترقاق ولا نصا قرآنيا صريحا ينهى عنه ووجدوا قانون المعاملة بالمثل يوجب ذلكفى قولالله تعالى « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » **وقوله تعالى « والحرمات قصاص »** .

وانه وان كانت الآية الأخيرة نزلت فى اباحة مقاتلة المشركين فى البيت الحرام وفى الأشهر الحرم متى بدءوهم بالعدوان فى هذه المقدسات فكذلك من اعتدى على الحرية الانسانية فاسترق الانسان يعامل بالمثل فيسترق الأسرى منه والاثم فى الحالين واقع عليه اذ ليس المدافع كالمعتدى .

وأما ماعدا الاسترقاق فلم يلجأ اليه قواد المسلمين كقتل الأسرى وقد مر بك أن قلب الأسد ملك الانجليز واسمه ريكاردوس قتل من

أسرى المسلمين أمام بيت المقدس ثلاثة آلاف فرجع بذلك الى عهود البربرية والهمجية ولا يفوتنا أن نشير الى أنهم لم يسلموا أنفسهم أسرى الا بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم فغدر بهم وخان بل وراح جنوده ينهبون ويسلبون الأموال فلم يوغر ذلك صدر صلاح الدين الأيوبى ولم يقتل أسرى الصليبيين واكتفى باسترقاق البعض وفداء البعض الآخر بل ان خلق الاسلام حمله على أن يواسى هذا الجبار عندما مرض .. واساه بالزيارة وبارسال المرطبات والازواد .

ونشير أيضا الى أن استرقاق الأسرى والقسوة بهم منعتها اتفاقية جنيف سنة ١٩٤٩ الا أن الدول الغالبة فى الحرب الأخيرة لاتزال تحتفظ بأسرى الألمان تسخرهم بغير مقابل فى أشق الأعمال فكأنهم عادوا الى رق الجاهلية الأولى ومنهم من غيبوا فى مجاهل سبيريا ولم يعودوا .

معاملة الأسرى فى الاسلام :

وهذا ضرب من المفاخرالتى لايمكن أن يتطاول اليها قانون دولى وضعى لايزال حبرا على ورق ولن تتسامى اليها فى المستقبل قواعد دولية نافذة فالقرآن يقول فى وصف الابرار من المؤمنين « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » حثا على ايثار المسلمين للاسرى بالطعام حتى ولو لم يكن لديهم غيرهوقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « **استوصوا بالاسارى خيرا** » فكان المسلمون يقدمون أسرى بدر على أنفسهم بالطعام وقال أحد الأسرى كان المسلمون يقدموننا على أنفسهم فكانوا يؤثروننا بالادم ويكتفون هم بالتمر .

وقد جاء فى الصحاح فى شأن أسرى غزوة بنى المصطلق وكان من بينهم جويرية بنت الحارث أن أباها الحارث بن أبى ضرار حضر الى المدينة ومعه كثير من الابل ليفتدى بها ابنته وفى وادى العقيق قبل المدينة بأميال أخفى اثنين من الجمال أعجباه فى شعب بالجبل فلما دخل على النبى ، قال له يامحمد أصبتم ابنتى وهذا فداؤها فقال عليه الصلاة والسلام فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا فقال الحارث أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . والله ماأطلعك على ذلك الا الله وأسلم مع الحارث ابنان له وأسلمت ابنته أيضا فخطبها رسول الله الى أبيها وتزوجها فقال الناس لقد أصبح هؤلاء الأسرى الذين بأيدينا أصهار رسول الله فمنوا عليهم بغير فداء وتقول عائشة رضى الله عنها « فما أعلم أن امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية اذ بتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم اياها أعتق مائة أهل بيت من بنى المصطلق » وقيل تعليقا على ذلك فى مقدمة السير الكبير « ولمثل هذا تزوج النبى من جويرية لا لشهرة يقضيها بل لمصلحة شرعية يبتغيها ولو كان يبغى الشهوة لأخذها أسيرة حرب بملك اليمين » ثم قيل ان النبى لم ينشىء فى حروبه رقا على حر أبدا نعم انه لم ينه عن الرق نهيا صريحا ولكن أفعاله كلها تتجه الى استنكاره .

هذا وقد مر قولنا بأن الاسلام وان لم ينه عن الرق لفشوه بين الأمم جميعا اذ ذاك فانه نظمه بما يجعل مصيره الى الانقراض والى أن يتم ذلك أوصى بالأرقاء خيرا وحث على عتق الرقاب والله جعل العتق كفارة كثير من الذنوب على ماأسلفنا وقال رسول الله فى وصاياه عن الرقيق « اخوانكم خولكم قد ملككم الله اياهم ولوشاء لملكهم اياكم فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكتسون » وقال « **لاتقل عبدى ولا أمتى ولكن قل فتاى وفتاتى** » وجعل القرآن عقوبة الرقيق نصف عقوبة الحر فيما يقبل التجزئة من العقوبات .

هذا موقف الاسلام من الرق صريحا ولكن الأمم التى تتشدق بالمدنية واتفقت على الغاء النخاسة والرق أبقته عندها فى حالات أشد وأغلظ منها معاملة الأسرى ومنها التفرقة الجنسية وسوء معاملة الملونين فكل ذلك رق مقنع .

أسرى الحرب فى القانون الدولى الحديث ٠ من هم ؟ وكيف يعاملون ؟

يعتبر من أسرى الحرب من يقع فى يد جيش دولة محاربة من أفراد القوات المقاتلة لها ويلحق بالقوات المقاتلة من يقومون بخدمتها ولو لم يشتركوا فى القتال كموظفى التموين والنقل والمواصلات وكذلك المتطوعين أيا كانت جنسيتهم وكذلك أفراد الشعب متى قاموا فى وجه العدو بالقتال ويلحق بهذا الحكم ويعتبرون أسرى حرب بائعو المأكولات ومتعهدو التوريد للجيش المعادى ومراسلو الصحف وكذلك رئيس الدولة المعادية ووزراؤها وكبار موظفيها الذين يتولون أعمالا لها اتصال بنشاط الحرب بشرط أن يعثر عليهم فى ميدان القتال أو فى دائرته ٠

أما كيف يعامل الأسرى فقد نصت على ذلك لائحة لاهاى للحرب البرية واتفاقية جنيف سنة ١٩٤٩ والغرض الاساسى من حجز الأسرى هو اضعاف قوة العدو المقاتلة وتمشيا مع هذا الغرض وجبت معاملتهم بالحسنى دون توقيع جزاء عليهم أو قتلهم للثأر منهم ولا بأس بوضعهم فى معتقل خاص بعيد عن مناطق الحرب على أن يقدم لهم الطعام واللباس ويجوز منحهم مبالغ للصرف منها فى الشئون الخاصة على أن تقوم حكومتهم فيما بعد برد ما صرف اليهم ٠

ويجوز تشغيل الاسرى من الجنود دون الضباط بأجر مناسب وفى غير الأعمال المرهقة ويخضع الأسرى للقوانين واللوائح المعمول بها فى جيش الدولة التى قامت بأسرهم ويجوز الافراج عن الأسرى بشرط عدم العودة الى حمل السلاح ٠

ويجوز فى أثناء الحرب تبادل بعض الأسرى الى أن تنتهى الحرب حيث يتم التبادل الكامل أو الافراج النهائى عن الأسرى وفق شروط الصلح

مظهر من فساد نظم الأسرة فى الشرائع السابقة للاسلام

تعدد الأزواج للزوجة الواحدة

الدكتور على عبد الواحد وافى

وجه الاسلام قسطا كبيرا من عنايته نحو تدعيم نظام الأسرة ، وتخليصها من شوائب الضعف ، واحاطتها بما يكفل لها الصلاح والاستقرار . فلم يغادر أية ناحية من نواحيها الا أقامها على نظم رشيدة ، وقضى على ماكانت تقره الشرائع السابقة له فى هذا الصدد من طرائق معوجة فاسدة .

ومن أكثر هذه الطرائق اعوجاجا وفسادا نظام تعدد الأزواج للزوجة الواحدة . وهو نظام يباح بمقتضاه لأكثر من رجل واحد الاشتراك فى زوجة واحدة فتكون حقا مشاعا بينهم . وقد أقر هذا النظام عدد غير يسير من الشرائع السابقة للاسلام ، بل انه لايزال معمولا به فى بعض الشعوب الى الوقت الحاضر .

ومن استقراء الأشكال التى يتمثل فيها هذا النظام ، يتبين أن أهمها يرجع الى ثلاثة أشكال : الشكل الأول أن يكون ثمة رابطة قرابة بين الأزواج المشتركين فى زوجة واحدة ، فلا يباح هذا التعدد الا اذا توافرت هذه الرابطة وقد أخذ بهذا الشكل كثير من المجتمعات البدائية والمتحضرة .

ففى كثير من المناطق الواقعة فى جنوب الهند وعلى حدوده الشمالية كان يباح للاخوة أن يشتركوا فى زوجة واحدة . ولا يزال هذا النظام متبعا الى الوقت الحاضر لدى كثير من القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية ، وخاصة لدى قبائل « جوانسواريس » . وقد جرت العادة لديهم أن يتزوج الأخ الأكبر فتصبح زوجته زوجة لجميع اخوته . واذا لم يكن للشاب اخوة فانه قلما يجد زوجة . وتتمتع المرأة باخلاص أزواجها جميعا وينسب اليهم جميع الاولاد . ولكل زوج منهم وظيفة يعرف بها فيقول الولد مثلا : أبى الذى يدير شئون البيت ، وأبى الذى يرعى الأغنام .. وهكذا

ويقوم هذا النظام على دعائم من المعتقدات الدينية ومن الأساطير المقدسة عند الهنود . فقد جاء فى المهابهاراتا Mahabharata « وهى ملحمة شعرية تشبه الالياذة والأوديسيا عند اليونان » ان أرجونا ، ثالث أبناء الملك باندو الخمسة ، فاز بدوبادى ، ابنة ملك بانشالا ، بأن نجح فى اطلاق خمسة أسهم داخل حلقة ضيقة بعيدة عنه ومعلقة فى الفضاء . ولكنه لم يستطع أن يستأثر بها ، فقد قالت له أمه : ان كل شىء يجب أن يكون مشاعا بينك وبين اخوتك . فاقترن هو واخوته الأربعة بالفتاة وعاشوا جميعا فى قصر واحد .

وفى بعض قبائل العرب فى الجاهلية كان الولد يشارك أباه فى زوجته « زوجة الأب » ،

وكانوا يسمون هذا الولد الضيزن » « قال فى القاموس : « الضيزن من يزاحم أباه فى امرأته، ومن يزاحمك عند الاستقاء » ٠

الشكل الثانى : أن يباح هذا التعدد بدون تقيد بوجود رابطة قرابة بين الأزواج ٠ وقد أخذ بهذا الشكل كذلك كثير من الشعوب البدائية والمتحضرة ٠

ففى جزائر المركيز « بولينزيا » كان يباح أحيانا للمرأة أن يكون لها أكثر من زوج واحد بدون تقيد بوجود رابطة قرابة بين الأزواج ٠ ولم يكن هذا مقصورا على طبقة دون أخرى ، بل كان منتشرا فى جميع الطبقات حتى بين الرؤساء وأعيان القوم أنفسهم ٠ ولهذه الأوضاع أشباه ونظائر فى سيلان والتبت وكثير من الجزر المحصورة بينهما ، ولدى عشائر التودا بجنوبى الهند وعشائر المازابيس والباهيما بأفريقية ٠

ويظهر أن بعض قبائل العرب فى الجاهلية كانت تأخذ بهذا الشكل من التعدد والى هذا تشير السيدة عائشة أم المؤمنين فى حديثها عن النكاح فى الجاهلية اذ تقول : « كان يجتمع الرهط دون العشرة ، فيدخلون على المرأة فيصيبونها ٠ فاذا حملت ووضعت ترسل اليهم فلا يستطيع واحد منهم أن يمتنع ٠ فاذا اجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم ماكان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يافلان ، تسمى من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها ، لايستطيع أن يمتنع عنه الرجل » ٠ ويظهر من هذا النص أن عدد الرجال الذين كان يباح لهم الزواج بامرأة واحدة وفق هذا النظام ماكان يصح أن يزيد على عشرة « فان زادوا على تلك اعتبرت المرأة بغيا ، وطبق عليها نظام البغايا الذى أشارت اليه السيدة عائشة فى قسم آخر من حديثها الذى نحن بصدده ٠ راجع الحديث فى صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث » ، وأنه ماكان يشترط أن تكون بينهم رابطة قرابة، وأن معاشرتهم للزوجة لم تكن على صورة دائمة ، ولم تكن لها مقومات الحياة العائلية وأن هذه الصلة ، على الرغم من حالتها المؤقتة ومن تجردها من صفات الحياة العائلية ، كانت توجب على الرجال بعض التزامات فيما يتعلق بنسب الأولاد على الأخص ، فكان للمرأة الخيار فى أن تلحق ولدها بأى رجل منهم فيتصل نسبه به ٠

الشكل الثالث : أن يكون للمرأة زوج واحد ، ولكن يباح لغيره أن يتصل بها فترة ما محددة قبل زفافها أو بعده فى ظروف معينة وبقيود خاصة ، بدون أن يكون لهذا الدخيل صفة الزوج ولا حقوقه ٠

فمن ذلك « نكاح الاستبضاع » الذى كان شائعا عند قدماء اليونان وعند العرب فى الجاهلية وعند الهنود وغيرهم ٠ و « نكاح الاستبضاع » أن يدع الرجل زوجته تتصل برجل عظيم لتأتى له بأولاد نجباء ينسبون الى الزوج من الناحية الشرعية ويحملون اسمه ويعتبرون من أولاده ، ولكن تتوافر فيهم بالوراثة صفات الرجل العظيم الذى جاءوا من مائه ٠ فهذا الرجل لم تكن لتربطهم به أية رابطة شرعية قانونية ، وانما كان يعد مجرد أداة استخدمت فى انجابهم على صورة ما ٠

وقد أجاز مشرع أسبرطة الشهير ليكورغوس هذا النظام ، فأجاز للازواج أن يرسلوا زوجاتهم لعظماء الرجال ليستبضعوا منهم ويحصلوا بذلك على أولاد نجباء ٠ وحث ليكورغوس الشيوخ من الأزواج أن يبحث كل منهم لزوجته الشابة على فتى جميل كريم الخلق لتستمع به ، وعد هذا العمل من أعمال الفضيلة والايثار ومن الأعمال الوطنية الجليلة اذ يحقق للبلاد نسلا قويا ــ وكذلك كان الشأن فى أثينا ٠ وقد أعار سقراط نفسه زوجته جرانتيب X-Antipp الى أليسياب Aliciabe

وقد جاء فى حديث السيدة عائشة عن النكاح فى الجاهلية ، وهو الحديث الذى أوردنا فقرة منه فيما سبق ، مايدل على أن هذا النكاح كان متبعا كذلك عند العرب قبل الاسلام ٠ فقد قالت فى هذا الحديث انه قد كان من أنكحه الجاهلية مايسمى نكاح الاستبضاع ، « فكان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها « حيضها »

أرسلي الى فلان فاستبضعي منه ٠ ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه ٠ فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب ٠ وانما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ٠ فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع » ـ ويظهر من هذا النص أن الأمر كان يتم برغبة الزوج بل بأمره ، وأنه كان يفعل ذلك حرصا على نجابة أولاده ، ولذلك كان يجعل الزوجة تستبضع من عظيم من عظماء القوم حتى يرث الولد صفاته فيكون موضع فخر للزوج ، وأن هذا الولد يعتبر ولدا للزوج الشرعى لا للعظيم الذى جاء من صلبه ٠

وقد أجازت قوانين مانو « وهى الشريعة التى تقوم عليها الديانة البرهمية فى الهند » للمرأة أن تتصل بزوج أختها اذا كان زوجها هى عقيما لتأتى لزوجها بأولاد ٠

وفى بعض المجتمعات كان يجب أو يجوز أن يدخل على العروس قبل أن تزف الى زوجها بعض رجال الدين أو السحر أو ذوى السلطان أو طائفة من أقرباء الزوج أو الزوجة أو من ضيوف العرس أو من غير هؤلاء ـ فقد جرت العادة قديما فى مالابار بالهند أن تقضى عروس الملك بعد أن يتم عقد زواجها به الليالى الثلاث الأولى مع كبير رجال الدين ، وبعد انقضاء هذه المدة كان الملك يمنحه خمسين قطعة من الذهب مكافأة له على ماقام به ٠

وقد كتب الرحالة الطليانى ماركو بولو « ١٢٥٤ ـ ١٣٢٣ م » عن سكان الكوشنشين « من الهند الصينية » أنه لايجوز للعروس أن تزف الى زوجها الا بعد أن تعرض على الملك ويتصل بها اذا شاء ٠

ومن ذلك أيضا ماتذكره الأساطير العربية بصدد قبائل طسم فى الجاهلية ، اذ تروى أن الملك فى هذه القبائل كان يفترع كل عروس قبل أن تزف الى زوجها ٠ وتنسب هذه الأساطير الفضل فى القضاء على هذا النظام لفتاة عربية تدعى « عفيرة » افتضها ملك طسم قبل زفافها فخرجت الى قومها تثير حميتهم وتستحثهم على القضاء على هذا العار ، بقصيدة تقول فيها :

أيجمل مايؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد النمل

فلو أننا كنا رجالا وكنتم
نساء لكنا لانقر لذا الفعل

ومع أن أسلوب هذه القصيدة وعباراتها تدل على أنها من صنع الرواة فى العصور اللاحقة للاسلام ، فانه من المحتمل أن تكون هذه الأسطورة مترجمة فى جملتها عن نظام كان متبعا عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية وتناقل الناس قصته خلفهم عن سلفهم ٠

هذا ، وقد ترك نظام تعدد الأزواج للزوجة الواحدة بعض رواسب فى كثير من شرائع الأمم المتحضرة ، حتى فى الشريعة اليهودية نفسها ٠ ومن هذه الرواسب وراثة الأخ لزوجة أخيه ٠ فشريعة اليهود تقرر أنه اذا توفى شخص بدون أن ينجب أولادا تصبح أرملته (وهى المسماة عند اليهود « يابماه ») زوجة تلقائيا لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه (ويسمى فى الشريعة اليهودية « يابام ») ٠ ولا يصح لليابماه » أن تتزوج من غير « اليابام » الا اذا خلصها بطريقة تشبه الطلاق ، وتسمى لديهم « الخاليصاه » ٠ وقد أقرت ذلك المادة ٣٦ من كتاب الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للاسرائيليين فى مصر اذ تنص على أن « المتوفى عنها زوجها اذا لم يترك أولادا وكان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجة له شرعا ، ولا تحل لغيره مادام حيا الا اذا تبرأ منها » ـ وقد أخذ بهذا النظام كذلك كثير من عشائر العرب فى الجاهلية ٠ فكان اذا مات أحدهم وله عصبة ، وربما كان أخاه أو ابن عمه ألقى هذا القريب ثوبه على زوجة المتوفى وقال أنا أحق بها ثم ان شاء استبقاها لنفسه وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها رضيت بذلك أم كرهت ، وان شاء عضلها عن الزواج لتفتدى بما ورثت من زوجها ـ وقد حرم الاسلام هذا النظام تحريما باتا فقال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** » ٠

إحياء المفاهيم الإسلامية

الشهادتين ٣

الدكتور عبد الحليم محمود

واشهد أن محمدا رسول الله

وصفه قومه : بالأمين ، لما رأوه ولاحظوه ، وحققوه ، وأيقنوا به : من صفات تتمثل فيها الأمانة واضحة وضاءة ،

لقد كان أمينا على نفسه ، فلم يسلمها الى مهاوى الشرك أو الشهوة أو الرجس .

وكان أمينا على الناس : فلا ينتهك عرضا ، ولا يوقع بعض القوم فى بعض بالنميمة ،ولا يغتاب .

وكان أمينا على الأموال التى تودع عنده ، ليتاجر بها ، أو ليحفظها ، فلا يختلس و لايغش، ولا يسرق .

وكان أمينا على الحديث اذا تحدث : فلا كذب ، ولا مغالاة

وكان أمينا على الأسرار : فلا يفشيها ، ولا يذيعها .

انه الأمين .. أجمع عليها القرشيون ، وقالوها حينما اختلفوافى رفع الحجر الأسود ، واستلوا السيوف وأوشكت الحرب أن تقع بينهم ، ثم استقر رأيهم على الاحتكام لأول آت فغمرتهم الفرحة ، حينما رأوا محمدا وصاحوا : **انه الأمين .**

والأمين كلمة تعنى : الصادق المخلص ، فالصدق والاخلاص عنصران تتكون منهما الأمانة ، وكانت هذه الأمانة المعروفة عنه - صلوات الله عليه - هى العلم البارز الذى رفعه محمد - صلوات الله عليه - ، عند بدء دعوته .

فحينما نزل قوله تعالى : -

« وأنذر عشيرتك الأقربين .. »

صعد رسول الله - صلى اللهعليه وسلم - ، على الصفا فقال : يامعشر قريش ، فقالت قريش : محمد على الصفا يهتف ، فأقبلوا واجتمعوا ، فقالوا : مالك يامحمد ؟

قال : « أرأيتكم لو أخبرتكم ، أن خيلا بسفح هذا الجبل ، أكنتم تصدقونى ؟ »

قالوا : نعم ، أنت عندناغير متهم ، وماجربنا عليك كذبا قط .

قال : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، يابنى عبد المطلب ، يابنى عبد مناف ، يابنى زهرة .. « حتى عدد الافخاذ من قريش ، **- ان الله أمرنى : أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وانى لاأملك لكم من الدنيامنفعة ، ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا : « لا اله الا الله .. »**

وإذا كان رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ قد طرح الثقة على قريش برفعه علم الأمانة هذا في وجوههم فانه كان مطمئنا واثقا من أن حياته : هى من الصفاء • بحيث لم يشبها مايجعل رأى قريش فيه قبيحا •

لقد كانت حياته : البراءة الكاملة ، والطهر التام وهذا مادعاه الى أن يتحدى ، فى صراحة وأن يعلن فى وضوح ، أن حياته تثبت صدق مايقول •

ولو تمثلت الأمانة ـ الصدق والاخلاص ـ فى كل من يحيطون به ، لما كان فى حاجة الى رفع علمه هذا ، فقد كان يكفى الاخبار ، بأنه رسول ، فتكون الاستجابة •

وقد آمن بمجرد هذا الاخبار ، كثيرون لما توفر فيهم من الصدق والاخلاص لأنفسهم وللآخرين : أى لما توفر فيهم من الأمانة ، لقد آمنت خديجة ، وآمن أبو بكر ، وآمن ورقة وغيرهم بمجرد أن أخبرهم بأمره •

آمنوا لما يعرفونه فيه ، ولما يعلمونه من حياته

ولقد أقر بهذه الصفة ـ صفة الأمانة ـ أبو سفيان فى وقت كان فيه من أشد أعداء الرسول :

سأله هرقل قائلا : **هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟**

فقال أبوسفيان : لا

وكان استنتاج هرقل :

أعرف ، أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله •

وسأل هرقل أبا سفيان أيضا : عما اذا كان قد أثر عن محمد غدر •

فأجاب أبو سفيان بالنفى •

فقال له هرقل : سألتك : هل يغدر ، فذكرت: أن لا ، وكذلك الرسل : لاتغدر •

وحديث هرقل هذا مع أبى سفيان الذى رواه البخارى ، وروته كتب الحديث ، وكتب السيرة : جدير بالتأمل ، فهو : استنتاج عاقل ، ومنطق مروى • ونأخذ منه الآن مايتصل بحياة الرسول ، وندع مايتصل بالرسالة لما بعد :

يقول هرقل لأبى سفيان :

سألتك عن نسبه ، فذكرت : « أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟

فذكرت : أن لا

فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله •

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟

فذكرت : أن لا

قلت : فلو كان من آبائه من ملك ، قلت رجل يطلب ملك أبيه ••

واذا نظرنا اذن ، الى حياة الرسول من ناحية الوراثة ، أو من الناحية النفسية ، فاننا نجد : أنها تحقق صدقه •

لقد كانت حياته ـ صلوات الله عليه ـ ، شرحا مستفيضا ، وتوضيحا كاملا ، وتعبيرا تاما لما ذكره ابن خلدون ، ومايتفق عليه العقلاء ، ويجمع عليه أصحاب البصائر المستنيرة : من أن من علامات الأنبياء : « **أنه يوجد لهم قبل الوحى • خلق الخير والزكاء ، ومجانبة المذمومات والرجس أجمع ، وهذا هو معنى العصمة ، وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها ، وكأنها منافية لجبلته** » •

ويضرب ابن خلدون بعض الأمثلة من حياة الرسول ، ـ صلوات الله عليه ـ مبينة لهذه القاعدة فيقول :

« **وفى الصحيح : أنه حمل الحجارة ، وهو غلام ، مع عمه العباس لبناء الكعبة ، فجعلها فى ازاره ، فانكشف ، فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره •**

ودعى الى مجتمع وليمة فيها عرس ولعب ، فأصابه غشى النوم ، الى أن طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم •

بل نزهه الله عن ذلك كله ، حتى انه بجبلته يتنزه عن المطعومات المستكرهة ، فقد كان - صلى الله عليه وسلم - ، لايقرب البصل والثوم ، فقيل له فى ذلك فقال :

« اننى أناجى من لاتناجون »

ومن الملاحظات الدقيقة : التى وجه ابن خلدون الأذهان اليها مشيرا بها الى أن الملابسات والظروف ، والجو الذى عاش فيه الرسول ، ... انما كان كل ذلك خيرا وفضيلة سواء من ناحية سلوكه الشخصى ، أو من ناحية صلته بملك الوحى . يقول ابن خلدون :

« وانظر لما أخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - ، خديجة ، رضى الله عنها ، بحال الوحى أول مافجأته وأرادت اختباره . فقالت اجعلنى بينك وبين ثوبك ، فلما فعل ذلك ذهب عنه .

فقالت : انه ملك وليس بشيطان ، ومعناه : أنه لايقرب النساء

وكذلك سألته عن أحب الثياب اليه ، أن يأتيه فيها .

فقال : البياض والخضرة .

فقالت : انه ملك ، يعنى أن البياض والخضرة : من ألوان الخير والملائكة ، والسواد من ألوان الشر والشياطين وأمثال ذلك »

هذا النهج الذى نهجناه فى هذا البحث ، والذى اتجه اليه ابن خلدون واتجه اليه من قبله هرقل هو نهج الفطرة ، ونهج العقل ، وهو النهج القرآنى : انه نهج الفطرة : ولذلك قالت السيدة خديجة - رضى الله عنها - على البداهة للرسول - حينما فاجأها ، بخبر الوحى ، وقال لها : « لقد خشيت على نفسى » - « **كلا .. والله مايخزيك الله أبدا : انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق** » ونحن - اذا حينما ننهج هذا النهج ، فانما نتأسى بالقرآن الذى بين أن حياته - صلوات الله عليه - تقف دليلا واضحا على أنه : صادق فى كل ما يقول ، فهو : على خلق عظيم « **وانك لعلى خلق عظيم** »

ويقول صلوات الله عليه « **انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »

وهذا الجانب الخلقى فيه : يعرفه قومه ، ومواطنوه ، حق المعرفة ، فقد كانوا يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم واخوتهم ، لاتخفى عليهم من سلوكه خافية . « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** »

ويوجه القرآن تفكيرنا : الى أنه - صلوات الله عليه - كان أميا ، فما كان يتلو من قبله من كتاب ولايخطه بيمنه ، اذن لارتاب المبطلون . « **وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذا لارتاب المبطلون** »

ثم ان مما يلفت النظر فى قوة : أنه مكث فيهم أربعين سنة ، لايتحدث عن رسالة ولا نبوة ، ومضى عهد الشباب الطموح ، لم يعلن فيه شيئا ، ولم يتحدث فيه بزعامة ، ولا ملك ، ولا نبوة ، فلما اكتمل نضجا ، وعقلا ، تحدث عن اجتباء الله له واختياره ، لاداء الرسالة : « **قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون** » ؟

ويتحدى القرآن المنكرين فى صدقهم واخلاصهم ، وان شئت فقل : فى أمانتهم ، فيعرض عليهم أمرا واحدا ، سهلا ، لايشق عليهم تنفيذه :

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ، ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »

ويزيد القرآن على ذلك كله : التحدى بالقرآن الكريم ، ولكن ذلك يحتاج الى حديث آخر .

وبالله التوفيق .

مناهجنا الاشتراكية وصلتها بالاسلام

الأستاذ عبد المنعم النمر

أخى القارىء

سألنى بعض طلابى لماذا يكثر الحديث الآن عن الاشتراكية فى الاسلام ؟ ألم يكن ذلك موجودا فيه من قبل ؟ قلت لهم : نعم . كان موجودا منذ قام الاسلام ولكن بالصورة الخاصة به وباصطلاحات أخرى غير هذه الاصطلاحات الشائعة الآن كالاشتراكية والتأميم ، وما الى ذلك .

والذى دعا العلماء الى أن ينشطوا الآن ليبينوا ما فى الاسلام من مبادىء اشتراكية انما هو ظهور الاشتراكية فى أوربا ونجاحها فى بعض الدول وتأثر الأفكار بها عندنا وفى كثير من شعوب العالم ،ثم لاقدام الدولة عندنا على سن القوانين الاشتراكية التى ترمى الى تحسين حال الطبقات الفقيرة واقامة توازن اجتماعى يضمن سلامة بنيان هذه الأمة وقوتها وحمايتها من المذاهب الهدامة ، واعلان المسئولين أن هذه القوانين ليست مستوردة من الخارج وانما هى مستمدة من تراثنا الروحى وتقاليدنا العريقة فكان لابد للباحثين أن يبينوا مدى صلة هذه القوانين بالاسلام ويخرجوا ما فيه من كنوز ومبادىء اصلاحية ويعرضوها على الناس بأسلوب مبسط ليعرفوا أن الاسلام بمبادئه وتعاليمه التى حققت التكافل والعدالة الاجتماعية فى أحسن صورها قد سبق الاشتراكية الأوربية الى تحقيق هذه المعانى ، بل انه يفوقها بمراحل ، وليعلموا بذلك انهم أغنياء بتراثهم الروحى ونظامهم الاسلامى، ولا حاجة لهم الى استيراد النظم من الخارج ، ليصلحوا مجتمعهم على أساسها وأن الأولى لهم أن يعتزوا بهذا التراث ويعملوا على تدعيم شخصيتهم باحيائه والسير على هداه .

والعلماء لم يطرقوا هذه المباحث الآن ولكنهم كتبوا عنها من قبل الثورة ، وأصدروا كتبا فيها ونادوا المسئولين حينذاك – مع تجبرهم وغطرستهم وكراهيتهم لذلك – نادوهم ليعملوا على الحد من المفاسد وانصاف الفقراء من الأغنياء . وبعبارة موجزة واضحة دعوا الى اقامة اشتراكية اسلامية تتفق مع روح الشعب وتحول بينه وبين الارتماء فى أحضان المذاهب الوافدة عليه ولا أغالى اذا قلت : ان هذه الكتب قد أحدثت أثرها فى النفوس ، مما لمسناه واضحا فى كلام المسئولين عن اصدار قوانينا الاشتراكية من أنها مستمدة من تراثنا الروحى وانهم يريدون بذلك اقامة اشتراكية لها طابعها المميز لها عن الاشتراكية الأجنبية ، وانه لمما يسر الشعب المؤمن بتراثه ودينه ويزيده تأييدا لقواده أن يسمع منهم أنهم حريصون على طابع هذه الأمة الاسلامية ،وانهم يستعينون فى اصلاح شئونها بتشريعات من تعاليم دينها ، ويسره أكثر أن يرى ذلك أمرا مطردا فى اصلاح كل شأن من شئونه ، لما وقر فى نفسه من حب لدينه ، يجعله أكثر طواعية وقبولا لتعاليمه وللقوانين المستمدة منها ولأن أنظمة الاسلام كل مترابط يقوى بعضه

بعضا ، ولا تظهر لنا ثمارها الكاملة فى المجتمع الا اذا كنا نستهدفها فى كل أعمالنا .

اننا الآن فى عصر يعلو فيه نداء الاشتراكية فى كل مكان ، اذ لم يعد من الممكن للشعوب ـ وقد انتشر الوعى بينها ـ أن تصبر أكثريتها على الحياة الدون ، بينما تنعم فئة قليلة فيها على حسابها ، تستغلها وتتحكم فى مصائرها ، ولابد من تصحيح الأوضاع الفاسدة وتوفير معيشة كريمة لكل أفراد الشعب وكل الأمم سائرة الى ذلك حتما ، وان تباطأ بها السير اليه .. وقد رأينا أمما أجهدها الارهاق من طول ماعانت من الفساد ، والتفاوت المزرى بين طبقات الشعب ، فارتمت فى أحضان مذاهب وافدة عليها ظنتها تنقذها مما تعانيه ..

ونحن أمة شرقية اسلامية ، عانينا كثيرا من أوضاع المجتمع المختلةالتى ابتعدت عن تعاليم الدين ، ومعايير الحياة الكريمة ، مما سول لبعض الناس اعتناق أحد المذاهب الغريبة علينا ، واستغلوا ماتعانيه الأمة من فساد وفقر وتفاوت ، ليبثوا فيها مذهبهم ، وكادوا يفسدون على الأمة دينها ، ويضيعون عليها تراثها لولا ان الله يرعى هذه الأمة الاسلامية العريقة التى ظلت قرونا حصن الاسلام وقلب العروبة فجعل قيادتها فى يد الثوار من بنيها ، وكانوا كما عرفناهم مؤمنين ، حريصين على النهوض بأمتهم وحفظ طابعها وتراثها وشخصيتها ، فأعلنوا فى أوائل أيامهم انهم سيعملون ماوسعهم للقضاء على عوامل الفساد ، وعلى اقامة عدالة اجتماعية .. ثم بدأنا نرى الوسائل التى اتخذوها لتحقيق هذه العدالة .. ولا شك أن مصير الأمة قد تحول والأمل فى اصلاحها قد بدأ يتحقق والخوف من غزو المذاهب الوافدة عليها قد قل ، اذ أن كل اصلاح اجتماعى وكل خطوة نخطوها للتقريب بين الطبقات وتحقيق العدالة الاجتماعية فى ظل ديننا تبعدنا عن هذه المذاهب وتحفظ البلاد من شرها والدين من جحودها .

ولان يتم هذا الاصلاح ويؤخذ من الأغنياء بعض أموالهم ، ليحفظ لهم البعض الآخر لهو خير من ان تأتينا الرجفة الكبرى على يد الهدامين ويصدم الأغنياء فى كل ما يملكون .

ولأن يكون هذا الاصلاح ، وذاك التقارب ، فى ظل من تراثنا الروحى والاعتزاز به لهو خير والف خير من أن نصدم فى ديننا ومقدساتنا . ونصاغ صوغا جديدا بعيدا عن حضارتنا وتراثنا . ونساق سوق الأنعام الى نظم وافدة علينا . « كالكوليرا » تحصد ديننا ، وتقضى على أمجادنا .

ان من الخير لنا كأمة اسلامية لها شرف القيادة فى العالم الاسلامى ، أن يتم اصلاح شئوننا فى اطار من ديننا ، فان ذلك يعجل بالاصلاح ويقوى دعائمه فى النفوس ، وديننا بحمد الله غنى وكفيل بالتشريعات التى تقضى على الفساد وتوفر العيش الكريم لطلابه ، دون حاجة الى استيراد مبادىء ونظم غريبة علينا لا صلة بينها وبين نفوسنا .. وانه لفخر للمسلمين جميعا أن يجدوا فى دينهم ما يكفل اقامة عدالة اجتماعية تضمن الغذاء لكل جائع والكساء لكل عار والتعليم لكل جاهل والعدالة لكافة الناس ، ويضعوا ذلك كله موضع التنفيذ ، ليقيموا ـ كما أقام اسلافهم الأمجاد ـ مجتمعا متكافلا على أساس من الحب والاخلاص والايثار لا على أساس من الحقد والغيلة .

وانه لفخر للمسلمين جميعا أن يبين علماؤهم للعالم أجمع ـ ولاسيما المعتزين بمبادىء الاشتراكية ـ ان الاسلام بنظمه الخاصة به سبق الاشتراكية الأوربية فى اقامة أسعد المجتمعات التى عاشت على ظهر هذه الأرض ، وان المسلمين الآن يستطيعون بهذه النظم وعلى أساس من هديها وتوجيهها ـ يستطيعون ان يقيموا مثل هذا المجتمع السعيد ، الذى يوفر العيش الكريم لأبنائه جميعا حتى لايبيت مسلم شبعان وجاره جائع الى جانبه وهو يعلم . وحتى نكون جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله . انا جميعا نبنى لغد نرجوه عزيزا سعيدا .. ونحن واثقون انه مادام الاخلاص لله زادنا ، والعدل رائدنا والنهوض بهذه الأمة غايتنا ، وتوفير العزة والكرامة لها وجهتنا فان الله سبحانه حارسنا وآخذ بيدنا الى ما نرجوه . هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

القرآن وحقوق الإنسان

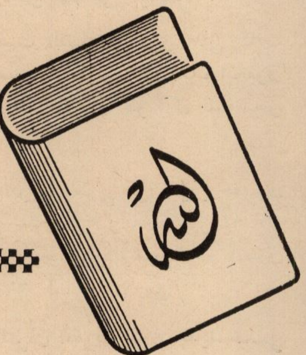

الأستاذ عبد الرزاق نوفل

تعتبر معظم الدول شهر ديسمبر من الأشهر التى نالت الانسانية فيه انتصارا كبيرا ففى هذا الشهر من عام ١٩٤٨ انتهت لجنة حقوق الانسان المؤلفة من ثمانية عشر عضوا من وضع نصوص مشروع كامل لتصريح دولى بحقوق الانسان وهذا النص استغرق اعداده فقط مدة عامين كاملين وقدجاء فى ديباجة هذا المشروع مانصه « نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا أن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية » .

واعلان حقوق الانسان جاء نتيجة جهاد شاق وطويل اذ يقول « البيربابيه » استاذ علم الاجتماع ان اعلان حقوق الانسان كان ثمرة لمجهود ضخم تتابع خلال مايزيد على ألفى عام فيقرر التاريخ أن فى عصورنا الحديثة قامت ثورة يونيه ١٢١٥ فى انجلترا لتحديد سلطات الملك وتقدير بعض حق الشعب وتبعتها ثورات أخرى انتهت بأن صدر قانون يقرر حرية أفراد الشعب وتأمين هذه الحرية ، وقامت الثورات فى دول أخرى لنفس الغرض فأعلنت أمريكا فى يوليه ١٧٧٦ وثيقة تضمنت تساوى الناس فى الحقوق وكفلت حرية الانسان فى تصرفاته .. وأعلنت ثورة فرنسا فى القرن الثامن عشر مبادىء الحرية والاخاء والمساواة وهكذا الى أن أعلنت هيئة الأمم المتحدة حقوق الانسان فى عام ١٩٤٨ وأهم المبادىء الأساسية التى نادى بها هذا الاعلان هى تساوى الناس فى الحقوق وكفالة حريتهم وان لهم أن يقوموا بكل مالايضر الغير وعلى ذلك يمكنهم أن يفكروا ويتكلموا ويكتبوا فى حرية .

هذا ماجاءت به القوانين الوضعية فى أعلى وثباتها وأسمى خطواتها ، ولكن هل هذا الاعلان قد مسح عن الانسان فعلا الجذع والهلع وهل أعاد له حقا حقوقه التى أهدرتها الحرب العالمية الأخيرة ؟

يقول همفرى مدير ادارة حقوق الانسان فى تصريح له مؤخرا ان الادارة تلقت فى عام واحد أكثر من خمس وعشرين ألف خطاب من مواطنين فى مختلف أنحاء العالم يشكون فيها من اهدار حقوقهم الانسانية بل وآدميتهم .

فهل روعيت كرامة الفرد وحق الانسان وهذه هى العنصرية البغيضة التى استفحل خطرها

فى الدول التى أيدت وساندت وشاركت فى اعلان حقوق الانسان فتحرم بعض الناس من التعليم بل وتمنعهم من ارتياد المطاعم وحتى الكنائس لا لسبب الا لأنهم ليسوا من البيض وبدهى أنه لا دخل لهم فى ألوانهم ؟

حقا لقد خفتت الضجة الكبرى التى كانت تصاحب الاحتفالات بذكرى اعلان هذه الحقوق .. ولكن هل هذا الاعلان هو أول نداء لحق الانسان ؟

لقد سبق القرآن الكريم فى تقرير حقوق الانسان بأربعة عشر قرنا والفارق بين ماجاءبه القرآن الكريم والقوانين الوضعية هو الفارق بين المصدرين .. السماء والأرض ..

لقد نادى القرآن الكريم بشىء جديد على الانسانية لاتصل اليه أية قوانين فى أى عهد .. قرر للانسان كرامته وحفظ عليه آدميته وليست الآدمية المستذلة أو المستضعفة بل الآدمية المفضلة وذلك بنص الآية الشريفة «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرممن خلقنا تفضيلا » . هذا هو أساس الحق الانسانى . والآية الكريمة جاءت عامة لكافة بنى آدم لتشمل النوع الانسانى وتضم البشرية جميعها فالقرآن الكريم بهذه الآية الشريفة صان كرامة الفرد أيا كان هذا الفرد . ومهما كان جنسه ولونه ودينه ومركزه . والقرآن الكريم هو أول دعوة لهدم التمايز الطبقى . حيث تقول الآيةالشريفة: يأيهاالناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » فقررت الآية الكريمة وحدة الأصل بين الناس جميعا ونفت أى تمايز يكون بسبب الغنى والفقر أو الحسب والنسب اذ أن انقسام الناس الى شعوب وقبائل انما هو السبيل الى قيام المجتمع المتكامل الذى يقوم فيه كل انسان بعمله . ولقد جاء القرآن الكريم والرق فاش فىكل بلادالعالم بلااستثناء ومن هذه البلاد بلاد العرب حيث نزلتآياته الشريفة فيعالج موضوع الرق كشأنه دائما فى كل القضايا التى تمس أوضاع الانسان القائمة ، على درجات وبدون طفرة .. فنجده قد ضيق مصادر الرق ووسع مجاريه ولذلك أنهى نظامه تماما فجعل عتق الرقاب كفارة لبعض الذنوب فى مثل الآية الشريفة « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله » وحددسهما من الزكاة يصرف على تحريرهم بنص الآية الكريمة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . كما جعل عتق الرقيقمن ضمن مايتقرب به الانسان لله وذلك بنص الآيات الشريفة « فلا اقتحم العقبة . وماأدراك ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة » . والى أن ينتهى الرق عن طريق المصادر التى قررها الاسلام أعلن المساواةالتامة بين الحر والعبد حتى فى القصاص بنص الآية الكريمة « وكتبنا عليهم فيها أنالنفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »

وساوى القرآن الكريم بين الرجل والمرأة فهى شريكة حياته وهى كالرجل اذا ماأحسنت فلها أجرها دون نقصان وذلك بمثل الآيات الكريمة « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » ، « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا »** . ومنح القرآن الكريم للمرأة حقوقها التى كانت دائما مسلوبة وأنزل سورة كاملة باسم سورة النساء علاوة على ماورد بشأنها فى باقى السور الكريمة ولم يزد الرجلعليها الا فيما تستوجبه تبعات الانفاق بالنص الشريف «**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » ، « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين »** ..

أما الاخوة فان الدعوة اليهافىالقرآن الكريم لم تقتصر على اعلانها بل دعت الى تآلف القلوب والتجمع عليها بمثلالنص الشريف « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله**

عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

وأما المساواة فان القرآن الكريم قد طالب بها فى آيات كثيرة ولايمكن أن تصل دعوة اليها كما دعت آيات القرآن الكريم بالمجادلة حتى مع الأعداء وذلك بنص الآية الكريمة **« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »**

ونادى القرآن الكريم بحرية العقيدة فى مثل الآيات الشريفة **« لا اكراه فى الدين »** ، **« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء »** ، **فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »**

ودعا القرآن الكريم الى حرية القول على أن يكون القول للخير وذلك بالنص الشريف **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف »** وألا يكون فى القول مايضر الغير كالتنابز بالألقاب أو السخرية وذلك بالنص الكريم « **يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** » ..

بل طالب بالعدالة فى القول حتى ولو كان القول ضد ذوى القربى بنص الآية الكريمة **« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »** .

وهكذا تستمر آيات القرآن الكريم فى اعلان حقوق الانسان والدعوة الى المحافظة عليها قبل أن يفكر أى انسان فى هذه الحقوق بعشرات المئات من السنين وهل يمكن أن تماثل أية تشريعات مجتمعة مهما كان عدد الدول المجتمعة لها آية واحدة من آيات القرآن !

وألا يكفى أن العنصرية القائمة على الجنس أو اللون أو الدين والتى كانت السبب الأساسى فى الدعوة الى اعلان حقوق الانسان فى هيئة الأمم المتحدة مازالت متفشية بل يتزايد خطرها ويستفحل شرها بينما أمرها قد انتهى فى البلاد التى استمعت الى القرآن الكريم فاستجابت اليه ؟ ..

وبهذا فان القرآن الكريم قد سبق تشريعات حقوق الانسان الوضعية بأربعة عشر قرنا ومع الفارق الكبير بينهما . وصدق الله العظيم الذى يقول :

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا »

تراثنا الفقهى وكيف وصل إلينا

الأستاذ محمد سلام مدكور

بدأ الفقه الاسلامى أول ما بدأ عبارة عن فتاوى وأقوال للصحابة وأحكام يصدرونها فيما يعرض عليهم من وقائع ، وكل هذا لم يدون فى عهدهم أو يسطر حتى الأحكام المجمع عليها لم تدون ، وانما كانوا يعتمدون فيها على الحفظ وقوة الذاكرة ، وذلك لأن عرب الحجاز كانوا أميين يندر فيهم من يعرف الكتابة ، ومن يعرفها فانه لا يتقنها ، وان اتقنها فان القارىء لا يأمن الوقوع فى الخطأ ، وخاصة أن قواعد الترقيم من النقط والتشكيل لم يكن معروفا الا من أيام عبد الملك ابن مروان ، ولذا فقد كان جل اعتمادهم على الحفظ وقوة الذاكرة فى جميع أمورهم .

ولقد بعث الله فيهم رسولا منهم أميا مثلهم « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم** » ومع هذا فقد حرص على نشر التعليم ودعا اليه ، ولما نزل عليه الوحى اتخذ له كتابا من أصحابه الكاتبين ، يكتبون ما يوحى اليه أولا بأول كزيد بن ثابت ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وأبى بن كعب ، وكان الرسول يقول لكتاب الوحى « لا تكتبوا عنى غير القرآن » ولم يكن هذا فى الواقع من قبيل التدوين للناس .

ثم جاء الخلفاء وكان منهم من ينادى بضرورة الاستعانة بالكتابة ودونوا فعلا بعض ما عن لهم تدوينه ، واحتفظوا لأنفسهم بما دونوا ، والفريق الغالب منهم كان لا يرى الاستعانة بالكتابة والتدوين مفضلا الاعتماد على الحفظ والذاكرة لأنه أضبط من الكتابة وأحفظ على النصوص ، اذ الاعتماد على الكتابة يفقد قوة الحفظ والذاكرة فضلا عن أن المكتوب قد يضيع أو يبلى أو يحرف ، ولذا فان المؤرخين لم يعتبروا هذا العصر عصر تدوين وتصنيف برغم تدوين القرآن فى مجموعة واحدة كاملة بأمر من الخليفة ، وبرغم تدوين شىء من السنة وبعض الأحكام الفقهية ، الا أن ذلك كان فى نطاق ضيق جدا وفى مجرى ملىء بالحواجز والعقبات .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وتزايد عدد من دخل فى الاسلام ، أحسوا بالحاجة الى التدوين والكتابة فجمعت السنة وبحث سندها ومحصت روايتها ، وقد كان الغرض من جمع الحديث تسهيل استنباط الأحكام الفقهية منه ،

ومع هذا فهم فى أول الأمر لم يحرصوا على تدوين فقههم حرصا منهم على ألا يتقيد أحد من بعدهم بآرائهم ، أو يقفوا عندها مكتفين بها عن الغوص فى معانى القرآن والسنة ، وتلمس علل الأحكام فيها والوقوف على اسباب النزول ، وانما كان الفقيه يجلس فى المسجد او فى مجلس خاص ويلتف الناس حوله فيسمعون منه ويفهمون ، وسرعان ما يحفظون ما سمعوا ، غير أن منهم من كان يحس فى نفسه بضعف ملكة الحفظ فيستعين بالتدوين، وكان هذا نواة تدوين الأحكام الفقهية •

ثم ترعرعت فكرة تدوين الفقه واشتد احساسهم بالحاجة الى ذلك ، ولذا فأصبح بعض الفقهاء يدون بنفسه فقهه فى مؤلف خاص يمليه على طلابه بنفسه أو يمليه عليهم واحد منهم فى حضرته ، ويتكرر هذا من طبقة الى طبقة وأصبح تدوين الفقه ونقله عن طريق الرواية ، على أن بعض المشتغلين بتدوين ما يسمعون من أحكام كان أحيانا يضيف عبارة من عنده لما سمعه من الفقيه بقصد بيان الحكم واظهاره ، كما كان أحيانا يغير الفقيه بعض آرائه السابقة ، ويرجع عما قال فيسمع هذا التعديل البعض ويدونه ولا يسمعه البعض الآخر ، مما أدى الى اختلاف الرواية المنسوبة الى الفقيه الواحد فى المسألة الواحدة •

وبالاضافة الى هذا فقد جمع فقهاء المدينة فتاوى عبد الله بن عمر ، وعائشة زوج الرسول ، وعبد الله بن عباس ، ومن جاء بعدهم من كبار التابعين فى المدينة ، ومن هذا موطأ مالك •

وكان فقهاء العراق يجمعون فتاوى عبد الله ابن مسعود وقضايا على بن ابى طالب ، وفتاوى وقضايا شريح وغيره • فجمع الفقيه ابرهيم النخعى فتاوى الشيوخ ومبادئهم فى كتاب ، كما وضع الفقيه محمد بن الحسن الشيبانى كتاب الآثار الذى جمع فيه آثار هؤلاء العلماء•

ثم مع تطاول الزمن قلت العناية بالرواية اكتفاء بالأخذ من الكتب المتداولة لانها بمنزلة الخبر المتواتر والمشهور الذى تناقله الناس جماعة عن جماعة وشاع بينهم ، ثم تهاون الكتاب حتى فى هذا وأخذوا ينقلون عن الكتب، وبترك الرواية وانقطاع السلسلة كثر التصحيف •

وقد بدأ الفقه فى العصر الأموى مختلطا بالسنة ، وما أثر عن الصحابة والتابعين لأنها مادة الفقه ، وموطأ مالك هو الذى يمثل هذا التدوين بل هو أول ما دون من كتب الفقه وهو من تدوين الامام مالك نفسه ، وقد أقام فى تدوينه وترتيبه أربعين سنة ، ومن هذا أيضا ما صنعه سفيان الثورى فى كتابه الجامع الكبير ، وما صنعه الشافعى فى كتابه اختلاف الحديث •

وبجانب ذلك وجد تدوين الفقه مجردا عن السنة والآثار وكان هذا مسلك الأحناف فانه وان كان لم يعرف عن الامام تدوين فى علم الفروع الا أن أبا يوسف قد دون كتابه الخراج، وتناول فيه الدستور المالى للدولة الاسلامية ، كما أنه كثيرا ما أعد دروسا وأملاها على مريديه •

أما محمد بن الحسن فهو دون جدال الذى قام بتدوين الفقه الحنفى ، وجاء تدوينه للفقه مجردا عن السنة ، فهذه كتب السنة التى جمع فيها مسائل الأصول فى مذهب امامه أبى حنيفة وهى : ١ ــ المبسوط « الأصل » ٢ ــ الجامع الصغير ٣ ــ الجامع الكبير ٤ ــ الزيادات ٥ ــ السير الصغير ٦ ــ السير الكبير • وقد أطلق الفقهاء فيما بعد على هذه الكتب الستة : كتب (ظاهر الرواية) لأنها رويت عنه برواية الثقات ، وهى تتناول اما جميع أبواب الفقه واما أكثرها ، وهناك لمحمد ابن الحسن غير ذلك من الكتب ما يسمى بالنوادر لأن روايتها عنه غير مشهورة وهى عبارة عن رسائل ألقاها على تلاميذه •

ومن تدوين الفقه مجردا عن السنة المدونة فى الفقه المالكى ، وهى فى الواقع مجموعة مسائل وضعها أسد بن الفرات ، وأجابه عنها ابن القاسم المصرى بما روى عن الامام مالك وقد حصل سحنون على صورة منها ورحل الى مصر وعرضها على ابن القاسم فعدل عن بعض

ما فيها وعدله وصحح ما احتاج الى تصحيح ، ولذا فان المدونة التى يرويها سحنون هى المعتمدة فى المذهب، وقد شرحها شراح كثيرون.

وبجانب هذين النوعين من التدوين والتصنيف نجد نوعا ثالثا هو تدوين المسائل الفقهية مصحوبة بأدلتها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس وسائر وجوه المعانى مثل كتاب المبسوط الذى أملاه الشافعى على تلاميذه بمسجد عمرو بن العاص بمصر ، وقدم له بموضوع فى علم أصول الفقه ، وقد عرف مبسوط الشافعى باسم الأم كما عرفت المقدمة باسم « الرسالة » .

والواقع أن هذه الأنواع الثلاثة قد وجدت من البداية ، ثم انفصل كل من الحديث والفقه عن صاحبه ، وكانت لهذا وذاك كتبه الخاصة، تعنى الأولى بالصحيح من الحديث وروايته أكثر من عنايتها بما يدل عليه الحديث من الأحكام ، أما الأخرى فان عنايتها متجهة الى الأحكام ، وانما يذكر الحديث فيها لمجرد الاستدلال .

ومن النظر فى كتب الفقه القديمة التى دونت فى مختلف الصور نجد أنها كانت سهلة مبسطة فى بادىء الأمر ، ثم اتجه الكاتبون بعد ذلك الى اختصارها واستمروا فى هذا الاتجاه حتى أصبحت المتون ألغازا يعجز الطالبون عن فهمها ، مما دفع الفقهاء بعدهم الى الاشتغال بشرحها ، والتعليق عليها ، وعلى الشروح أيضا وكان هذا سببا فى وجود ما يسمى بالمتن وهو المختصر ، ثم تأتى عليه الشروح لتبسطه وتحل ما فيه من ألغاز .

وباستعراض كتب الفقه المختلفة نجد أن الفقهاء لم تقتصر كتاباتهم على الجزئيات وأحكام الفروع فقط ، وانما وضعوا الأصول التى يسير عليها الفقهاء فى استنباطهم الأحكام، كما وضعوا القواعد الفقهية التى هى عبارة عن مجموعة الأحكام المتشابهة التى ترجع الى قياس واحد يجمعها أو ضابط فقهى يحكمها .

فالشريعة اذن اشتملت على أصول وفروع وأصولها قسمان : أصول الفقه ، والثانى قواعد كلية فقهية لكل قاعدة من الفروع ما لا يحصى .

أما أصول الفقه : فهو المنهاج الذى يبين الطريق الذى يلتزمه الفقيه فى استخراج الأحكام من أدلتها ويرتب الأدلة من حيث قوتها ، وهذا فى الواقع ملازم للفقه ووجد معه لأنه حيث يكون فقه يكون حتما منهاج للاستنباط كما يتضح من النظر فى فقه الصحابة .

غير أن هذا المنهج لم يتميز بوضوح الا بعد أن كثرت الفروع وتنوعت الفتاوى والأحكام وظهر الأئمة أصحاب المذاهب ، فهذا أبو حنيفة له منهج واضح يختلف عن منهج مالك ، ولما جاء الشافعى لاحظ الموازين التى لاحظها الفقهاء ووازن بينها ونظمها وأملى على الربيع بن سليمان كتابا أسماه الرسالة الذى قلنا انه لكتابه الأم ، كما وضع أيضا كتاب اجماع العلم وكتاب ابطال الاستحسان .

ثم جاء من بعد الشافعى من كتب فى هذا الموضوع وزاد فيه فوضع الامام احمد بن حنبل فى ذلك كتاب العلل وكتاب الناسخ والمنسوخ ، كما كتب الكثير من فقهاء المذاهب الأخرى .

غير أن فقهاء الأحناف انفردوا بمنهج خاص فانهم أخذوا القواعد الأصولية من الفروع الفقهية المنقولة عن أئمتهم، أما الفقهاء الآخرون فانهم كانوا يقررون القواعد التى تؤيدها الأدلة من المصادر الشرعية ثم ظهرت طائفة من الفقهاء جمعت بين الطريقتين .

ومن كتب الأصول الأولى التى دونت فى هذا على الطريقة الأولى : أصول الكرخى الفقيه الحنفى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ ، وأصول الرازى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وأصول السرخسى المتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

ومن الكتب التى دونت على طريقة المتكلمين المعتمد للبصرى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وكتاب البرهان للجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، والمستصفى للامام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ .

ومن الكتب التى جمعت بين الطريقتين : بديع النظام الجامع بين كتاب البزدوى

والأحكام لابن على الساعاتى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ، وتنقيح الوصول لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المتوفى سنة ٧٤٧ ، والتحرير للكمال بن الهمام المتوفى سنة ٨٦١ ، وجمع الجوامع لابن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ ، والموافقات للشاطبى المتوفى سنة ٧٨٠ هـ .

أما القواعد فقد ألف فيها عز الدين بن عبد السلام كتابه قواعد الأحكام فى مصالح الأنام ، وألف عبد الرحمن بن رجب كتابه القواعد الفقهية ، وألف القرافى كتابه الفروق ، ثم كتب كل من ابن نجيم المصرى والسيوطى كتابا أسماه الأشباه والنظائر .

وبجانب هذا وجد أيضا نوع آخر من التصنيف رسم علاقة الفروع والجزئيات من أحكام الفقه بأصولها وضوابطها ، من هذا تأسيس النظر للدبوسى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ وتخريج الفروع على الأصول للزنجانى المتوفى سنة ٦٥٦ ، وقد كان مخطوطا بدار الكتب المصرية ، وقد أخرجته جامعة دمشق هذا العام وقد كان لى شرف التقديم له ، وهناك أيضا كتاب التمهيد فى استخراج المسائل الفروعية من القواعد الأصولية .

***

وبجانب كل هذا وجد نوع آخر من التدوين هو كتب الفتاوى ، وفى الواقع ان هذا النوع أفاد القضاة والمفتين أجل فائدة لأن الفتاوى دائما تساير الحياة العملية وتسير معها ، وقد كان فريق من الفقهاء بعد أن يتجمع لديهم قدر كبير من الفتاوى يقسمونها على حسب تبويب الفقه ويجمعون كل نوع من الفتاوى فى باب واحد ، ومن هذه المجموعات ما لم يخرج الى الحياة وبقى مخطوطا كالفتاوى الظهيرية سنة ١٦٩ هـ والفتاوى التتارخانية القرن السابع الهجرى ، ومنها ما قدر له الظهور والتداول كفتاوى ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ وفتاوى ابن نجيم المصرى سنة ٩٧٠ هـ والفتاوى الكبرى لابن حجر الشافعى سنة ٩٧٤ هـ والفتاوى الهندية فى القرن الحادى عشر والفتاوى الأنقرويه سنة ١٠٩٨ هـ وأخيرا الفتاوى سنة ١٢٥٢ هـ .

هذا وقد كانت وزارة العدل عندنا أسندت سنة ١٩٤٢ الى أستاذنا الكبير الشيخ فرج السنهورى القيام بجمع الفتاوى التى صدرت من دار الافتاء بعد تاريخ الفتاوى المهدية وأن يقوم بتبويبها والتعليق عليها ، وقد شرع فى ذلك فعلا واستمر يعمل فترة طويلة من الزمن أوشك فيها أن ينتهى من مهمته . لكن حدث فى أوائل سنة ١٩٥٠ أن تدخلت الحزبية البغيضة فتسلط الحكام الحزبيون على هذا العمل العلمى الجليل فتسببوا فى ايقافه واهماله حتى ضاعت أصوله ولم يبق لها أثر ، ولو قدر لهذا العمل الجليل أن يتم ممن أسند اليه لكان ثروة فقهية لا تقدر .

***

من هذا العرض السريع الموجز نتبين أيها القارىء كيف دون الفقه الاسلامى وأصوله ، وكيف تضافرت الجهود قديما وحديثا على المحافظة عليه وتنميته ، ولم تقف همم فقهاء عصرنا عند هذا الحد بل كتبوا أيضا عن النظريات العامة وتعمقوا فى المقارنة لا بين المذاهب والآراء الفقهية فحسب بل بين ذلك كله وبين القوانين الوضعية القديمة والحديثة .

ومن الغريب أننا كلما تعمقنا فى دراسة الفقه الاسلامى ، كلما اطمأنت نفوسنا لاتساعه وعمقه ، وازداد ايماننا بصلاحيته لمفاخرة أحدث القوانين وأقواها بل والعلو عليها .

ولم يبق لنا الا أن نمد يد المشرعين اليه ليقفوا عليه ويأخذوا قوانينهم منه مراعين ما فيه صالح المجتمع دون خروج على أحكامه القطعية ولا قواعده العامة ، وعقيدتى أن فى هذا صلاح الأمة ماديا وخلقيا واجتماعيا ، وعقيدتى أيضا أن الطريق أصبح ممهدا معدا تماما ، وأن النفوس قد تهيأت لذلك وفق الله الأمة والقائمين على أمورها الى ما فيه خيرها وفلاحها .

عناصر الحيوية في الدين الاسلامي

-٤-

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

عدم التقليد :

الأصل الثانى من الأصول الحية فى العقيدة الاسلامية أنها لا تكون عن تلقين مجرد أو تقليد أعمى يلقى فيه المعتقد القاء فىالنفس دون وعى او تفكير أو بحث عن ماهيته ودليله وغايته ، وأى مبدأ من المبادىء لا ترسى قواعده على أسس البحث والنظر والتأمل لا يكون له من القوة والثبات والدوام ما يضمن له آثاره من راحة النفس واطمئنان الضمير ، والتضحية فى سبيله والسعى الجاد للغاية التى يهدف اليها .

وقد قــرر علماء النفس والتربية أن خير وسيلة لايمان المتعلم بما يتعلمه وثباته فى نفسه ووضوحه هى الاستنباط والاستنتاج لا التلقين والالقاء الأولى .

والحق أن المتعلم عندما يعمــل فكره ، ويتنقل به من درجة الى درجة ومن مقدمة الى نتيجة حتى ينتهى أخيرا الى الحقيقة التى يراد له أن يعلمها يشعر أنه وصل بعمله وسعيه ، ويحس بلذة الكسب وراحة النفس ، ويشعر بقدرته وكفايته ، وبأن شخصيته بدأت تتكون عناصرها أو على الأقل توفر لها أحد أركانها الأساسية بمثل هذه العمليات الاستقلالية . كما أن المعلومات الواصلة بالسعى والجــد والمتصلة اتصالا وثيقا بالشخصية الانسانية كعنصر هام فى الوجود ـ جديرة بأن يحـرص عليها الانسان أشد الحرص لأنها أصبحت كملك له يدافع عنه ويحمى حماه بكل قوة ، ويعمل جاهدا على بقائه سليما مشرقا كعنوان من عناوين كرامته .

والعقيدة بهذا التكييف وبعلاقاتها الوثيقة بالشخصية عامل من أهم العوامل فى التضحية والفداء كما أنها عامل من أقوى العوامل على الجد فى نشرها وتوسيع نطاقها كصورة من صور الشخصية الايجابية التى يود صاحبها أن يوجد لها مجالات واسعة فى المجتمع .

ولما كانت العقيدة بهذه المكانة وتلك الآثار حرص الاسلام على أن يكون ثبوتها فى القلب عن طريق البحث والتأمل والفكر ، وأن ينعى على التقليد كوسيلة من وســائل المعرفة الصحيحة التى تنبنى عليها المسئولية وتعطى ثمارها المطلوبة .

والواقع أن التقليد تعطيل لقوى العقــل وجحود لنعمة الله الكبرى على الانسان التى ميزه بها على سائر الحيــوان ، وخروج على السنن الكونية فى موازين الناس والمخلوقات ، ومن هنا جاء الأمر باستعمال العقل فى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، فقد تكررت مادة العقل فى القرآن نحو ٥٠ مرة ومادة الفكر نحو ١٨ مرة ، وجاءت عبارة (أفلا تعقلون)

١٢ مرة ، وعبارة (لعلكم تعقلون) ٨ مرات ، وهذه المواد جميعها هى فى مجال التأمل والتفكر واستعمال وجوه النظر ٠ الى جانب الآيات التى ورد فيها ذكر التفكر والنظر مرات كثيرة ، ونعى الاسلام كثيرا على من يهملون عقولهم التى هى أولى الخصائص البشرية للنوع الانسانى ، فمن ذلك قوله سبحانه : « **ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون** » ٠ وقوله : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس . لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ٠ أولئك كالأنعام بل هم أضـل ٠ أولئك هم الغافلون** » ٠ وحكى ما قاله المقلدون لآبائهم ، ووقفوا به يعارضون دعوة الرسل « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ٠ صم بكم عمى فهم لا يعقلون** » ٠ فقد نعى عليهم تقليد آبائهم تقليدا أعمى فى كل ما ورثوه عنهم حتى لو كان هذا الموروث مخالفا للعقل مجانبـا للصواب ، وشبههم بالبهائم التى لا تعى ولا تعرف ما يأمرها به الراعى ولا الى أية جهة هى مسوقة ، فهى لا تهتم الا بالأكل على أى وضع وفى أى مكان فجهاد الراعى معها جهاد ضائع ما داموا محبوسين فى سجن الموروثات الأولى ٠ انهم صم عن سماع الحـق ٠ عمى عن رؤية الشواهد الصريحة ، وبهذا سدوا منافذ العقل ليؤدى مهمته ٠

ويقول فى آية أخرى : « **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجـدنا عليه آباءنا ٠ أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » ٠

والتقليـد الأعمى داء من أفتك الأدواء بالبشرية وأخطرها على النهوض والرقى الفكرى ، وقد كانت له آثاره السيئة فى معارضـة المصلحين ، ومواجهة دعوة الأنبياء والرسل ٠ يقول الله سبحانه وتعالى : « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ٠ قال أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليـه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون** » ٠

ونبه جميع أئمة المسلمين وكبار فقهائهم الى خطر التقليد **فقال أبو حنيفة** : حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى ، **وكان الامام مالك يقول عندما يستنبط حكما** : أنظروا فيه فانه دين وما من أحد الا مأخوذ من كـلامه ومردود عليه الا صاحب هذه الروضة ـ يعنى النبى ـ **وقال الشافعى لأحد تلاميذه** : يا أبا اسحق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين ، **وقال أحمـد بن حنبل** : أنظروا فى أمر دينكم فان التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة ٠

وبحث أئمة الكلام والأصول فى ايمان المقلد الذى يعتقد قول الغير اعتقادا جازما ، وقالوا : هل يعتبر ايمانه منجيا له فى الآخرة أم لا ؟ وبنوا خلافهم فى الاجابة على هذا السؤال على خلافهم فى المعرفة وهى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل ٠ هل هى واجبة على المكلف أو مندوبة ؟ وقد أجمع أهل السنة والمعتزلة على وجوب المعرفة ووجوب النظر بدليل الآيات الكثيرة الواردة فى ذلك ، وسواء أكان وجوبها وجوب أصول أم فروع فان المقلد من غير دليل مقصر ، وتفصيل ذلك يرجع اليـه فى كتب التوحيد والأصول ٠

وقد ورد فى ذم السابقين الذين اتبعـوا الرهبان والأحبار فى كل ما يقولون دون بحث وتأمل قوله سبحانه : « **اتخذوا أحبـارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** » ٠ يقول عدى ابن حاتم أتيت رسول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ وفى عنقى صليب ، فقال : يا عدى ألق هذا الوثن من عنقك ، وانتهيت اليه وهو يقرأ سـورة براءة حتى أتى على هذه الآية « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** » **قال : فقلت يا رسول الله : انا لم نتخذهم أربابا ٠ قال : بلى ٠٠ أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلوه ، ويحرمون عليكم ما أحل لـكم فتحرموه ؟ فقلت : بلى ٠ قال : فتلك عبادتهم « رواه احمد والترمذى »** ٠

وهذه السلطة التى منحت للرؤساء على المرؤوسين فى عقائدهم وتشريعاتهم مستمدة مما ورد فى انجيل متى فى الاصحاح ١٦ فقرة ١٨ ، ١٩ • وأنا أقول لك أيضا : أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات • **يقول الشيخ محمد عبده معلقا على ذلك :** فاذا قال الرئيس الكهنوتى لشخص انه ليس بمسيحى صار كذلك ، واذا قال : انه مسيحى فاز بها ، فليس المعتقد حرا فى اعتقاده • يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله • بل عينا قلبه مشدودتان بشفتى رئيسه ، فاذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها القابض على تلك السلطة • وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا •

لقد قال القديس «أنسلم» أسقف (كانتربرى) واللاهوتى الشهير المتوفى سنة ١١٠٩ م : يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم اعتقادك ، **ويعلق الامام محمد عبده على هذا بقوله :** انه نوع من التفضل على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطرى الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد ، والا فمجرد الايمان كاف فى الخلاص ، ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا أدى اجتهاده الى شئ يخالف ما تعلق به امامه • فكأن معنى الفهم أن يخلق المؤمن لنفسه ما يسلى به نفسه على ايمانه بغير المفهوم •

ومن أجل هذا المنهج الفكرى الذى سار عليه فلاسفة النصارى فى القرون الوسطى والذى لا يتفق أبدا وما تفتقت عنه الأحداث من نهضات ـ هاجم المفكرون والمصلحون رجال الدين الذين يتبعون هذا المنهج التقليدى ، وسرت عدوى هذا الهجوم الى الأوساط الاسلامية ، وقام به من لا يفقهون دينهم أو يحاولون التخلص منه فرددوا أن الاسلام دين تسليم بالآراء وقبول للمعتقدات • حتى لو كانت مجافية للعقل مجانبة للصواب • بعيدة عن مجال البحث والنظر • **جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية تحت كلمة « دين » ما نصه :** ان قلنا ان الذوق الانسانى يقتضى اعتقاد الأشياء التى يمكن تعقلها يقولون : لا لا ، ثم يحاولون اذلال هذا العقل الانسانى الذى يدعى لنفسه التمييز بين الخير والشر وبين العدل والظلم ، حتى اذا تمت تعمية عين العقل ، وتغشية باصرة البصيرة الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا عادية وأن تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الفضيلة رذيلة يعود الدين فيهيب بالناس الى الطاعة ، فان سألتهم : نطيع من ؟ أنطيع عقولنا أم واجباتنا الطبيعية أم احساساتنا القلبية •• ؟ أنطيع القوانين الحقة المفيدة للانسانية والتى لم تنتج من تلك الأصول المتقدمة نفسها •• ؟ أجابوك : لا ، ولكن أطع وأنت أعمى « مجلة الأزهر مجلد ١٠ ص ٢٩١ » •

وبعد ••

فان بناء العقيدة الاسلامية على البحث والنظر وعدم قبول التقليد الأعمى كمنهج متبع فى الحياة علامة بارزة من العلامات المميزة للدين الاسلامى فى حيويته وأصالته ، وفى سعيه لجمع الأمم والشعوب على كلمة سواء ، ذلك لأن التقليد واتباع المواريث واهمال حكم العقل ونداء الطبيعة الانسانية أداة من الأدوات الجبارة التى فرقت بين الأمم ، وجعلتهم شيعا وأحزابا ، والمتخلص من هذه المؤثرات المستجيب لنداء العقل يرجى منه الخير فى حياة جماعية وعاطفة عالمية فان العقل فى مقرراته الأولى قدر مشترك بين البشر جميعا• لا يخرج عليه الا خارج عن انسانيته •

والاسلام بنعيه على التقليد يريد أن يزيل العقبات والحواجز التى تعوق رسوخ المبادئ الفاضلة التى جاء الدين ليغرسها فى النفوس وينشرها بين العالم ، وهو يطالب دائما بالدليل والبرهان وجعل كل ذلك فى متناول البشر جميعا على نحو ما سنفصله فى المقال التالى ان شاء الله •

ابن حزم الأندلسى

الوزير العالم الفيلسوف

الأستاذ طاهر الطناحى

مناى من الدنيا علوم أبثهـــا
وأنشرها فى كل باد وحـاضر
دعاء الى القرآن والسـنة التى
تناسى رجال ذكرها فى المحـاضر

قائل هذين البيتين ، هو الامـام الوزير أبو محمد على بن حـزم الأندلسى المولود بقرطبة سـنة ٣٨٤ الهجرية ، والمعـاصر للفيلسوف الطبيب على بن سينا .

وقد شاءت الأقدار للحضارة الاسـلامية والحياة العقلية فى الاسلام ، أن يطلـع هذان النجمان العظيمان فى عصر واحد ، وأن يملأ ابن سينا الشرق الاسلامى بعلمه ، وطبه ، وفلسفته ، وأن يسطع ابن حـزم فى الغرب الاسلامى بفلسفته وعلمه وأدبه واجتهاده . وأن يخدم كل منهما التفكير الانسانى ، وعلوم الدين والفلسفة خدمة جليلة ، وأن يكون لهما من التراث العقـلى ما عنى به المتقـدمون والمحدثون من الفلاسفة والعلماء ، وكان موضع عنـاية المستشرقين ودراسـتهم فى عصرنا الحديث .. !

لقد أوجز ابن حزم حياته كلها فى هذين البيتين ، فقد كان مغرما بالعلم ، متفانيا فى تحصيله ، لا عن حاجة للرزق ، ولـكن عن رغبة وهوى . وكان مجدا فى وضع تآليفه ، متفننا فى بحوثه ، واسع الأفـق ، خصب القريحة ، غزير الانتاج . قد جمع الى العلم الفلسفة ، والى التاريخ فن الأدب ، والى بلاغة اللسان قوة البيان ، والى قوة التفكير سداد الرأى ، والى كبر النفس جمال التواضع ، والى ممارسة السياسة كمال الكياسة ، والى حرية الفكر سمو الأخلاق ، والى حب العلم العمل به .. ذكروا أنه ناظر الباجى أبا الوليد سليمان شارح كتاب « الموطأ » ذات يوم ، فقـال له الباجى ، وهو يحاوره :

ـ أنا أعظم منك همة فى طلب العلم ، لأنك طلبته ، وأنت معان عليه ، تسهر بمشـكاة الذهب . وطلبته وأنا أسهر بقنديل .. !

فقال له ابن حزم :

ـ هذا كلام عليك ، لا لك .. لأنك طلبت العلم رجاء حال تريد تبديلها بمثل حالى . وأنا طلبته لا أرجو به الا نفعه فى الدنيـــا والآخرة .. !

وقد ولى ابن حزم الوزارة مرتين ، وامتحن بالسجن فى عهدين ، وشـهد بقرطبـة الاضطرابات السياسية والحروب الأهلية التى مزقت الأندلس . وكانت سببا فى ضياعها فيما بعد . واشترك فى حـرب غرناطة مع جيش المستظهر بالله عبد الرحمن الذى كان وزيرا له ، فأسره العـدو . ثم أطلق سراحه ، فعاد الى قرطبة بعد أن غاب عنها ست سنوات . ثم استوزره المعتمد بالله حينما بويع بالخلافة ، ولكنه لم يدم فى الوزارة طويلا ، فقد قتـل

الخليفة بعد ستة أسابيع ، فهجر ابن حزم السياسة ، وتفرغ للعلم ونشره ، وللأدب شعره ونثره ، وللتأليف فى الفلسفة ، ولتصنيف فى علوم الدين .

وقد كان ابن حزم شافعى المذهب متعصبا، ثم صار ظاهريا متحمسا ، وقد دافع عن الظاهرية التى تبطل كل قياس فقهى لا يعتمد على القرآن والحديث . ووضع فى ذلك كتاب : « **ابطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل** » .. ثم نقد الفرق الاسلامية المختلفة ، وحمل على أصحاب البدع والشيع فى كتابه : « **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** »

وقد ألف فى السياسة ، فوضع كتاب : « **الامامة والسياسة فى قسم الخلفاء ومراتبهم** » .. وروى ابنه الفضل أبو رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه أربعمائة مؤلف تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة » ! .

وقد هال ذلك ياقوت الرومى فقال عنه فى كتابه « معجم الأدباء » :

« وهذا شىء ما علمناه لأحد ممن كان فى دولة الاسلام الا لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، فانه كان أكثر أهل الاسلام تصنيفا » .

وقال عنه الامام أبو حامد الغزالى :

« وجدت فى أسماء الله تعالى كتابا لأبى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه ، وسلامة ذهنه » !

أما الذهبى ، فقد قال عنه فى تاريخه :

« .. وكان اليه المنتهى فى الذكاء ، وحدة الذهن ، وسعة العلم بالكتاب والسنة ، والمذاهب والملل والنحل العربية ، والآداب والمنطق والشعر ، مع الصدق والديانة والحشمة ، والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب » !

ولابن حزم كتاب نفيس فى السيرة النبوية. ولقد ألف فى الأخلاق كتابا قيما ، سماه : « **الأخلاق والسير فى مداواة النفوس** » . وهو خلاصة تجاربه فى الحياة ، ونظراته وآرائه فى احوال الدنيا ، وأخلاق الناس . ومن هذا الكتاب قوله :

« لذة العاقل بتميزه ، ولذة العالم بعلمه ، ولذة الحكيم بحكمته ، ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده ، أعظم من لذة الآكل بأكله ، والشارب بشربه ، والكاسب بكسبه ، والآمر بأمره .

« وبرهان ذلك أن الحكيم والعاقل والعالم واجدون سائر اللذات التى سميناها ، كما يجدها المنهمك فيها ، ويحسونها كما يحسها المقبل عليها . وقد تركوها ، وأعرضوا عنها وآثروا طلب الفضائل » .

ومن قوله فى هذا الكتاب :

« من حقق النظر ، وراض نفسه على السكون للحقائق ، وان آلمتها فى أول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه أشد ، وأكثر من اغتباطه بمدحهم ، لأن مدحهم اياه ، ان كان بحق ، وبلغه ، أسرى فيه العجب ، فأفسد بذلك فضائله ، وان كان بباطل ، فبلغه ، فسره ، فقد صار مسرورا بالكذب — وهذا نقص شديد .

« وأما ذم الناس اياه ، فان كان بحق ، كان ذلك سببا الى تجنب ما يعاب عليه ، وهذا حظ عظيم ، وان كان بباطل ، فصبر ، اكتسب فضلا زائدا بالحلم والصبر » .

وقال :

« من سمع قائلا يقول فى امرأة صديقه قول سوء ، فلا يخبره ذلك أصلا ، لا سيما اذا كان القائل عيابا ، وقاعا فى الناس ، سليط اللسان ، أو دافع معرة عن نفسه ، يريد ان يكثر أمثاله فى الناس . وهذا كثير موجود ، وبالجملة ، فلا يحدث الانسان الا بالحق » .

وقال :

« النصيحة مرتان : الأولى فرض وديانة ، والثانية تنبيه وتذكير . وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع . وليس وراء ذلك الا الركل واللطم . وربما أشد من ذلك الا فى معانى الديانة فواجب المرء زيادة النصح .

« واذا نصحت ، فانصح سرا لا جهرا ، وبتعريض لا بتصريح الا اذا لم يفهم المنصوح تعريضك ، فلا بد من التصريح ، ولا تنصح على شرط القبول منك . فان تعديت هذه

الوجوه ، فانت ظالم لا ناصح ، وطالب طاعة ، لا مؤدى حق وأمانة » •

وقد نهج ابن حزم فى هذا الكتاب ـ كما ترى ـ نهج عبد الله بن المقفع فى كتابه « الدرة اليتيمة » المسمى « الأدب الكبير » •• ولكن اسلوبه الثانى حين يؤلف فى الفلسفة والدين ، أو فى الأدب والمنطق ، أو حين يناظر مناظريه ، أو يجادل خصومه ـ هو أسلوب مرسل •• وهو قوى شديد حين يشتد على مجادليه ، أو يحمل على خصومه المتحدين آراءه المناهضين له • فقد كان يصكهم صك الجندل ، ويمسك بحجته ، فلا يهن ولا يتزلزل ، ومن الأقوال الشائعة عند الأولين **« أن قلم ابن حزم ولسانه فى مضاء سيف الحجاج »** •

ولكن ابن حزم مع ذلك كان ينصف خصومه ، ولم يكن من طبعه اختلاق الحجج الواهية ، أو رميهم بالتهم فى دينهم أو أخلاقهم •

وقد أحب ابن حزم فى شبابه حبا عذريا ونظم فيه كما ينظم الشباب شعرا عاطفيا رقيقا • وكان للحب فى الأندلس عشاق وشعر وشعراء ، وروضة يانعة غناء ، نبت فيها وازدهى وترعرع ، فشمل الخاصة والعامة ، والأمراء والوزراء وسواد الناس • ولعل ابن حزم كان اول من ألف فى الحب كتابا على منهج علمى دقيق ، لم يسبقه اليه مؤلف من المؤلفين ، فقد وضع فيه كتاب « طوق الحمامة فى الألفة والآلاف » بوبه فى ثلاثين بابا تحدث فيها عن ماهية الحب وأسبابه ، وعن أنواعه وعلاماته ، وعن الحب فى النوم ، والحب بالوصف ، والحب بنظرة واحدة ، وعن الوصل والهجر ، وعن الضنى فيه والهوان ، وعن الحب بالمراسلة ، والسفارة بين المحبين ، وعن الاذاعة والكتمان ، وعن الرقباء والوشاة ، وعن الوفاء والغدر ، وعمن ماتوا بسبب الحب ، وما شهده بنفسه فى ذلك •• !

وقد سبق ابن حزم بعض علماء العرب وفلاسفة اليونان ، ولكنهم لم يتناولوه بالتفصيل كما فعل ابن حزم ، ولم يؤلفوا عنه كتابا خاصا كما ألف • وقد عرفوه تعريفا غامضا ، اما ابن حزم ، فقد عرف الحب بأنه « استحسان روحى ، وامتزاج نفسانى بين أجزاء النفوس فى أصلها الرفيع » • ويقرب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف فى محبوبته :

خلط الله بروحى روحها
فهما فى جسدى شىء أحد
بهما يحيا اذا ما اصطحبا
فاذا ما افترقا مات الجسد

وقد الف معاصره على بن سينا رسالة فلسفية صغيرة فى العشق لا تتجاوز عشرين صفحة تحدث فيها عن الحب بالمعنى العام • وهو الجاذبية والانجذاب ، وانه يسرى فى سائر الموجودات ، حتى الجواهر البسيطة غير الحية •• وقد نهج ابن خلدون نهج ابن سينا فى مقدمته ، فعرفه بهذا المعنى •• أما ابن القيم الجوزية المتوفى بعد ابن حزم بثلاثة قرون ، فقد وضع كتابا فى الحب سماه « روضة المحبين » نهج فى تاليفه وتبويبه نهج « طوق الحمامة » لابن حزم • واقتبس منه كثيرا ، وذكره فى مواضع كثيرة • وانتحى فيه ناحية الدين واستشهد ببعض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية ، وتوسع فى بعض بحوثه كالبحث عن الحب وهل هو اختيارى أو اضطرارى ، وذكر للحب خمسين اسما •

ولم يتعرض ابن حزم فى كتابه لأخبار المحبين السابقين ، بل كل ما اعتمد عليه كان من حوادث عصره فى الأندلس ، وما شهده بنفسه ، أو سمعه من ثقات قومه • فهو يقول فى مقدمة هذا الكتاب مخاطبا صديقه عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر الذى كلفه أن يضع كتابا فى الحب : « •• وانى ذاكر لك ما عرض لى مما يشاكل ما نحوت نحوه ، وناسبه الى ، والتزمت فى كتابى هذا الوقوف عند حدك ، والاقتصار على ما رأيت أو صح عندى بنقل الثقات • ودعنى من اخبار الأعراب والمتقدمين ، فسبيلهم غير سبيلنا ، وقد كثرت الأخبار عنهم • وما مذهبى أن أنضى مطية سواى ، ولا أتحلى بحلى

مستعار ، والله المستغفر والمستعان لا رب غيره » .

وقد ألف هذا الكتاب فى أيام نكبته بعيدا عن الأهل والأوطان ، ولا ندرى لماذا سماه « طوق الحمامة » الا أن يكون ذلك جريا على التأنق فى الأسماء ، والرقة فى التعبير التى اشتهر بها أدباء الأندلس ، أو أن يكون اشارة الى بريد المحبين والألاف الذى تحمله الحمائم.

وشعر ابن حزم فى « طوق الحمامة » بين المطبوع والمصنوع ، وهو فى جملته شعر أديب اجتذبه العلم وشغلته الفلسفة عن سعة الخيال ، وجزالة التعبير ، ومن شعره قوله :

هجرت من أهواه لا عن قلى
يا عجبا للعاشق الهاجر

لكن عينى لم تطق نظرة
الى محيا الرشأ القادر

فالموت أحلى مطعما من هوى
يباح للوارد والصادر

وفى الفؤاد النار مذكية
فاعجب لصب قربها صابر

وقد روى ابن حزم كثيرا من الأمثلة والقصص والنوادر التى استشهد بها فى بحوثه . فمن ذلك ما رواه عمن ماتوا بالحب ، فقال :

« وأنا أخبرك عن أبى بكر اخى رحمه الله. وكان متزوجا بعاتكة بنت قند صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور ابى عامر . وكانت التى لا مرمى وراءها فى جمالها وكريم خلالها ، ولا تأتى الدنيا بمثلها فى فضائلها، وكان الزوجان فى حد الصبا ، وتمكن سلطانه ، تغضب كلا منهما الكلمة ، التى لا قدر لها ، فكانا لم يزالا فى تغاضب وتعاتب مدة ثمانية أعوام . وكانت قد شغلها حبه واضناها الوجد فيه ، حتى توفى أخى رحمه الله وهو ابن اثنين وعشرين عاما ، فما انفكت منذ توفى عن الحزن العظيم الى أن ماتت بعده بعام فى اليوم الذى مات فيه . وكانت تقول : « ما يقوى صبرى ، ويمسك رمقى فى الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته الا تيقنى ألا يضمه وامرأة أخرى مضجع أبدا ، فقد أمنت هذا الذى ما كنت أتخوف غيره . وأعظم آمالى اليوم اللحاق به » !

ومع أن ابن حزم قد توخى البحث العلمى فى هذا الكتاب ، ولم يذكر فيه منكرا ، فقد ختمه بفصلين أحدهما عن قبح المعصية ، والثانى عن التعفف ، واعتذر فى النهاية عن تأليفه ، فقال :

« .. وانا استغفر الله تعالى مما يكتب الملكان ، ويحصيه الرقيبان من هذا وشبهه ، استغفار من يعلم أن كلامه من عمله ، ولكنه ان لم يكن من اللغو ، الذى لا يؤاخذ به المرء ، فهو ان شاء الله من اللمم المعفو ، والا فليس من السيئات والفواحش التى يتوقع عليها العذاب . وعلى كل حال فليس من الكبائر التى ورد النص فيها .

« وأنا أعلم انه سينكر على بعض المتعصبين تأليفى لمثل هذا ، ويقول : انه خالف طريقته ، وتجافى عن وجهته ، وما أحل لأحد أن يظن فى غير ما قصدته . قال الله عز وجل : **« يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » .. وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اياكم والظن ، فانه أكذب الكذب » . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، أو ليصمت » . وعن قتادة بن سعيد قال : « وضع عمر بن الخطاب ثمانى عشرة كلمة من الحكمة منها : ضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك ما يغلبك عليه » .**

« **ولا تظن بكلمة خرجت من فم امرىء مسلم شرا ، وأنت تجد لها فى الخير محملا . فهذا أعزك الله أدب الله ، وأدب رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدب أمير المؤمنين .**

« وبالجملة فانى لا أقول بالمراءاة ، ولا انسك نسكا أعجميا ، ومن أدى الفرائض المأمور بها ، واجتنب المحارم المنهى عنها ، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس ، فقد وقع عليه اسم الاحسان ، ودعنى مما سوى ذلك ، وحسبى الله » ! ..

ولعل بهذا قدمت للقراء صورة صادقة عن حياة هذا الوزير العالم الفيلسوف .

ليلة نصف شعبان
وكيف يحييها المسلمون

الأستاذ عبد الحميد بلبع

اقتضت حكمة الله العليم الحكيم أن يفاضل بين أنواع العالم ، وأن يميز بعض المخلوقات بما يشاء من الفضائل . فهو واهب المنن . وهو معطى النعم . لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع . وهو العزيز الحكيم وان نظرة واحدة فى صفحة الوجود تبين أن الله - جل شأنه - عظم بعض الأمكنة . وفضل بعض الأزمنة ووهب من شاء من بنى الانسان فضلا عظيما وملكا كبيرا . يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم . والله اذ يفضل يوما على يوم أو يكرم ليلة دون أخرى أو يهب من يشاء من عباده ما يشاء ، **فانما يفعل ذلك لحكمة عظيمة قد تخفى . وثمرة جليلة يجنيها الموفقون المخلصون . هى أن يضاعف الله للعاملين فى هذه الأزمنة أو الأمكنة المفضلة أعمالهم . ويبارك لهم أجورهم .. ويرفع فى العالمين منزلتهم . حيث جعل الحسنة فيها بألف فى غيرها . منة من الله وكرما وهو الغنى الحميد . تفضل بهذا كله تشجيعا للعامل . وتنبيها للغافل . والله واسع عليم . فالأيام الفاضلة هى موسم العبادة وهى موطن الطاعة وهى الأمل الذى يرقبه الموفقون . وقد كان المؤمنون السابقون يرقبون هذه الأيام والليالى حتى اذا حلت بهم يتنافسون فيها فى صالح العمل . ويتسابقون فى أنواع العبادة اعترافا بعبوديتهم لله مالك ناصيتهم ومصرف شئونهم . فانه انما خلقهم ليعبدوه وكلفهم ليطيعوه . وسيحاسبهم على كل ماعملوه « أيحسب الانسان أن يترك سدى » « وماخلقت الجن والأنس الا ليعبدون »**

كانوا يتنافسون فيها فى الباقيات الصالحات ثقة منهم أن نعيم الآخرة لاينال الا بالعمل الصالح وأن الدنيا لاتملك الا بالعمل الصالح وأن الحياة الهادئة الوادعة المطمئنة نتيجة العمل الصالح « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون** » فالعمل الصالح قوة وسلام ونظام ووئام ، والعمل الصالح روح العمران وحياة الاجتماع وهو بعد خير وسيلة للصلة بالله وأهدى سبيل لمحبة الله . قال تعالى على لسان نبيه « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** » وفى الحديث القدسى « **وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه** » الحديث وأعلى درجات العمل الصالح أداء ما فرض الله على عباده وفى الحديث القدسى « **وماتقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء مافرضته عليه** » والتحلى بمكارم الأخلاق من الوفاء بالعهد والصدق فى القول والشجاعة فى الحق والاخلاص فى التعامل والعدل مع الأفراد والجماعات عمل صالح ، والعمل الصالح له الأثر البالغ فى تفريج الكروب وحل الأزمات وصيانة الاولاد من عوادى الأيام « **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله** » « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** »

والحمد لله أن كانت ليلة النصف من شهر شعبان احدى الليالى التى شملها فضل الله واختصها الله بأنواع من الخير والبر ، روى

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال « يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن » رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، وروى عن على - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال « اذا كانت ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له . ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر » رواه ابن ماجه وغير ذلك من الأحاديث ، وها نحن أولاء على أبواب ليلة نصف شعبان وانها لفرصة طيبة ومناسبة كريمة جدير بالمسلمين أن ينتهزوها فيحيوا هذه الليلة بأنواع العبادات . ويتسابقوا فى احيائها بألوان الطاعات كما كان يتسابق فى أمثالها سلفهم ، ومما يحسن التنبيه عليه فى هذه المناسبة أن أفضل أنواع العبادات أداء الفرائض التى فرضها على عباده كما مر ذكره فى الحديث القدسى « **وماتقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء مافرضته عليه** » واذا رغب العبد فى المزيد من العبادة فعليه بالنوافل الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى كثيرة أبوابها منوعة ، وجهاتها متعددة ، من صلاة وصيام وصدقات وصلح بين الناس واماطة الاذى عن الطريق الى غير ذلك من أبواب الخير والبر فمن أراد احياء الليلة فليحيها بما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يتعبد فيها بما لم يرد والا كان عمله مهملا ضائعا لاثواب فيه ولا أجر له فانه مبتدع ومحدث ، والرسول يقول : « **من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » والى السادة معشر القراء ماورد عن رسول الله مما كان يحيى به ليلة النصف من شهر شعبان لنتبع هديه وننهج نهجه ولا نخرج عما بين ولانزيد شيئا عما شرع قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد صلاة العشاء فوضع عنه ثوبين ثم لم يستتم أن قام فلبسهما « يعنى وخرج » فأخذتنى غيرة شديدة ظننت انه يأتى بعض صويحباتى « تعنى ضرائرها » فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الفرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء فقلت بأبى وأمى ، أنت فى حاجة ربك وأنا فى حاجة الدنيا فانصرفت ودخلت حجرتى ولى نفس عال » ..**

فلحقنى رسول الله وقال ماهذا النفس ياعائشه ! فقلت بأبى وأمى أتيتنى فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ماتصنع فقال ياعائشة أكنت تخافين أن يحيف عليك الله ورسوله ؟ أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شهر شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب لاينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر؟ قال ثم وضع عنه ثوبيه وقال ياعائشة أتأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ فقلت نعم ، فقام فسجد ليلا طويلا حتى ظننت أنه قد قبض ، فقمت ألتمسه فوضعت يدى على قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك . وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما أصبح ذكرتهن له فقال يا عائشة تعلميهن فقلت نعم فقال تعلميهن وعلميهن فان جبريل عملنيهن وأمرنى اردهن فى السجود »

رواه البيهقى

من هذا نعلم أن رسول الله كان يحيى ليلة النصف من شهر شعبان بالصلاة والاستغفار والتسبيح والدعاء وقت السحر وفى بيته منفردا لافى جماعة ولافى هرج ، وانا لنهيب بالمسلمين الآن أن يترسموا خطى رسول الله فى احياء هذه الليلة ولا يلتفتوا الى ما اعتاده الناس الآن من الاجتماع ليلة النصف بعد صلاة المغرب فى المساجد لقراءة يس فى وضع خاص وصلاة ركعات بنوايا متعددة ودعاء على نمط خاص خالفوا فيه الواقع وأفرطوا فى مكان العقيدة من هذا الدعاء ، أما مخالفتهم للواقع فانهم يقولون

فى الدعاء « **الهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شهر شعبان المعظم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم** » الخ ومعلوم أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى الليلة التى نزل فيها القرآن بدليل قوله تعالى « **انا أنزلناه فى ليلة مباركة اناكنامنذرين فيهايفرق كل أمر حكيم** » **والليلة التى نزل فيها القرآن هى ليلة القدر لا ليلة النصف من شهر شعبان بشهادة القرآن نفسه • قال تعالى** « **انا أنزلناه فى ليلة القدر** » وموضع ليلة القدر شهر رمضان لا شهر شعبان بشهادة قول الله « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** »

وأما افراطهم فى مكان العقيدة فى هذا الدعاء فانهم يقولون فيه « **اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مقترا على فى الرزق فامح شقاوتى وحرمانى واقتار رزقى وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات فانك قلت** « **يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** » الخ ، فهم يطلبون محو بعض الأحداث كالشقاوة والحرمان واثبات أحداث أخرى بدلها كالسعادة والغنى ، ومعلوم من الدين بالضرورة أن الله قدر مقادير العباد قبل خلق العباد على مقتضى الحكمة الأزلية وفى ذلك يقول عز من قائل « **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** » ويقول الرسول لابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** » فكيف يتأتى المحو والاثبات بعد أن رفعت الأقلام وجفت الصحف على أن المحو والاثبات يقتضيان الجهل بالأمور وظهور المصلحة بعد خفائها وهذا المعنى مستحيل على **الله القائل** « **ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين** » واذن لامحو ولا اثبات والا كان اضطرابا فى الأدلة يؤدى الى الاضطراب فى العقيدة ، وأعتقد أنه بعد هذا لاداعى الى التمحل فى تأويل الآيات تبريرا للمحو والاثبات الذى يستدلون عليه فى الدعاء بقوله تعالى « **يمحوالله مايشاءويثبت وعنده أم الكتاب** » ولا دلالة فى هذه الآية على صحة المحو والاثبات لأن هذه الآية مع سابقتها وهى قوله تعالى « **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية • وماكان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله • لكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعند أم الكتاب** » انما نزلت هذه الآيات للرد على اليهود الذين عابوا على رسول الله أمورا ثلاثة

الأول — قالوا ان محمدا يدعى النبوة والنبوة روحانية محضة ومع ذلك فقد تزوج النساء وكانت له ذرية ولو كان نبيا حقا لشغلته روحانيته عن شهوة النساء فنزل قوله تعالى ردا عليهم « **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية** »

الثانى — قال اليهود طلبنا من محمد أمورا معينة يأتينا بها تصدقه فى دعواه فعجز ولم يأت منها بأمر واحد ، ولو كان نبيا حقا لاستطاع ان يأتى بما طلبنا منه فنزل للرد عليهم قوله تعالى « **وماكان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله** » ولو جاءت ربما لا يؤمنون كما يقول تعالى « **وما يشعركم أنها اذ جاءت لايؤمنون** » •

الثالث — قال اليهود ان محمدا يأتى بالحكم ثم ينسخه ويأتى بحكم بدله وأن محمدا يقول ان شريعته نسخت شرائع الأنبياء قبله والشرائع كلها من عند الله فكيف ينسخها محمد فنزل للرد عليهم قول الله تعالى

« **لكل أجل كتاب** » أى لكل مدة من الزمن كتاب يشمل أحكاما تناسب فطرة أهل هذا الزمن حتى اذا تغيرت فطرة الناس تغيرت الأحكام تبعا لذلك لأن الدين فطرة الله التى فطر الناس عليها يمحو الله ما يشاء من الشرائع والأحكام ويثبت مايشاء من الشرائع والأحكام رعاية للمصالح العامة والخاصة وعنده أم الكتاب لاتغيير فيها ولا تبديل ولا محو فيها ولا اثبات وهذا الترتيب والنظام فى الأحكام والشرائع مما قدر أزلا أيضا فلا جديد فيه ، فلا دلالة فى الآية اذن على صحة المحو والاثبات فى الأحداث

العالمية ومقدرات العباد كما يزعمون لمنافاته للعقيدة الصحيحة واذن لامعنى للدعاء بطلب المحو والاثبات فى شىء قدره الله على عبده ٠

لقائل أن يقول مادامت شئون العبـــــاد وأمورهم مقدرة قبل خلقهم وتظهر فى الوجود على نحو ماقدرت أزلا فما فائدة الدعاء اذن ؟؟

يمكن أن يقال فى هذا ان الدعاء لم يخرج عن كونه أمرا تكليفيا كلفنا الله به كما كلفنـــا بالصلاة والزكاة والصـــوم والحج وغيرها من الأمور التكليفية وعلينا أداؤه والقيام به وجوبا طاعة للامر أما تحقيق المطلوب فى الدعاء بالذات فأمره موكول الى الله عز وجل العليم الحكيم الذى وعد باجابة الداعى فى قوله : ((**ادعونى أستجب لكم**)) ولكن اجابته تكون فى حـــدود مصلحة الداعى التى قد تكون فى غير ماطلب والتى يعلمها الله وقدرها له أزلا ويعلم أنه لا مصلحة له فيماطلب ((**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبـوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) فقد تكون الاجابة بنفس المطلوب اذا علم الله أنه المصلحة والا عوضه الله خيرا مما طلب حسب المصلحة التى يعلمها الله والتى قدرها له أزلا

هذا وان للدعاء شروطا أخرى : أن يكون الداعى مستعملا للحلال فى مطعمه ومشربه وملبسه ، كما قال الرسول ضمن حديث « وان الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ »

وأيضا يكون الدعاء فى ضراعة وخفية فان الله يقول ((**ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين**)) **والرسول يقول « أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعـــون أصـــم ولا غائبـــا انمـــا تدعون ســـميعا بصيرا حاضرا))** .. أو معناه ، ويكون الداعى حاضر القلب لأن الله لايستجيب الدعاء من قلب غافل لاه ، ولا يدعو بمحرم أو قطيعة الى غير ذلك من الآداب التى تجب رعايتها فى أداء عبادة الدعاء الذى هو مخ العبادة والذى هو مظهر من مظاهر ذل العبودية والفاقة التامة بين يدى مطلق الغنى واهب القوى والقدر وهو اللطيف الخبير

اللهم ياذا المن ولايمن عليه ياذا الجـــلال والاكرام من علينا بفضلك وأدركنا برحمتك ٠ وارزقنا شكر نعمتك اليك لجأنا فلا تطردنا وبك استجرنا فلا تردنا وبك استعنا فاعنـــنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك فارزقنا الأمن والسلامة والطمأنينة اللهم انا ضعاف ان لم تقونا وعزل ان لم تمدنا فلاحول الا بك ولامعول الاعليك ، عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وأنت ولى التوفيق والهادى الى أقوم طريق

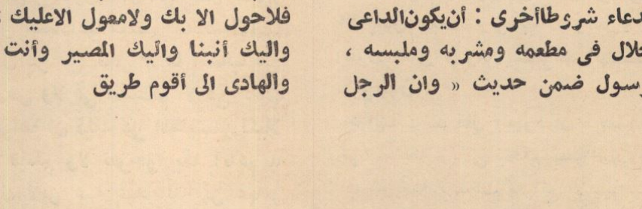

الإسلام في إفريقية

كما يراه أحد المبشرين

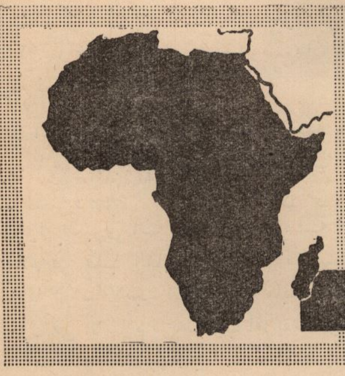

الدكتور محمود قاسم

مازال الاسلام يثير اهتمام الدارسين ، فى الشرق والغرب ، وقد يكون من المجدى أن نشير الى وجهة نظر الآخرين الى الاسلام ، ولا سيما فى هذه السنوات الأخيرة التى أصبحت فيها يقظة الشعوب الاسلامية حقيقة مقررة يعترف بها رجال الدين المسيحيون دون تردد بعد أن كان المسلك التقليدى لهؤلاء هو رفض الاسلام كدين ، أو الذهاب فى وضعه الى حد المماثلة بينه وبين الديانات الوثنية القديمة اغريقية أو رومانية ـ ان هذا المسلك التقليدى لم يعد ينهض على ساقيه · وقد مضى الزمن الذى كان بعض المستشرقين يجول ويصول فى تجريح الاسلام ·

حقا ان أوروبا قد حرصت على تفتيت البلاد الاسلامية ابتداء من القرن السادس عشر · وقد تضافرت الدول المسيحية الكبرى منذ ذلك التاريخ على اقتطاع أجزاء شاسعة من الأراضى التى يسكنها المسلمون · فانتشرت سفن البرتغاليين والهولنديين فى المحيط الهندى والهادى تحطم المدن الاسلامية وتحرق السفن العربية والاسلامية بمن فيها ، وتهدم المساجد وتنكل بذلك العدو التقليدى الذى سيطر على الحضارة العالمية طيلة العصور الوسطى · كذلك ساهم الانجليز والفرنسيون فى هذه الحملة الدينية الاستعمارية الكبرى ولم تكد تقف موجة الزحف الاوروبى والمسيحى الا منذ أوائل القرن الحالى · ومن المحقق أنها لم تقف نهائيا اذ ماتزال جيوش بعض هذه الدول تحتل ، حتى يومنا هذا ، بعض البلاد الاسلامية اما بطريقة سافرة أو بطريقة مقنعة · ومع ذلك ، فان نهضة الشعوب الاسلامية منذ أواخر القرن الماضى ومنتصف القرن الحالى قد حققت انتصارات كبرى لاشك أنها ستمهد لانتصارات تالية لقد بلغ الزحف الأوروبى غايته فى نهاية الحرب العالمية الاولى أى فى سنة ١٩١٨ ، حين احتل الحلفاء القسطنطينية ومزقوا الخلافة العثمانية ، وقسموا بينهم أسلابها ، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأ المسلمون يستردون أنفاسهم ويسترجعون بلادهم بلدا بعد آخر ، وان بقيت بعض بقاعهم فى حوزة أهل أوربا ·

وهذه النهضة الاسلامية تبدو أكثر وضوحا لدى رجال الدين من المسيحيين · اذ بدأت الحقائق الاجتماعية والسياسية فى كثير من بلاد أفريقيا توجب عليهم أن يعدلوا وجهة نظرهم تجاه الاسلام · ويكفى أن نشير هنا الى ماكتبه القسيس ا · « ديبريى » عن انتشار الاسلام انتشارا عجيبا فى أواسط افريقيا ، انا نجده يقول : منذ عدة سنوات توجد دعاية سياسية ودينية تتخذ أفريقيا مسرحا لها · ومن الواجب على من يعمل فى أفريقيا « أى من المبشرين

والمستعمرين » أن يتخذ الأهبة للدخول فى هذه المعركة ، وأن يحيط علما بهذا الوضعوأن يعرف طريقة دخول الاسلام هنا ٠

ان الفكرة القائلة بأن أفريقيا المسلمة تنتهى حدودها عند نهاية المنطقة الساحلية جنوب البحر الابيض المتوسط ، وأنهـــا تختفى فى رمال الصحراء الكبرى انما هى فكرة خاطئة ٠ ان الاسلام فى قلب الغابة والأدغال وســـهول السفانا ٠ اننا لانجد أتباعا أشد مايكون حماسة للدخول فى الاسلام من شعوب أفريقيا الوسطى وأن حماستهم لشبيهة بما عرفه التاريخ عن حماسة كل من الترك والمغول فى الزمن الماضى لقد كان يقال فيما مضى ان واحدا من ثلاثـــة أفريقيين يعتنق الاسلام ٠ لكن هذه النسبة لم تعد صادقة اليوم وربما كانت صادقة فى بـدء الزحف الاسلامى فى القرنين السابع والثامن لكن يقدر اليوم أن عدد الداخلين فى الاسلام من الافريقيين هو تسعة أمثال من يدخل فى المسيحية . وأحيانا نجد أن قبائل أو قرى بأسرها تعتنق الاسلام فى شهور قليلة ، فى حين أن هذه القبائل والقرى ظلت عصية على الدعـــوة المسيحية ٠ وليس ذيوع الاسلام وقفا على أواسط أفريقية بل انه فى طريقه الى جنوبهـــا ٠ **وان مدينة الكاب وحدها لتضـــم ثلاثة وعشرين مسجدا ٠**

ثم يتساءل القسيس « ديبريى » : مامدى انتشار الاسلام فى أفريقية على وجه الدقـــة ؟ فيقول انه من العسير جدا أن نحصـــل على احصائيات جدية عن مدى انتشار الاســـلام ٠ وكل ماهنالك أننا نستطيع القول بأن التقديرات الراهنة الجديرة بالثقة تكشف لنا عن هـــذه الحقيقة وهى أن عدد السكان من المسلمين فى افريقيا بأسرها أكثر بكثير من العدد الذى نجده فى المراجع التقليدية ٠ **فمثلا تضـــم الكونجو البلجيكى سابقا أكثر من ضـــعف ما تحدده الاحصائيات الرسمية القديمـــة ، ومن المحتمل جدا أن يكون الأمر كذلك بالنسبة الى تنجانيقا والحبشة ٠ أما فى السودان الفرنسى سابقا فان نسبة الزيادة فى عدد المسلمين هى ١٥٪ على الأقل عنها منذ عشرين سنة ٠**

ولكن يؤكد لنا هذا المبشر أن الاسلام لما دخل الى أواسط أفريقية لحقته تعديلات عميقة الى حد القول بأن هناك اسلاما خاصا بأواســـط أفريقية ، من حيث أن له سماته المحددة التى تميزه الى حد كبير أو قليل عن الاســـلام فى مختلف بقاع العالم ، ليس من النادر أن نجد مسلمين لايصومون ولا يحجون، كما أنك تجد لديهم رواسب من ديانة الطبيعة الحية ٠ لكنه يعدد فيقول : ان المسلم فى أواسط أفريقية ليس له من اتجاه آخر سوى الصلة التى تربطـــه بمسجد قريته ٠

وليس امتداد الاسلام ظاهرة جديدة ، لكن الجديد هو زيادة معدل سرعة انتشاره ٠ لقـد بدأ الاسلام فى أفريقية منذ السنة الأولى من الهجرة ومازالت هذه الموجة مستمرة حتى أيامنا هذه عبر العصور الوسطى ٠

ومن الممكن تفسير زيادة انتشار الاسلام فى الوقت الراهن بعدة عوامل رئيسية يعرضهـــا « ديبريى » على الوجه الآتى :

ان العامل الأول : فى نظره هو نفوذ أوربا الذى سيطر على أفريقيا فى القرن المنصرم ، وقد غير هذا النفوذ الوضع الدينى والاجتمـــاعى هناك تغييرا حاسما ٠ **وقد أدى نمو طـــرق المواصلات ، والمدن ، والعمليات الاقتصادية ، الى اختفاء النزعة المحلية الاقليمية والعادات القديمة ٠**

أما العامل الثانى : فى نظره فهو المسلك التقليدى للاسلام عندما يكون أصحابه أقلية ٠ **انه يظل متماسكا لايمكن هضمه أى تمثيله ، بل يحتفظ بكيانه ، ويترقب الفرص وأفضـــل الوسائل التى تسمح له دائما بكسب المعـركة على نحو لامفر منه ٠**

وهناك عامل ثالث لاشك فى أهميته الكبرى، ويعنى به يقظة الدول الاسلامية فى شـــمال أفريقية وبعثها من جديد ، ولا سيما بعـــد سقوط الامبراطورية العثمانية ، وهو يشـير صراحة الى أن حركة البعث قد بدت عارمة منذ نحو من عشر سنوات ، **ولاريب فى أنه يشـير هنا الى تخلص الجمهورية العربية المتحـدة من**

النفوذ الغربى ، وامتداد موجة التحـــرر الى الجزائر ومراكش .

وأخيرا يشير الى عامل رابع يعده أهــم العوامل جميعا ، وهو وجود مجموعة استثنائية من الظروف المواتية التى تجعل شـعـوب أفريقية الوسطى أشد مايكون اتجـاها الى الاسلام ورغبة فى اعتناقه ، وربما كانت هـذه الظروف المواتية هى تصفية الاستعمار الذى عزل هذه الشعوب فى الماضى ، ومزق وحدتها ، ووضع الفواصل والحواجز فى طريق اتحادها وأمانيها . **وهو يؤكد ، بعـد ذلك كله أن للاسلام سحرا على هذه الشعوب لأنه له قدرة عجيبة فى التكيف بالأوضـاع السائدة فى افريقية . انه يبدو فى نظر الافريقيين كديانة أفريقية . وكيف لا ؟ ان عقيدته سهلة وواضحة: اله واحد ومحمد رسوله . وهكذا يقبل عليه الافريقيون لبداهته** ، وان كانوا لايتجهــون مباشرة الى أداء فرائضه على حد مايقول هو .. أما الأخلاق الاسلامية فانها تتفق تماما مـع الأخلاق الافريقية . ولكن «ديبريى» لايتوسع فى هذه النقطة على النحو الذى كان ينبغى ، بل يستطرد الى ذكر مسائل فرعية ، دون أن يصر على اعطائها من القيمة أكثر مما تستحق انا نراه يستشهد بمسألة تعدد الزوجات فى الاسلام . فيقول ان هذه الظاهرة تفجأ النظر لكنه سرعان مايعترف بأن حرية الزواج باكثر من امرأة واحدة فى الاسلام ليست فى ذاتها دافعا الى اعتناق الاسلام ، لكن من اليسير على رئيس القبيلة الذى له أكثر من زوج واحدة أن يعتنق الاسلام من أن يعتنق المسيحية . ثم نراه يحاول أن يقرر أن الاسلام دين قبلى ولذا فهو أقرب من غيره الى نفوس الأفريقيين . وقـد أخطأه التوفيق هنا عندما قال ان الاسلام يبرر بقاء النظام الاقطاعى ، فى حين أن المسيحيـة تهدم هذا النظام . ولا ندرى اذا كان « ديبريى» جادا فيما يقول فانه يعلم كما نعـلم ، أن الاسلام فى نشأته قد هدم هذه الحواجز بين الناس وأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء ، وأن يقظة العالم الاسلامى فى العصر الراهن انما تقوم أساسا على محاربة النظام الاقطاعى ، فى حين أن هذا النظام نفسه قد ازدهر فى العصور التى سيطرت فيها الكنيســة ، وانه مازال يسيطر حتى الآن فى صورة مخففة هى صورة النظام الرأسمالى ، وهو النظام السائد ، دون منازع فى الغرب أى فى الدول المسـيحية

وأيا كان الأمر فانه يصف لنا كيف يدخل الاسلام قرية من القرى الافريقية أو يسرى الى نفوس قبيلة من القبائل : انه يزحف تدريجيا وعلى خطوات . ففى البدء يأتى مسلم الى القرية أو القبيلة . وهــو تاجر أو مهـاجر أو مدرس ، ثم يبدأ نشاطه . ثم تظهر الأحجبة . أما الخطـوة الثالثـة فتتم عنـدما تعترف بهـذه الأحجبة ، والطقوس القديمة على أنها اسلامية . وأخيرا تأتى المرحلة الرابعة عندما تقام المدارس القرآنية ، وتتم العلاقات بين هـذه القـرية أو القبيـلة وبقية العالم الاسلامى ، وعندئذ تندمج حقيقة فى الاسلام ، وربما كانت هناك خطوة خامسة لم يشر اليها ، وهى تطهير العقائد من كل آثار الوثنية والاتجاه نهائيا نحو ديانة التوحيد ،الذى يرى المبشرون أنفسهم أنه التوحيد القاطـع الحاسم . وهـو يحدثنا عن جاذبيـة ملابس المسلمين فى نظر الأفريقيين وعن الوحـدة الروحية التى تؤلف بين القلوب . لـكنه لايستطيع الا أن يعترف بأن الاسلام يكفـل لمعتنقيه مزايا اجتماعية ويفتح المدارس ..

وأخيرا يقرر أن الاسلام يختلف تماما عن الديانات الاخرى التى تأتى من أوربا والتى تريد غزو قلوب الافريقيين فهو لايخلق عندهم عقدة النقص ، وهو لايشعرهم بأنهم طبقة من الناس أدنى من غيرهم ، بل يشعرهم بالأخوة هذا الى أنه يدخل بلادهم رفيقا لايبغى استعمارا أو سيطرة . وبعد أن عرض « ديبريى » لهـذه العوامل جميعها قال انه من العسير أن نستخلص من هـذه المجموعة العـامل أو السبب الرئيسى الذى يقوم عليه انتصار الاسـلام ونجاحه فى افريقية . ان هذه البواعث تختلف فى أهميتها من مكان الى آخر ، وفى ظروف دون أخرى . لكنها تتكامل جميعا . ان الحظ الأكبر للاسلام كما يقول « ديبريى » ، هو أنه يحصد زرعا محصولا طيبا بعد ان بذر أشد البذور اختلافا فى أشد البقاع تفاوتا ؟

رجال ومواقف ..

منذر ابن سعيد

فضيلة الشيخ منصور رجب

من هو منذر بن سعيد ؟٠٠ وفى أى البلاد نشأ ؟٠٠ والى أى البلاد رحل ؟٠٠ ومن أى العلماء أخذ ؟٠٠ وبأى الخلفاء اتصل ؟٠٠ وأى الكتب روى ؟٠٠ وأى المناصب تولى ؟٠٠ وأخيرا ما هى المواقف التى تشهد بفضل ذلك الرجل الذى يعتبر بحق مثلا بين الرجال فى تاريخ الأبطال ٠٠

هو منذر بن سعيد البلوطى الأندلسى ٠٠ ولد سنة ٢٦٥ خمس وستين ومائتين منهجرة سيد المرسلين ٠٠ وتوفى فى ذى القعدة من سنة ٣٥٥ خمس وخمسين وثلاثمائة ٠٠ ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربى من قرطبة فى مسجد السيدة الكبرى بقرب داره ٠

رحل حاجا سنة ٣٠٨ ثمان وثلاثمائة ٠٠ وأقام بمصر مدة يقول هو عن نفسه فيها : أتيت وأبو جعفر بن النحاس فى مجلسه بمصر يملى فى أخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول :

خليلى هل بالشام عين حزينة
تبكى على نجد لعلى أعينها

قد أسلمها الباكون الا حمامة
مطوقة باتت وبات قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة
يكاد يدنيها من الأرض لينها

فقلت له : يا أبا جعفر ، ماذا باتا يصنعان ؟ ٠٠ فقال لى : وكيف تقول أنت يا أندلسى ؟٠٠ فقلت له : بانت وبان قرينها ٠ فسكت ٠٠ وما زال يستثقلنى بعد ذلك حتى منحنى كتاب العين ٠٠ وكنت ذهبت للاستنساخ من نسخته فلما يئست منه قيل لى : أين أنت من أبى العباس بن ولاد ؟٠٠ فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة ٠٠ فسألته الكتاب فأخرجه الى ٠ ثم ندم أبو جعفر لما بلغه اباحة أبى العباس الكتاب لى ٠٠ وعاد الى ما كنت أعرفه منه ٠٠

سمع منذر بالأندلس من عبيد الله بن يحيى ونظرائه وجلب فى رحلته كتاب الأشراف فى اختلاف العلماء رواية عن مؤلفه محمد بن المنذر النيسابورى ، وكتاب العين للخليل ابن أحمد رواية عن أبى العباس بن ولاد ٠

واتصل بعبد الرحمن الناصر الخليفة فحظى عنده ٠٠ ثم عند ابنه الحكم من بعده ٠٠ وولى لهما القضاء بقرطبة ابتداء من شهر ربيع الآخر سنة ٣٣٩ تسع وثلاثين وثلثمائة ٠٠ ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ٠ ثم للخليفة الحكم المستنصر الى أن توفى رحمه الله فى ذى القعدة من سنة ٣٥٥ ، فكانت ولايته لقضاء الجماعة المعبر عنهما فى المشرق بقضاء القضاة ستةعشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور فى قضية ٠ ولا قسم بغير سوية ٠ ولا ميل لهوى ٠٠ وكان منذر هذا نحويا فاضلا ، وخطيبا مصقعا ، وشاعرا بليغا ، وله كتب فى السنة والورع والرد على أهل البدع ٠ ومن مصنفاته المتداولة « أحكام القرآن » وكتاب « الناسخ والمنسوخ » ، وله رسائل وخطب مجموعة ، وأشعار متفرقة مطبوعة ٠

وله مواقف جليلة تشهد له بطول الباع فى الاعتصام بالحق ٠ وأنه كان لا يخاف فيه لومة لائم ، منها : أن الخليفة الناصر احتاج الى دار

بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لأيتام ، فأرسل الخليفة من يشتريها من الوصى .. فقال : لا يجوز بيعها الا بأمر القاضى اذ لا يجوز بيع الأصل الا عن رأيه ومشورته ، فأرسل الخليفة الى القاضى منذر فى بيع هذه الدار . فقال منذر لرسول الخليفة : البيع على الأيتام لا يصح الا لوجوه :

أولا - حاجتهم الى البيع .

ثانيا - الوهى الشديد : أى أن تكون متداعية الى السقوط .

ثالثا - الغبطة : أى المنفعة كأن يكون الثمن أكثر من ثمن المثل بكثير ، لأنه مما يغبطهم الناس عليه .

فأما الحاجة : فلا حاجة لهؤلاء الأيتام الى البيع .. وأما الوهى فليس فيها .. وأما الغبطة فهذا مكانها . فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع .. والا فلا .

فنقل الرسول جوابه الى الخليفة ، وخاف القاضى أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام ثورتها ، فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل فكانت للأنقاض قيمة أكثر مما قوم به السلطان . فلما علم الخليفة سأل : أأنت أمرت بنقض الدار ؟.. قال منذر : نعم ، فقال الخليفة : وما دعاك الى هذا ؟.. قال : أخذا من قول الله تبارك وتعالى :

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » .

ان مقوموك لم يقدروها الا بأقل من ثمن أنقاضها التى بيعت به .. هذا موقف .

ومن مواقف منذر بن سعيد التى تشهد بمتانته ما ظهر من بلاغته يوم الاحتفال بدخول رسول قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية على عبد الرحمن بن الناصر موفدا اليه مع وفود سائر ملوك الافرنجة ، وذلك أن الناصر جلس للقاء الوفود بقصر قرطبة. فلما تكامل المجلس ودخل عليه الوفود رحب بهم أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه للتنويه بفخامة الخليفة وما تهيأ من توطيد الخلافة فى أيامه .. وتقدم الى ولى عهده الحكم باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فقدم الحكم أبا على البغدادى القالى صاحب الأمالى والنوادر وهو يومئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة ، فقام أبو على - رحمه الله - فارتج عليه وانقطع وبهر . فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان حاضرا قام من ذاته فرفع هذا الوهى بكلام بهر العقول فخرج الناس يتحدثون ببلاغته .. وحسن بيانه .. وثبات جنانه .. وكان الناصر أشدهم تعجبا واعجابا به . فسأل عنه ابنه الحكم ولم يكن يعرفه فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطى ، فقال : والله لقد أحسن ما شاء ثم قربه ، وولاه الصلاة والخطابة بالمسجد الجامع بالزهراء .. ولما توفى محمد بن عيسى القاضى ولاه الخليفة قضاء الجماعة بقرطبة .. وخطبته فى ذلك اليوم مشهورة تراها فى ترجمته فى معجم الأدباء - ح ١٩ ص ١٧٦ - ١٨٠ - لياقوت الحموى . وتراها أيضا فى نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأديب المغرب الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمسانى - ح ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٨ - طبعة المكتبة التجارية - ومن شعره فى تلك الواقعة - واقعة الخطبة يوم وفود الروم ، قوله :

مقالى كحد السيف وسط المحافل
فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكى ترتمى جمراته
كبارق رعد عند رعش الأنامل
فما دحضت رجلى وما زل بقولى
ولا طاش عقلى يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولى عيون اخالها
كمثل سهام أثبتت فى المقاتل
لخير امام كان أو هو كائن
لمقتبل أفى العصور الأوائل
وفود ملوك الروم وسط فنائه
مخافة بأس أو رجاء لنائل
فعش سالما أقصى حياة مؤملا
فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملك ما بين شرق ومغرب
الى درب قسطنطين أو أرض بابل

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر كلفا بعمارة مدينة الزهراء حتى استفرغ جهده فى تنميتها واتقان قصورها ، وزخرفة جدرانها وسقوفها ٠٠ وانهمك فى ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات ، فلم يسكت على ذلك القاضى منذر بن سعيد ٠ فتناوله فى موعظته حيث ابتدأ خطبته بقوله تبارك وتعالى :

« أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ٠ واذا بطشتم بطشتم جبارين ٠ فاتقوا الله وأطيعون ٠ واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون٠ أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ٠ انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ٠ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » ٠

ثم وصل بقوله :

« فمتاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ٠ وهى دار القرار ٠ ومكان الجزاء » ٠

ومضى فى ذم الاسراف والاستغراق فى زخرفة البنيان ، ودعا الى البساطة التى هى شعار الاسلام ٠ وانتزع ما شاء الله من قوله تباركَ وتعالى :

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير : أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نارجهنم والله لايهدى القوم الظالمين » ٠

وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجأته ٠ والدعاء الى الزهد فى هذه الدار الفانية ، وأسهب فى ذلك حتى أبكى الناس ٠ فوجد الخليفة على منذر لغلظ ما قرعه به ٠ فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر ٠ وقال : والله لقد تعمد منذر بخطبته ، وما عنى بها غيرى ٠ فأسرف على ٠ وأفرط فى تقريعى وتفزيعى ٠ ولم يحسن السياسة فى وعظى ٠ فزعزع قلبى ٠ وكاد بعصاه يقرعنى ٠٠ واستشاط غيظا عليه ٠ وأقسم أن لا يصلى وراءه صلاة الجمعة خاصة٠ فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ٠ ويجانب الصلاة بالزهراء ٠ فقال له الحكم : وما الذى يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك اذ كرهته ؟٠٠ فقال الخليفة لابنه : أمثل منذر بن سعيد فى فضله وخيره وعلمه يعزل لارضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد ؟ هذا ما لا يكون وانى لأستحى من الله ألا أجعل بينى وبينه شفيعا مثل منذر فى ورعه وصدقه ولكنه أحرجنى فأقسمت ولوددت أنى أجد سبيلا الى كفارة يمينى ٠٠ بل يصلى بالناس حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض به أبدا ٠٠

وفى هذه الأزمة أمر الناصر بالقصور ففرشت ٠ وفرش مجلسه بأصناف فرش الديباج وأمر بالأطعمة فمدت ٠ وقد أحضر العلماء ٠ وغص بهم المجلس ٠ فدخل منذر فى آخرهم فأومأ اليه الخليفة أن يقعد بقربه ٠ فقال : يا أمير المؤمنين انما يجلس الرجل حيث انتهى به المجلس ٠ ولا يتخطى الرقاب فجلس فى آخر الناس وعليه ثياب رثة ٠

قد يبدو لبعض الناس أن هذا التصرف بعيد عن الذوق العالى والحس المهذب ٠ ولكنه الايمان بالله تبارك وتعالى وبمثله ومبادئه وأهدافه٠ واذا حل الايمان قلبا أصبح لايرى غير مولاه الذى خلقه فسواه ٠ أما دونه فكلهم سواء ٠ ولا شىء عنده الا أن يكون صادقا مع نفسه ملتزما حدود الله وليكن بعد ذلك مايكون فقد وعد الله أن يدافع عن الذين آمنوا ٠ والله لا يخلف وعده ٠

كان منذر بن سعيد مع علمه وفضله وخيره وأدبه متواضعا أشد التواضع : خطب مرة فكان من فصول خطبته أن قال : حتى متى والى متى أعظ ولا أتعظ ، وأزجر ولا أنزجر ٠ أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين؟ ٠٠ كلا ان هذا لهو البلاء المبين ٠ ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ٠ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ٠٠ اللهم فرغنى لما خلقتنى له ٠٠ ولا تشغلنى بما تكفلت لى به ٠ ولا تحرمنى وأنا أسألك ٠ ولا تعذبنى وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين ٠

ومن شعره فى الزهد قوله :

كم تصابى وقد علاك المشيب
وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير
ان يوم الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منك رحيل
بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها
لا يداوى اذا أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهينا
ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم
فاعملن جاهدا له يا ربيب
وتذكر يوما تحاسب فيه
ان من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا
للمنايا بها عليك رقيب

ومن حكاياته مع الخليفة الناصر أنه حضر يوما مجلسه فى الزهراء فقام الرئيس أبو عثمان بن ادريس فأنشد الناصر قصيدة منها :

سيشهد ما أبقيت انك لم تكن
مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا
فبا لجامع المعمور للعلم والتقى
وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج ، وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا :

يا بانى الزهراء مستغرقا
أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقا
لو لم تكن زهرتها تذبل -

فقال الناصر : اذا هب عليها نسيم التذكار والحنين • وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى :

فقال منذر : اللهم اشهد انى قد بثثت ما عندى ولم آل نصحا •

ولم يكن منذر بن سعيد مع ورعه وزهده وتقواه جلفا ، بل كان مع هذا ظريفا لطيفا : كتب مرة الى أبى على البغدادى القالى صاحب الأمالى يستعير منه كتابا فأرسل اليه يقول :

بحق ريم مهفهف
وصدغه المتعطف
ابعث الى بجزء
من الغريب المصنف

فأرسل أبو على اليه يقول :

وحق در تألف
بفيك أى تألف
لأبعثن بما قد
حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسى
اليك ماكنت أسرف

وكتب بعض الأدباء اليه يقول :

مسألة جئتك مستفتيا
عنها وأنت العالم المستشار
علام تحمر وجوه الظبا
وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله :

احمر وجه الظبى اذ لحظه
سيف على العشاق فيه احورار
واصفر وجه الصب لما نأى
والشمس تبقى للمغيب اصفرار

وحدث ابنه سعيد قال :

« قعدنا ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول : أطعمونى من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة •• وأخذ السائل يكثر من ذلك فقال منذر لأولاده : ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منكم أحد •

هذه نبذة عن ذلكم الرجل العظيم منذر بن سعيد ، وفى سردها نعلم ما كان للدين فى الأندلس من العز السامى •• وما كان لدولة الاسلام فى الأندلس من الغلبة حتى خضع لملكها ملوك أوروبا العظام • ولعل فى تذكير قومى بأولئكم المثل فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا فى هذه الظروف الدقيقة أن نصدق مع أنفسنا وأن نعمل على اعادة مجدنا الذى بهر الدنيا وخلف أدبا لا يطاول •

بطولات اسلامية

أرطبون العرب

الأستاذ محمد فرج

عندما وجهت الجيوش الاسلامية الى فلسطين والشام .. ألقى عبء القتال فى فلسطين على عاتق عمرو بن العاص .

وبعد أن تم فتح دمشق سار أبو عبيدة ليفتح شمال الشام واتجه عمرو بجيشه الى فلسطين ليقضى على قوات الروم الموجودة بها والتى يتولى قيادتها أرطبون .

وأرطبون هذا داهية من دهاة الروم .. مشهور ببعد النظر والقدرة على مواجهة الأزمات ، والتخلص من المآزق والتحايل والمناورة .

وعندما علم أرطبون أن جيشا عربيا يقوده عمرو بن العاص يتجه اليه جمع قوات كبيرة تحت قيادته ، وقام بتوزيع هذه القوات فجعل قوة منها فى بيت المقدس ، وقوة فى غزة ، وقوة أخرى فى المقدس وعسقلان فى الرملة ، وجعل بقية الجيش فى أجنادين وتولى هو القيادة فى أجنادين .

واذا كان أرطبون من دهاة الروم ، فان قائد جيش المسلمين من دهاة العرب ، ولا عجب ، فعندما أحصى العرب دهاتهم عدوا أربعة منهم عمرو ، وجعلوا لكل واحد مزية يمتاز بها فى دهائه ، فقالوا « ان معاوية للروية وعمرو للبديهة ، والمغيرة للمعضلات ، وزيادة لكل صغيرة وكبيرة » .

وعندما تقابل الجيشان لمس عمرو مدى تفوق أعدائه فى العدد والعدة فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يصف قوة أعدائه واستعدادهم وقال عمر لأصحابه فى المدينة « رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فأنظروا عم تنجلى) .

وبعث عمرو بعيونه تستطلع أمر الروم وتأتيه بمعلومات قد تفيده فى خطته ،

الا أن العيون لم تشبع رغبته ولم تقدم له مايفيده من المعلومات ، فقرر أن يقوم بنفسه بالاستكشاف وعزم على أن يعتمد على نفسه فيدخل معسكر العدو على أنه رسول من رسل المسلمين ليقف بنفسه على مايريد معرفته ، ويعود بعد ذلك فيرتب خطته ويعد جيشه للهجوم على معسكر الروم ٠

وبينما أرطبون يدرس الموقف جاءه أن رسولا من المسلمين يطلب الاذن بالمثول ، فأذن له ، ودخل عمرو على عدوه فى بيته وحياه ، ودار بينه وبين أرطبون حديثا طويلا ٠٠

أرطبون ـ أنت رسول عمرو بن العاص ملك المسلمين ؟

عمرو ـ عمرو بن العاص قائد من قواد المسلمين ياسيدى ، وليس ملكا من الملوك ، وليس للمسلمين ملك ، ولكن لهم خليفة لايبرم أمرا الا اذا استشار أصحابه يجلس بينهم يفترش الأرض ويكتفى بالخشن ٠

ـ وهل عمرو هذا داهية كما يقولون ؟

ـ عمرو ياسيدى سهم من سهام الله ، يعرف أين يضع قدمه ، وأين يوجهها ، وما دخل فى شىء الا خرج منه ٠

ـ لعلك تنظر اليه نظر الجندى المطيع الى قائده ! ولكن ، متى تعلمتم الحرب ؟ انا عهدناكم أمة بدوية لاتعرف الا مواقع الغيث والكلأ ، فمتى وصلتم الى هذا الغرور الذى تريدون به أن تغلبوا كسرى وقيصر ؟

ـ ليس فينا ياسيدى الا فارس أو محارب ، قد ربتنا صحراؤنا على احتمال المكاره ، وعلمتنا الطعان والضرب وأرشدتنا الى مقاتل الأعداء ، وقد انتصرنا بسواعدنا قبل الاسلام ، وسيوفنا باليرموك شاهدة ناطقة ٠٠

ـ انك ماهر فى سوق الحديث ، ذو قدرة فائقة على تصوير قوتكم بغير الحق ، ولكن كم يقود عمرو الينا ؟ كم عدد جيشه ؟

ـ لا أدرى ياسيدى فما أنا الا رسول عمرو جئت أبلغك رسالته وأدعوك بلسانه الى الاسلام ، فان أبيتم فالتسليم ودفع الجزية وان أبيتم فالحرب ٠

ـ الحرب ؟ وهل تظنون أنكم ستغلبون الارطبون ؟

ـ هل الارطبون أعز على سيوف المسلمين من هرقل كبير الروم ؟ ان السيوف التى أصابت أفئدة جيش هرقل ستصيب فؤاد من يقف أمام عمرو ، اننا دعاة سلام واسلام ، نجاهد من أجل الحق واعلاء كلمة الله ٠

ـ وما هى أقوى الخطط التى تنتصرون بها ؟ لقد رأينا منكم فنونا غير ماعهدنا ، وأى الوجوه تلبسونها ساعة المعمعة ؟ فقد حدثنا من قاتلوكم أنكم تلبسون وجوها غير وجوهكم وجلودا غير جلودكم ، وتمسكون سيوفا غير سيوفكم ، فكيف تصنعون بذلك ؟

ـ هى وجوه المسلمين غاضبة فى الحرب باسمة فى السلم ، أما السيوف والجلود فهى سيوف المسلمين وجلودهم كساهاالاسلام رهبة وألبسها جلالا ، أما الخطط الجديدة ، فلاأدرى ياسيدى فيم يفكر عمرو ؟ ولا أعرف الا أننى رسوله اليك ٠

ـ أبلغ قائدك أننا قد جمعنا له الجموع ، وأعددنا له العدة ، وسوف لايجد عندنا الاضربا وطعنا لم يذقه من قبل !! أبلغه أن قوةالروم العاتية قد اجتمعت فى جيش الأرطبون ، وأن فلسطين ستكون الفاصلة بيننا وبينه ، لااسلام ولا جزية ، بل السيف والرمح ، أسمعت ؟

وانتهت المقابلة بين أرطبون وعمرو ٠

وأخذ أرطبون يفكر فى أمر هذا الرسول ٠

ترى هل هو عمرو نفسه ؟ هل هو أحد أبطال عمرو ؟ ٠٠

وقرر أرطبون أن يقتل هذا الرسول فان كان الرسول عمرا فقد انتهى أمره بالقتل ، وان كان أحد رجاله الصناديد فلا ينبغى أن يفلت من يده ، وأصدر أرطبون أمره الى قوة باب الحصن أن يقتلوا الرسول اذا مر بالباب خارجا ٠

وبينما عمرو فى طريقه الى الباب يحمل جائزة كبيرة كان أرطبون قد أمر له بها ، تقدم منه عربى من الشام وقال فى صوت خفيض « قد أحسنت الدخول ياعمرو ٠٠ فأ حسن الخروج » ٠

وعلم عمرو أن أمره قد عرف ، وأن أرطبون قد أعد العدة للتخلص منه ، وقفز دهاء عمرو الى مسرح الحوادث ، وكان لابد من أن تنقلب خطط أرطبون وأن يفشل تدبيره ، وفجأة عاد عمرو يستأذن على أرطبون ويطلب المقابلة ، وسمح له أرطبون وقد أخذته الدهشة لهذه العودة المفاجئة ٠٠

ومن جديد دار بينهما حديث ٠٠

أرطبون ـ لماذا عدت أيها العربى ؟ ألك حاجة ؟ أنسيت بعضا من رسالة قائدك ؟

عمرو ـ لم أنس ياسيدى ، ولكنى عدت لأكرر شكرى على هذه الجائزة العظيمة ، وأرجو أن يصلك شكر غيرى على نعمتك وجزيل كرمك ٠

ـ شكر غيرك ؟ ان الجائزة لك وحدك ٠

ـ وكيف أستطيع أن أختص بها ولى أبناء عم واخوة عشرة على الاقل ؟ وقد نظرت فى هذه الجائزة فرأيت أنها لاتعمهم جميعا ، فعدت اليك لأرجوك لهم فقد أحببت أن يعم معروفك ٠

ـ نأمر بعشرة أضعاف هذه الجائزة وتحملها اليهم ٠

ـ وحمد تلك الالسنة ياسيدى ؟ ألا تحب أن تسمع شكرها جميعا ، أن لكل منهم لسنا مثل مسانى وجنانا مثل جنانى ، اذا كان قد سرك هذا اللسان ، وذلك الجنان ، فسوف تجد منهم أكثر مما رأيت منى ٠

ـ ترى أن تحضرهم الى ؟٠٠ هنا ٠٠ ؟

ـ نعم ياسيدى ، لتسألهم ويجيبوا ، وتعطيهم ويشكروا ، ثم يعودوا بثناء يتردد بين العرب ، وأنت عليم بأثر هذا الثناء

ـ حسنا أيها الرسول اللبق ! اذهب وائتنى بهم

وخرج عمرو وقد نجحت الحيلة ٠

وصدرت أوامر أرطبون الى حراس باب الحصن أن يخلوا سبيل العربى فلا يقتلوه ، وفرح أرطبون فان هذا الرسول سوف يذهب ثم يعود اليه ومعه عشرة من عظماء العرب فيقتلون ٠

وعاد عمرو الى أصحابه ونثر الجائزة بينهم وقص عليهم قصته مع أرطبون ، وبلغت القصة الخليفة عمر فى المدينة ، وكان بين أصحابه فابتسم وتهلل وجهه وقال لجلسائه » عمرو ٠٠ والله عمرو »

وكان عمرو قد درس الحصن عن قرب وعرف ماخفى عليه ، وأعد خطته وهاجم أجنادين ٠

وأحس أرطبون أن لاقبل له ولجيشه بعمرو وبجند عمرو ، ففر ومعه ثمانون ألف الى بيت المقدس ، وأسرع وراءهم عمرو وأمر بحصارهم وظل على هذا الحصار أربعة أشهر وعلم المحاصرون أن لاجدوى من الدفاع فطلبوا الصلح على أن يوقعه الخليفة عمر ٠

كان أول مسلم دخل بيت المقدس هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الاسراء ٠٠ وكان ثانى المسلمين هو عمربن الخطاب ٠ دخل بيت المقدس وبصحبته عمرو ٠٠ داهية العرب الذى قضى على أرطبون الروم ٠

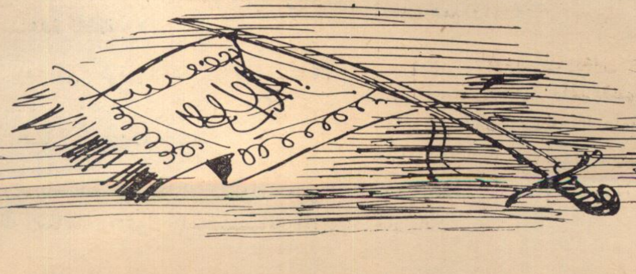

الاسلام
وجماعية القيادة

الأستاذ أحمد الشرباصي

ان الاسلام الحنيف يحرص الحرص كله على تربية روح الجماعة فى نفوس أبنائه جميعا ، حاكمين كانوا أو محكومين ، قائدين أو مقودين ، ولذلك قال القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم)) . وقال الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ((يد الله مع الجماعة)) وقال : ((عليكم بالجماعة ، واياكم والفرقة ، فان الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة)) .

وانما حرص الاسلام هذا الحرص على تربية روح الجماعة ، ليحارب الفردية فى الأمة ، ويشيع فيها عادة التبادل للرأى ، والتشاور فى الأمر ؛ والتناصح فى كل موطن يقبل التناصح ، وبهذا التناصح يكون هناك استعراض لشتى وجهات النظر ، وتمحيص للاراء والأفكار ، وتثبت من الوقائع والحقائق ، وتجنب للعجلة والخطأ ، فتتحقق للأمة عوامل الفوز والنجاح ، وتبعد عنها أشباح الانحراف والخسران ، والقرآن المجيد يقول : ((**والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » . ولقد أعطى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا التناصح مكانة جليلة سامية حتى اعتبره عماد الدين ، فقال : **الدين النصيحة . قالوا : لمن يارسول الله قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .**

ولكى يثبت الاسلام دعائم الروح الجماعية فى القيادة أقام المجتمع على أساس الشورى ، فقال عن الأمة المؤمنة : « **وأمرهم شورى بينهم** » أى لا يستحوذ عليه فرد ، ولا يستبد به شخص ، حتى لا يكون هناك مجال للأهواء الذاتية أو الأغراض النفسية ، وأمر الله رسوله ـ وهو المعصوم المؤيد بالوحى والتنزيل ـ أن يشاور ويأخذ رأى الجماعة ، ويستعين بأهل الخبرة والتجربة والاخلاص فى فحص الأمور ورسم المناهج وتحديد الخطط ، فقال : « **وشاورهم فى الأمر**)) .

ولذلك كان الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يشاور صحابته ويستعين بخبراتهم وآرائهم ، وكان بهذه المشاورة يحملهم

نصيبهم من التبعة فى التوجيه والقيادة والتطبيق .

وباتباع نظام المشاورة فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعده نشأ فى صدر الأمة مجموعة من صفوة الرجال أطلقوا عليها كلمة « **أهل الحل والعقد** » وهم الذين صاروا موضع الثقة ومبعث الخبرة ، بما استبان من اخلاصهم ، وظهر من ذكائهم وعقلهم ، ويقول الباحث الاسلامى الهندى أبو الأعلى المودودى عن هذه المجموعة واصفا اخلاصها وصدقها وتكتلها لمصلحة الأمة هذه العبارة :

« فما كان أهل الحل والعقد فى عهد الخلافة الراشدة منقسمين الى أحزاب متفرقة ، وما كانوا متقيدين من الضوابط البرلمانية بمثل ما تكون المجالس التشريعية متقيدة فى هذا الزمان ، وما كانوا يحضرون مجالس الشورى بعد أن يعقدوا مؤتمراتهم الحزبية ويضعوا لها خطة العمل والسياسة ، بل كانوا كلما دعوا للمشاورة يأتون المجلس بقلوب ملؤها الاخلاص ، وكان الخليفة فيهم يعرض عليهم الأمر ، ويدلى كل واحد منهم برأيه ، اما مؤيدا اياه أو معارضا له ، حتى تصير جميع نواحى المسألة متجلية واضحة ، ثم يوازن الخليفة بين الحجج الموافقة والمعارضة ، ويعرض عليهم ما عنده من الدلائل ويبين رأيه ، وكان هذا الرأى فى عامة الأحوال رأيا يسلم به أعضاء المجلس كلهم » .

ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشيع روح الجماعة فى القيادة خلال السلم وخلال الحرب ، فهو يستشير فى كل ما تناسبه المشاورة من أمور الدنيا ، وهو عند الحرب يشاور ، ونحن نعرف كيف استشار المسلمين قبيل غزوة بدر ، وكان يوسع دائرة المشورة أحيانا حتى تشمل السواد الأعظم ، على نحو ما يشبه المؤتمرات العامة اليوم ، وأحيانا كان يقصر مشورته على أهل الحل والعقد ، وأهل الرأى والخبرة والبصر بالأمور ، ولذلك جاء فى « تفسير المنار » هذا النص عن ركن الشورى فى الاسلام :

« أقام النبى - صلى الله عليه وسلم - هذا الركن فى زمنه بحسب مقتضى الحال ، من حيث قلة المسلمين واجتماعهم معه فى مسجد واحد فى زمن وجوب الهجرة التى انتهت بفتح مكة ، فكان يستشير السواد الأعظم منهم ، وهم الذين يكونون معه ، ويخص أهل الرأى والمكانة من الراسخين بالأمور التى يضر افشاؤها » .

بل ان القرآن الكريم يحدثنا بأن بعض الأنبياء قبل نبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - رجاربه أن يجعل معه فى تبعات الدعوة وتكاليف الارشاد من يؤازره ويشاوره ، ويعينه ويساعده ، فهذا موسى - عليه السلام - يقول لربه كما يحكى التنزيل المجيد : « **واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخى ، اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ، كى نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا ، انك كنت بنا بصيرا** » . وبارك الله تعالى هذا الرجاء ، واستجاب لهذا التطلع ، فكان الجواب الالهى لموسى على ذلك هو : « **قد أوتيت سؤلك يا موسى** » .

ولا شك أنها نعمة كبرى أن يهيىء الله لمن يقود ويوجه من يبادله الرأى ويشاوره فى الأمر ، فيتعاون الاخلاص من هنا ، والاخلاص من هناك ، على حسن تصريف الأمور ، واتقان أداء الأعمال ، ولذلك قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « **اذا أراد الله بالأمير (يعنى الحاكم) خيرا جعل له وزير صدق ، ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه ، واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه** » .

وفروض الاسلام الأساسية تبدو فيها روح القيادة الجماعية ، فقد كره الاسلام فى الصلاة مثلا أن يؤم الشخص قوما هم له كارهون ، والامام الذى يصلى بالناس يتقيد

فى تنقلاته وحـركاته بالشروط المسلمة للصلاة ، والمتفق عليها من الجميع ، والتى يؤمن بها الجميـع ، وهذاالامام اذا زاد فى الصلاة أو نقص ذكره المصلون قائلين له : « سبحان الله ..

واذا توقف الامام فى قراءة القـرآن الكريم فتح عليـه أحد المأمومين بالآية التى توقف فيـها ، واذا نسى آية ذكره بهـا أحدهم ، واذا أخطأ فى آية صـححها له أحدهم ، واذا اضطر الامام الى ترك الصلاة أو ضعف عنهـا استخلف فى الأمامة من ينوب عنه من المصلين ، وهكذا كما شرعه الله .

وفى الحج تتجلى جمـاعية القيـادة ، لأن الحج كما شرعه الله هو مؤتمر الاسلام الأكبر ، وهـو الالتقـاء الدينى الجـامع الحاشد الذى يدلى فيه كل قادر على التفكير الرشيد برأيه ، وهنـاك يلتقى الحـاكمون والمحكومون فيتباحثون ويتفاهمون ، وعلى خير الأمة يتعاونون .

والصوم فيه روح الجماعة ، لأن المسلمين يمتنعون عن المفطرات جميعا فى وقت واحد هو الفجر ، ويظلون يومهم صائمين معـا ، ويفطرون عنـد وقت واحد هو الفـروب ، ومتى تأصلت نزعة الجماعة فى نفوس الأفراد ألفوا جماعية القيادة ، ونفروا من الفـردية والاستبداد .

والزكاة تبدو فيها روح الجماعة ، لأن هذه الزكاة تؤخذ من جميع القـادرين المـالكين ، بلا تفرقة أو تمييز ، وتصرف على جميـع مستحقيها بلا ظلم أو هضـم ، وولى الأمر يجمع هذه الزكوات ، ويضـعها فى بيت مال المسلمين ، ويوزعها على أهليها بمشورة أهل الشورى ، وبمعاونة أهل الحل والعقد ، الذين يدلون ولى الأمر على مواطن الاستحقاق لهذه الزكوات .

ولقد عرفت الأمة المؤمنة معنى جماعية القيادة فى كثير من الأمور ، فهذا أبو بكر يقول يوم توليه الخـلافة لأهـل الرأى والبصيرة : « **ان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمـونى على باطـل فسـددونى** » أى أرشدونى .»

وهذا عمر بن الخطاب كان برغم المعيتـه وعبقريته يستشير ، ويتبادل الرأى مـع وجوه الصحابة ، ويخصص لكل جهة من هو أكفأ الناس فيها وأجدرهم بها ، وهذا حفيده عمر بن عبد العزيز يضرب أمثلة فى هـذا الباب .

جاء فى كتاب « خامس الراشدين » أن عمر بن عبد العزيز قال لعمرو بن مهاجر :

يا عمرو ، اذا رأيتنى قـد ملت عن الحق فضع يدك فى تلابيبى ، ثم هزنى ، ثم قل لى : ماذا تصنع .؟

وعن أبى حازم قال :

لما استخلف عمر بن عبد العـزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون . فجىء برجلين ، فكان اذا جلس مجلس الامارة أمر فألقى لهما وسادة قبالته ، فقال لهما : انه مجلس شرة وفتنة ، فلا يكن لكما عمل الا النظر الى ، فاذا رأيتما منى شيئا لا يوافـق الحق ، فخوفانى وذكرانى بالله عز وجل .

وقال عمر لمزاحم تابعه : ان الولاة جعلوا العيـون على العـوام ، وأنا أجعلك عينى على نفسى ، فان سمعت منى كلمة تربأ بى عنها ، أو فعلا لا تحبه ، فعظنى عنـده ، وانهنى عنه ..

بل نجد الخليفـة قد يعـارض الرأى ، ولكنه حين يعلم أن الجماعة أجمعت عليـه لا يعارض ، بل ويعتقـد أن الخير مع رأى الجمـاعة ، فقد حدث أن الجيش الاسلامى بالشام قرر الانتقـال من أرض حمص الى أرض دمشق ، وبلغ ذلك الخليفـة عمر ابن الخطاب فكتب الى أمير الجيش أبى عبيدة ابن الجراح يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أبى عبيدة بن الجراح ، والى الذين معه من المهاجرين والأنصـار

والتابعين باحسان ، والمجاهدين فى سبيل الله ، سلام عليكم ، فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو . أما بعد ، فانه بلغنى توجهكم من أرض حمص الى أرض دمشق ، وترككم بلادا قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها لعدوكم وخرجتم منها طائعين ، فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم ، وسألت رسولكم : أعن رأى من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم (أى ذكر) أن ذلك كان من رأى خياركم وأولى النهى (العقل) منكم وجماعتكم ، فعلمت أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم الا على توفيق وصواب ورشد فى العاجلة والعاقبة ، فهون ذلك على ما كان دخلنى من الكراهية قبل ذلك لتحولكم ، وقد سألنى رسولكم المدد لكم ، وانى ممدكم قبل أن يقرأ عليكم كتابى هذا .. »

فأنت ترى أن عمر – وهو خليفة – قد رجع عن رأيه ، واحترم رأى الجماعة ، بل وأعتقد أن الخير فيه !

ولقد عنى « الميثاق » بالحديث عن جماعية القيادة ، فهو يقول فى الباب الخامس : « ان جماعية القيادة أمر لا بد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى ، ان جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب ، وانما هى تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات ، كما أنها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد » . وهو يقول أيضا : « ان النقد والنقد الذاتى من أهم الضمانات للحرية » .

ويقول : « ان الثورة ليست عمل فرد ، والا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع بحاله ، والثورة ليست عمل فئة واحدة ، والا كانت تصادما مع الأغلبية ، وانما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها ، وبمدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ، وبمدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل ، وبمدى ما يمكنه أن توفر لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة » .

ويقول : « ان الديمقراطية هى توكيد السيادة للشعب ، ووضع السلطة كلها فى يده ، وتكريسها لتحقيق أهدافه » .

ويأتى تقرير الميثاق بعد الميثاق فيقول فى فصل « ضرورة الميثاق » ان حركة النضال الثورى قد استوجبت من العمل الثورى أيضا أن يمتد نطاق القيادات الشعبية من القاعدة الى القمة حول القيادة الطليعية » .

ويقول فى فصل « الديمقراطية » : « ان الديمقراطية السياسية اذ تقوم على مبدأ سيادة مجموع الشعب لا يمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقة بذاتها من بين طبقات المجتمع » .

ويقول أيضا : « وتمثل القيادة الجماعية الشعبية – على جميع مستوياتها – ضمانا آخر لدعم الديمقراطية السليمة ، فهى اذ تعصم من الانحرافات الفردية ، تؤكد التفاعل الديمقراطى بحكم قيامها على المناقشة وتبادل الرأى » .

والواقع أن تحقق الجماعة فى القيادة يؤدى الى كثير من الفوائد ، فهو أولا يعصم من طغيان الرأى الفردى ، ورحم الله شاعر النيل حين قال :

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به

رغم الخلاف ، ورأى الفرد يشقيها

وجماعية القيادة تضمن لنا الانتفاع بوجهات النظر المختلفة التى تتكامل فتكون صورة كاملة للموضوع ، وهى أيضا تضمن اشراك الجماعة فى تحمل التبعات ، فيكون هناك اخلاص فى النهوض بها ، وجماعية القيادة فوق هذا تضمن لنا تكوين الصف الثانى ، والصف الثالث ، وهكذا ..

ومتى دامت جماعية القيادة أمرا ترتضيه عقيدتنا الدينية والوطنية ، فما أجدرنا بأن نتواصى بتحقيقها على الوجه الذى يسعد العباد والبلاد ، والله ولى التوفيق

التنظيم الإشتراكى وأثره فى تقدمنا الإجتماعى

الدكتور أحمد الخشاب

غنى عن البيان أن لكل مجتمع بشرى هيكله وبناؤه ، ونظمه الاجتماعية التى تحددها أيديولوجيته الفكرية وفلسفته فى الحياة ، وأخص مايميز بناء المجتمع ونظمه هو تكوينه الطبقى ، ومدى ما يمتاز به من مرونة أو صلابة بقدر ما تسمح به معايير التحرك أو الحراك الاجتماعى والانتقال من طبقة الى أخرى – أدنى أو أعلى – .

ومن المسلم به أن المجتمع – بهيكله ونظمه – فى حركة دائبة وتغير مستمر ، ولا يختلف فى ذلك مجتمع اشتراكى عن مجتمع رأسمالى ، بل لا يكاد يختلف فى ذلك أى مجتمع بشرى ، وكل الاختلاف فى معدل هذا التغير ونوعيته .

ولقد كانت صورة المجتمع الذى عاش فيه شعبنا ، قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تحتاج الى تغيير جذرى حتى يمكن أن يأخذ الشعب حقه فى حياة حرة/كريمة لا أثر فيها لسيطرة الاستعمار والاقطاع ورأس المال ، ولا مكان فيها للاستغلال ، والامتيازات الاجتماعية وفقا للاوضاع الطبقية .

ولقد حملت الثورة على عاتقها تبعات الاصلاح والتغيير الجذرى فى الميدان الاجتماعى توطئة لاعادة بناء المجتمع على أسس وقيم جديدة ، تكفل الدولة بمقتضاها تكافؤ الفرص وعدالة التوزيع ومضاعفة الدخل القومى وزيادة الانتاج ، وتذويب الطبقات والمستويات وانهاء الاستغلال الاحتكارى والظلم الاجتماعى .

ولقد تنبهت الثورة منذ اللحظة الأولى الى ما انطوى عليه الضمير الجماعى من حتمية الحل الاشتراكى كأساس لاعادة تنسيق البناء والتنظيم الاجتماعى ، غير أن المفاهيم الاشتراكية لم تأخذ طريقها لتحقيق غاياتها العملية بطريقة ايجابية تكاملية – الا فى مطلع العام العاشر للثورة ، حين صدرت القرارات الاشتراكية التى تقضى بتحديد الملكية الزراعية بما لا يزيد عن مائة فدان ، وتحديد حيازة المستأجر بما لايزيد عن خمسين فدانا ، والتى أممت الصناعات الثقيلة ووسائل الانتاج الرئيسية والحيوية ، والمصارف التمويلية وحددت المرتبات فى المؤسسات بما لا يزيد عن خمسة آلاف جنيه فى العام ، ورفعت شرائح الضريبة التصاعدية لكى تصل الى ٩٠ فى المائة بعد أن يصل دخل المواطن الى عشرة آلاف جنيه ، واعترفت للعمال بحق الاستفادة من فائض انتاجهم ، وخصصت نسبة ٢٥ فى المائة من أرباح الشركات والمؤسسات لتوزيعها بين أرباح للعمال وخدمات للقطاع العمالى ، وأصبحت بذلك أساس الملكية العمل الى جانب رأس المال ، وتأكيدا لهذا المبدأ تقررت عضوية العمال فى مجالس ادارات الشركات التى يعملون بها .

وكان معنى هذا ان الثورة الاجتماعية أخذت تحدد ملامحها ، فتنعكس على المجتمع الذى بدأت تتشكل قسماته ، وفق بنية اجتماعية جديدة فى تلك المرحلة الدينامية التى تستمد عناصر فاعلياتها وحيويتها من الأسس التى انطوى عليها **الميثاق باعتبار أنه الاطار العام الذى ارتضاه الشعب لرسم معالم الطريق لبناء المجتمع الجديد .**

واذ بلغنا هذه المرحلة لابد أن نتساءل عن التطلعات الهدفية، والأبعاد المرحلية التى تنطوى عليها ثورتنا الاجتماعية ، وهنا يقفز الى الذهن عدة تطلعات لعل فى مقدمتها احداث تغيير جوهرى وجذرى فى ميكانزم المجتمع ، ونعنى بذلك محصل القوى الاجتماعية المساهمة فى محاولة وضع هيكل ومخطط عام ، لترتيب وتنسيق الأوضاع الاجتماعية بطريقة منظمة تكفل فاعلية أجهزته ، وتضمن دفع نشاطاته لتهيئة التكيف والتلاؤم بين مكوناته وعناصره وتعبئة طاقاته لتحقيق أهدافه واشباع حاجاته واحتياجاته .

وأهم ما يمكن ان يسجل فى سبيل تحقيق هذا التطوير هو محاولة القضاء على المتناقضات الاجتماعية ، وذلك بتعميق الوعى بضرورة اتخاذ التخطيط كأساس عملى وحتمى اذا ما أريد تحقيق العدالة والكفاية والحرية فى العلاقات الانسانية، وضمان التوازن والتكامل بين مكونات الميكانزم الاجتماعى عن طريق تحويل طاقاتها الى بعض الأغراض والاتجاهات على أساس اعادة ترتيب بعض الأوضاع الاجتماعية وتغيير مراكز الثقل فى الاهتمامات بتوصيل الخدمات الى المستويات الشعبية التى حرمت منها لعدم كفايتها المادية ، فتصبح هذه بمثابة امتيازات اجتماعية تعطيها الدولة كمحاولة لتقريب المسافات الاجتماعية بين المستويات المتفاوتة فى الحظوظ وفى الحقوق والالتزامات .

وقد كان بديهيا أن شريحة الخدمات التى تعطيها الدولة للقاعدة الشعبية المعدمة والفقيرة لا تكفى أن تغير الوضعية المتحجرة والمتخلفة التى ورثتها البيئات الريفية بفعل الظلم والاستبداد الاجتماعى الذى فرضه النظام الاقطاعى .

ومن هنا يمكن أن ننظر الى قانونى الاصلاح الزراعى ، فى اطار الاجراءات الضرورية الحتمية لتعديل الهرم الطبقى على نحو يسمح بتوسيع قاعدة مستوى الملكيات الفردية بعد تحويل كثير من الأجراء الى ملاك زراعيين والسير فى هذه السياسة عن طريق تمليك تلك الطبقة من الأراضى المستصلحة ، وتحويل اهتمامات الاستغلال الزراعى الى القطاع الصناعى بعد وضع حد أقصى لملكية العائلة وفقا للميثاق فى حدود لا تتجاوز المائة فدان، هذا مع تقدير الدولة بأن التوسع فى القطاع الصناعى، يستلزم بالضرورة امتصاص أعداد كبيرة لازمة للعمالة الصناعية من الأيدى العاملة الزائدة عن حاجة العمل الزراعى، ومع اتخاذ مقاييس أفضل للعدالة التوزيعية ، واتاحة الفرص المتكافئة لذوى القدرات المتماثلة ، يصبح الحراك الاجتماعى أمرا ميسورا لأغلبية القاعدة الشعبية وخاصة فى البيئات الريفية .

ولما كان من طبيعة مرحلة الانتقال من المجتمع الاقطاعى الى مجتمع لا اقطاعى ، تستلزم بالضرورة اعادة ترتيب الأوضاع الاقتصادية، بحيث يتخذ الهيكل الاقتصادى الشكل الذى يتيح للفرد فرصة الارتقاء فى السلم الاجتماعى، وحتى يكون الحراك الطبقى بعيدا عن الهدف الاحتكارى والتسلط الرأسمالى ، كان لابد من أن يتخذ التنظيم الاشتراكى أساسا للعمل التطويرى التقدمى فى المجال الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ، خاصة وقد نقل الدفع الثورى مجتمعنا من مرحلة المجتمع التقليدى التواكلى ، الى مرحلة التهيؤ للانطلاق الايجابى بل واجتاز الارهاصات الممهدة والمصاحبة للدور البنائى الحضارى .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عما يكمن فى طبيعة التنظيم الاشتراكى من مزايا مرجحة تجعله يلائم طبيعة مرحلة الانطلاق العارمة التى نرنو الى ارساء دعائمها فى هذه الآونة .

وقد يكون من نافلة القول أن نقرر أن اشتراكيتنا العربية فذة ، منبثقة من طبيعة

أوضاعنا الاجتماعية ، وأنها حصيلة التجربة الحياتية للانتفاضات التحررية القومية ..

على أنه مهما اتخذت اشتراكيتنا من سمات ذاتية ، فانها تظل محتفظة بالمقومات الأساسية للفكرة الاشتراكية ، ويكفى أن نشير فى هذا المقام الى المسلمات العامة التى ليست فى نظرنا محلا للجدل أو موضعا لاختلاف وجهات النظر ، وفى مقدمتها تدبير المهمات التحضيرية لبناء الأجهزة المحققة للاساليب الاشتراكية ، وهذه الأجهزة لابد أن تعد اعدادا اشتراكيا سليما ، يؤهلها أن تتولى مهمة المتابعة الواعية لمختلف النشاطات التى تمارسها الأفراد والهيئات ، بحيث تتفادى الانحرافات العقائدية ، والتعليلات التبريرية للتحريفات فى النواحى العملية التطبيقية التى تصيب ميكانزمات المجتمع عن طريق تسلل الأفكار والمناحى الانتهازية والوصولية اذا قدر لأصحابها الوصول عفوا الى المراكز القيادية .

وليس هناك شك فى أن الانتكاسات التى تصيب التطبيق الاشتراكى ، أخطر بكثير مما قد يتبادر الى الذهن ، لأنها توحى بالتشكك فى قيمة التنظيم الاشتراكى ، وتفقد الموالين المخلصين له ، الثقة بجدواه . فتجنح الى مواقف اللامبالاة .

ولا يقل أهمية عن الأساس السابق تعميق الفهم بالأبعاد الهدفية للتنظيم الاشتراكى . فمن المسلم به أن الغاية المرجوة من التنظيم الاشتراكى هى اشباع الرغبات والحاجات الانسانية على نحو يكفل لأدنى المستويات الاقتصادية معيشة آدمية .

ولذلك فان من أهم أهداف التنظيم الاشتراكى زيادة الانتاج زيادة تحقق سد هذه الحاجات .

فالانتاج فى ظل الاشتراكية لا تحركه الرغبة فى الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح ، بل هو يتجه أساسا الى التعرف على الضروريات ليعمل على تأمينها ، وفق برنامج يوضع فى خدمة كافة المستويات ، دون أن يجعل للاحتكار أو المتاجرة بأوليات الحياة سبيلا ، وعلى أساس جدول للاولويات ، يوضع فى ضوء الحاجات الضرورية والحقيقية للمستويات التى يتألف منها المجتمع ، وبخاصة حاجيات القاعدة الشعبية ، وعلى هدى هذا يجدر أن يعاد النظر فيما اتخذ من اجراءات تخطيطية لجداول الأولويات التى أغفلت هذه القاعدة الجوهرية بالنسبة لاحتياجات وأولويات وأسبقيات البيئات الريفية .

ونحن ندرك أن هذه القضية مرتبطة بالقدرة الشرائية التى تحددها دخول الأفراد ولكن من ناحية أخرى نؤكد أن فى صدارة الأهداف التى يجب أن يحققها التنظيم الاشتراكى هو رفع مستوى الدخل القومى وخاصة فى اتجاه القاعدة الشعبية الى الحد الذى يمكنها من الحصول على الاحتياجات الاستهلاكية الأساسية التى يضمنها التنظيم الاشتراكى ، كحد قومى للمستوى الحياتى الحدى للافراد . وفى هذه الحالة لابد من العمل الانتاجى المخطط لتوفير كفاية الأفراد على كافة المستويات من السلع والخدمات ، وانه لمن المحقق أن التنظيم الاشتراكى يعمق الوعى والعمل بالمفهوم الديموقراطى ، ذلك لأن نقطة الانطلاق بالنسبة للاشتراكية هى توفير فرص متساوية للحياة أمام جميع الأفراد ، وفى جميع الميادين ، فلكل فرد حق طبيعى فى الحياة والحرية والسعادة والتمتع بالوضع الذى تؤهله له مواهبه فى الاطار الاجتماعى ، وينبغى للدولة أن تكفل لكل فرد فرصة متساوية للكسب والتقدم ، ومعنى ذلك أن تنظيمنا الاشتراكى ينطلق من الاعتقاد بأن الانسان يعتبر فى حد ذاته قيمة مقدسة ، وأن هدف المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية هو خلق الاطار الكفيل بتوفير أفضل الظروف لنمو وتقدم كل انسان ، ولكى يحافظ هذا التنظيم على انطلاقاته لتحرير الفرد من معوقات تقدمه وبلوغ مرامى انسانيته ينبغى أن يحرص دائما على ضمان الحرية كقيمة انسانية لازمة لكل انتفاضة تقدمية .

فالقيمة الحقيقية والجوهرية للاشتراكية السليمة ، هو فى كونها أصلح طريقة لتطبيق الديموقراطية الصحيحة .

لأن الاشتراكية ترتكز على مبدأ أساسى ألا وهو أن المساواة الحقيقية والشاملة ، لا يمكن أن تتحقق فى مجتمع يمنح الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية لمجموعة من الأفراد أولطبقة من الطبقات دون أخرى، والديموقراطية والمساواة الاجتماعية لا يمكن أن تمارس فى اطار من التفاوت الجذرى فى الهيكل الاجتماعى. والاشتراكية العربية التى تؤكد اليوم الترابط العضوى بين الحرية والعدالة الاجتماعية مطالبة الصيغة عملية ، تحقق تجسيد الحرية والمساواة الاجتماعية بشكل متدرج صاعد متكامل ، واذا كانت العدالة الاجتماعية تتطلب – فيما يختص بتوزيع دخول الأفراد – توفير دخل معيشى أدنى لكل فرد من أفراد المجتمع مع ضمان وجود الحوافز بدرجة كافية لاكتساب الكفايات والمهارات الابداعية اللازمة للتقدم ، فان من الأحرى أن يصبح موضوع توزيع الدخول على المواطنين ، قضية خاضعة للقرارات الجماعية التى تتوخى روح الاشتراكية فلا تخضع تحت أى ظرف من الظروف لعملية المساومات السوقية التى تعطى للعناصر الوصولية والانتهازية دهاليز التسلل والتسرب الى المراكز الرئيسية فتستغلها فى انتكاسات لصالح مكاسبها الذاتية وافقاد الروح الاشتراكية قاعدتها الأصولية فى الحفاظ على ضرورة تقصير المسافات الاجتماعية بين مستويات القوى العاملة .

واننا لننبه الأذهان لخطورة زحف الأنظمة البيروقراطية على الأجهزة التوجيهية فى الدولة وايثارها بمزايا اجتماعية ومادية . فلابد أن تظل الروح الاشتراكية هى المسيطرة فى تقدير مقتضيات ومتطلبات الوظائف القيادية والرئيسية ، وعلى هدى هذا ، من الخير أن يعاد النظر بصورة جدية فى تلك القواعد التشجيعية التى اتخذت شكل بدل تمثيل وظيفى أو بدل طبيعة عمل مهنى .

وفى تقديرى أن اشتراكيتنا العربية جاءت وليدة التجربة الاجتماعية القاسية التى عاشتها عناصرنا القومية المناضلة والكادحة تحت وطأة ظروف تعسفية وغير انسانية صارخة ، ولذلك فانها تعتبر امتدادا للنضال القومى التحررى ، ومهمة تنظيمنا الاشتراكى الرئيسية فى هذه المرحلة الانشائية هو تجنب مأساة التمزق الاجتماعى الذى عانينا منه قبل قيام ثورتنا الاجتماعية التحررية ،وتجنب المآسى التى ترافق الانتفاضات التصنيعية اذا ارتكزت على الفروقات الاجتماعية والمستويات الطبقية ، وذلك بأن تستبق الظروف التى تخلقها الثورة الصناعية ، بالتخطيط للنهضة ، وتوجيه ظروفها منذ البداية وجهة تتفق مع مصلحة القاعدة الشعبية التى تشكل أساس الاشتراكية ، وتحقق مكاسب العدالة الاجتماعية .

وآية ذلك أن التنظيم الاشتراكى القومى ، اذ يتصدى لمعالجة مظاهر التخلف على أساس مخطط ، لابد وأن يربط برنامجه فى التنمية والتقدم ، بالتوزيع الاشتراكى للانتاج ،فيكون بذلك أداة تطويرية تقدمية لخدمة كافة المستويات الاجتماعية .

كيف نجت
تركيا
من الإحتلال

الأستاذ محمد عبد الهادى

استولت المعانى الصليبية على نفوس الأوروبيين وسيطرت على عقول حكامهم ، بفعل الدعايات المغرضة المستمرة ضد الاسلام وضد المسلمين . وتمخض كل ذلك عن تسابق بين الدول الأوروبية فى احتلال العالم الاسلامى ، وتعاون بينها على تحطيم كيان المسلمين .

وسقط العالم الاسلامى يئن تحت أقدام المستعمرين ، ولم ينج من الاحتلال الأوروبى سوى بضعة أقاليم متناثرة هنا وهناك ، هى :

تركيا ، والحجاز ، واليمن ، وايران ، وأفغانستان .

فكيف نجت هذه البلاد من الاحتلال ؟

أما تركيا ، فالحديث عنها يحتاج الى التمهيد له بذكر هدفين كبيرين من اهداف الصليبيين هما :

١ – القضاء على المعاقل الاسلامية فى أوروبا ، لتخلص القارة للمسيحيين .

٢ – القضاء على الخلافة الاسلامية ، للحيلولة دون قيام وحدة بين المسلمين .

أما المعاقل الاسلامية فى أوروبا فكان أهمها:

الأندلس ، والقرم ، وتركيا . وكان لهذه المعاقل وزن عسكرى فى الحرب ، وشأن عقائدى فى السلم . أما فى الحرب ، فان كانت هجومية ، كانت هذه المعاقل رؤوس حراب لها أهميتها وخطرها فى المعارك . وان كانت دفاعية ، صارت هذه المعاقل خطوط دفاع أولى لها قيمتها وتأثيرها . وأما فى السلم ، فانها كانت مراكز اشعاع تنساب منها العقيدة الى البلاد المجاورة . ومن هذه المراكز انساب الاسلام الى : بولندة وليتوانيا ودول البلطيق فى الشمال ، والى بلاد البلقان فى قلب أوروبا ، والى جزر المتوسط وشواطىء الجنوب الأوروبى ، حتى أصبح فى كل تلك البلاد جاليات اسلامية كبيرة أو صغيرة يزداد عديدها على الأيام .

واذن ، فهذه المعاقل كانت فى صالح المسلمين فى حالة الحروب الهجومية ، وفى صالحهم فى حالة الحروب الدفاعية ، وفى صالحهم فى حالة السلم .

ومن أجل ذلك حرص الصليبيون على تقويضها واحدة بعد واحدة . فاستولوا على « الأندلس » وأبادوا مسلميها ابادة تامة ، وضربوا « القرم » وسحقوا المسلمين فيها واستأصلوا شأفتهم ، ولم يبق أمامهم سوى « تركيا » فماذا صنعوا معها ؟

لقد دأبوا على مناوأتها بغير ملل ولا فتور . فالنمسا تحاربها حتى تنسرق قواها ، وروسيا تعاجلها بالاعتداء قبل أن تسترد أنفاسها ، وفرنسا تنازلها فى أرض مصر تارة وفى أرض أوروبا تارة ، وايطاليا تناوشها غير مرة ، وانجلترا تصارعها بين حين وحين فى ميادين أوروبا وفى بقاع آسيا وفى ربوع افريقيا .

وهى فى ابان هـذه الحـروب المريرة الضروس ، كانت تواجه فتنا متتابعة ، يثيرها الصليبيون فى البلقان ، ان أخمدت فتنة فى بلغاريا ظهرت فتنة فى الصرب ، وان فرغت من أمر هذه ، برزت فتنة فى رومانيا ، فان قمعتها قامت غيرها فى اليونان ٠

وهكذا عاشت تركيا قرونا طويلة ، لا تخرج من حرب الا لتدخل حربا ، ولا تقمع فتنة الا لتواجه فتنة ٠ وقد صمدت لكل هذا ، وأعانها عليه مدد لا ينقطع من الرجال والعتاد ، تمدها به الولايات الاسلامية فى آسيا وأفريقيا ، وروح معنوية فى الحروب لا تضعف لأن الاسلام كان هو الذى يغذى قلوب المجاهدين ٠

فلما ظهر الضعف فى بعض الخلفاء ، تسلل التوجيه الصليبى الى قصورهم ، عن طريق الجوارى اللائى يتصلن بالصليبيين بنسب ، والأغوات الذين يحقدون على البشرية ، وضعاف النفوس من رجال الحاشية ، والمرتشين من قواد الجيوش ٠

وكان هذا التسلل أخطر ضربة صـليبية وجهت الى امبراطورية آل عثمان ٠ فقد أسيىء بسبب تدخل الجوارى والخصيان والخونة والمرتشين ، أسيىء اختيار الولاة ، فكثرت المظالم فى الولايات الاسلامية ، واشتد فيها العسف والجور ، فضاق المسلمون ذرعا بذلك، وثاروا على الخليفة فى بعض البقاع ٠ فثورة تشب فى الحجاز ، تجعل من الصحراء مقبرة لجيوش الخليفـة ، وتمـرد فى مصر ينتهى باكتساح جيشها كل مقـاومة ويقف أمام الآستانة يقرع أبوابها ، وثورة فى اليمن تنتهى بانسلاخه ، وثورة فى الشام تنصب بسببها المشانق فى الميادين والطرقات ٠

وهذه « الثورات » فى البقاع الاسلامية هى التى فتت فى عضد دولة الخلافة وضعضعتها ٠

ثم قامت « **الحرب العالميـــة الأولى** » ، ودخلت « **تركيا** » فيها محاربة ، ثم خرجت منها منهزمة محطمة لا حول لهـا ولا قوة ، وسيطر « **الحلفـــاء** » على كل شىء فيها ، سيطروا على البسفور وعلى قلاع الدردنيل وعلى المواضع الحربية الهامة ٠

وأشرف ضباط الحلفاء على شئون البوليس والحرس الوطنى وعلى تجريد القـلاع من أسلحتها وتسريح الجيوش ٠

وسنحت الفرصة للصليبيين أن يضربوا فى تركيا الاسلام والخلافة جميعا ، ولكنهم تأنوا وتمهلوا ، ولعلهم قدروا أنهم ان فعلـوا ذلك بأيديهم ، كان له رد فعل عنيف فى نفوس ملايين المسلمين فى المستعمرات فيثـورون عليهم ، أو يستمسكون بالخلافة فلا تنهار ٠

فمن الخير لهم اذن أن يضربوا ضربتهـم هذه بيد الغير ٠

ولكن من يكون هذا الغير ؟

لقد كان أمامهم على مسرح تركيـا رجلان : « **السلطان وحيد الدين** » الذى سـلم لهم بكل مطالبهم ٠ و « **مصطفى كمال** » الثائر الذى يتزعم حركة مقاومة الاحتلال ٠

فأى الرجلين أصلح لتنفيذ ما يريدون ؟

ان وحيد الدين ، بجـانب أنه السلطان الشرعى ، هو أيضا خليفة المسلمين ٠ واذا كان ـ كرئيس دولة منهزمة ـ قد سـلم بمطالب المنتصرين ، فان تسخيره لضرب الاسـلام والخلافة أمر مشكوك فيه ٠

أما مصطفى كمال ، فقد كان بفطرته ثائرا لا يحترم دينا أو انسانا أو وضعا من الأوضاع ولا يقدس شيئا على الاطلاق ، كما يقول عنه « أرمسترونج » فى كتابه « الذئب الأغبر » وهو بحكم نفوره من الدين واحتقاره للقيم وسخريته من كل الأوضاع المقدسة ورغبته فى تسنم ذروة الحكم ، قد يأتى من الأعمال ما يرضى هوى الصليبيين ، وقد يحقق ـ من حيث يدرى أو لا يدرى ـ بعض أحـلام المستعمرين ٠

وليس من شك فى أنهم درسوا الرجـل وخبروه ، وأدركوا أنه « **لن** » يكون خطرا على

« **الاستعمار** » • وحين أقول : **(لن يكون خطرا على الاستعمار)** فانما أستعير تعبير «الغربيين» أنفسهم فى هذا المقام • يقول «أرمسترونج» فى كتابه عن « أتاتورك » : **(ان الغازى لن يقود تركيا الى حماقة من تلك الحماقات أو ينصب نفسه بطلا للشرق معاديا للغرب وللاسلام ضد المسيحية أو للأجناس المضطهدة ضد مضطهديها ، ولكنه لن يكون الا كما حدد برنامجه بقوله :**

(ليس لنا الا مبدأ واحد هو أن ننظر الى جميع المشكلات بالعين التركية ونصون مصالح تركيا) •

ومن أجل ذلك أعان الغرب مصطفى كمال وساند حركته • فانجلترا وفرنسا توقفان زحف اليونانيين فى تركيا حتى لا تنهار حركته ، وفرنسا منفردة تعقد معه معاهدة سرية تطلق بمقتضاها عقال ثمانين ألف جندى من الجبهة السورية وتمده بعتاد وذخيرة لأربعين ألفا آخرين • وروسيا تقرضه أموالا يشترى بها أسلحة من ايطاليا وأمريكا • وانجلترا تحتضن « وحيد الدين » فتتبخر حماسة الشعب المناصر للسلطان •

ولقد صدقت تصريحات مصطفى كمال ظنون الصليبيين فيه ، وأكدت لهم أن مكاسبهم من ورائه تفوق ماكانوا يقدرون • لقد صرح لممثل الحكومة الفرنسية ـ كما جاء فى كتاب الذئب الأغبر ـ بقوله :

(تستطيعون أن تنالوا سوريا وبلاد العرب ولكن كفوا أيديكم عن تركيا • نحن نطالب بحق كل شعب فى الحرية داخل حدود بلادنا الطبيعية ، ولا نبغى شبرا واحدا أكثر من ذلك و لاأقل) •

وهل كان الصليبيون يطمعون فى غير هذا ؟

لقد اختطف كل منهم جزءا من « **تركة** » الرجل المريض ـ كما كانوا يسمون الخليفة ـ وكل منهم يريد أن يطمئن على ما خطف ، فاذا جاء وارث التركة وقال : لن أتعرض لمغتصب ولن أمد عينى الى خارج رقعة تركيا ، فكيف لا يفرح المستعمرون بهذا الوارث الزاهد القنوع ؟

كذلك صرح فى الجمعية الوطنية ـ كما جاء فى نفس المصدر وفى غيره ـ بقوله :

(أنا لست مؤمنا بعصبة من جميع الدول الاسلامية ، ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية •••)

وهل كان للصليبيين أمل أحلى ومطمح أعز من القضاء على الجامعة الاسلامية ؟ وهل يقوض الجامعة الاسلامية شىء مثل أن يكفر بها زعيم الدولة الأم ؟

ويقول أرمسترونج فى كتابه عن مصطفى كمال :

(فلطالما أوضح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا •••)

فهل يكون لهذه الكلمة معنى سوى تحقيق هدف صليبى قديم هو القضاء على آخر معقل فى أوروبا للمسلمين ؟

وربما يقال : ان مصطفى كمال كان يدلى بهذه التصريحات ليصرف الغربيين عن مناوأته، وانه قد يكون جحد بها ولم يلتزمها ، وليس من الانصاف أن نحاسب الرجل على أقوال وانما الانصاف يقتضى أن نحاسبه على أعمال • فلننظر اذن فيما نفذ من أعمال تمس الاسلام بعد أن استولى على مقاليد الأمور فى تركيا •

أبرز أعماله التى مست الاسلام ثلاثة :

أولا ـ عزل الخليفة من سلطنة تركيا ثم طرده ،

وقد أثر هذا على تركيا نفسها وعلى الخلافة كذلك • أما بالنسبة لتركيا فان عزل الخليفة وطرده ، أفقدها **الزعامة الدينية** التى حفظت لها مكان الصدارة بين الأمم ـ لأن وراءها مئات الملايين من المسلمين ـ فخسرت بذلك تركيا خسارة أدبية ضخمة ، اذ نزلت الى صفوف الدويلات الصغيرة التى لا وزن لها فى المحيط الدولى ولا حساب •

أما بالنسبة للخلافة نفسها ، فان عزل الخليفة وطرده أدى الى انهيار الخلافة ، ذلك لأن الخليفة عزل وطرد فى وقت كانت فيه كل الأبواب موصدة فى وجهه • فالبلاد الاسلامية التى كان يمكن أن يلجأ اليها كانت كلها محتلة ، فمصر محتلة ، والشام محتلة ، وبلاد العراق وما والاها محتلة ، والهند وأندونيسيا محتلة ، وبلاد شمال افريقيا محتلة ، وبلاد شرق افريقيا محتلة ، وبلاد غرب أفريقيا محتلة • وليس من المعقول أن يقصد خليفة المسلمين الى بلد يتحكم فيه الصليبيون ، فهو ان لم يتعذر دخوله اليه فستشل حركته فيه ، لأنه ان لم يستغل نفوذه الروحى لخدمة المستعمرين فلن يمكن من مزاولة أى نشاط يفيد المسلمين •

فان قيل : ان بعض البلاد الاسلامية بقيت مستقلة ، فلماذا لم يلجأ الى احداها ؟ قلنا :

ان أبواب هذه البلاد المستقلة كانت أيضا مغلقة فى وجهه •

فبلاد الحجاز كان يحكمها الشريف حسين، الذى قاد الثورة العربية ضد الخليفة ، والذى أرسل أبناءه فتطوعوا فى جيش الحلفاء الصليبيين وحاربوا خليفة المسلمين •

فهل كان يمكن أن يذهب الى الحجاز ؟

وبلاد اليمن ، سواد سكانها من الزيود ، أتباع المذهب الزيدى الذى لم يعرف به الخليفة ، وكان يحكمها فى ذلك الوقت « أبناء حميد الدين » الذين ثاروا على الخليفة وانسلخوا من سلطانه •

فهل كان يمكن أن يأوى الى اليمن ؟

وايران ، يسودها المذهب الجعفرى الذى لم يعترف به الخليفة ، ويحكمها ملوك لم يخضعوا لخلفاء آل عثمان • ولم يستسلموا لسلطان تركيا على الاطلاق •

فهل كان يستطيع الانتقال اليها ؟

والأفغان ، كانت تناوشها انجلترا من حين الى حين من حدود الهند ، ثم هى دولة صغيرة فقيرة شبه منعزلة ، لا تستطيع أن تتحمل أعباء الخلافة أو تنهض بالتزامات الخلفاء •

وكانت النتيجة أن الخليفة عاش بقية حياته فى شبه عزلة • فلما قضى ، انهارت بموته الخلافة الاسلامية ، وتمزقت الراية المباركة التى اجتمع تحت ظلها مئات الملايين من المسلمين مدى ثلاثة عشر قرنا وبضع عشرات من السنين •

وهكذا ضربت الخلافة الاسلامية بيد رجل تغنى المسلمون ببطولته فى وقت من الأوقات ، وقال فيه أمير الشعراء أحمد شوقى :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب

وشتان بين الاثنين • **فخالد العرب** عزله الخليفة وهو فى قمة مجده وعقب أعظم انتصاراته فلم يخرج عليه ، **وخالد الترك** عينه الخليفة مفتشا عاما للمنطقة الشمالية بتركيا وحاكما للولايات الشرقية ، فنظم حركة مقاومة الاحتلال وقادها ، وبمجرد انتصاره بطش بالخليفة وطرده من البلاد •

ثانيا ـ ألغى الدين

والغاء الدين فى الدساتير والأوراق الرسمية، ان كان لا يؤدى الى نبذ القلوب للعقيدة ، فانه يؤدى الى عزل الدين عن الحياة العامة ، فتهمل الفضائل التى يدعو اليها ، وتغفل الحدود التى تصون المجتمعات من الانحلال • كذلك فان الغاء الدين رسميا يفتح الباب للتطاول عليه ، فيفقد قداسته وتضعف فى النفوس معانيه • والمعانى الدينية هى التى يمكن بها تحريك الطاقات الهائلة الكامنة فى البشر • والحاجة الى هذه الطاقات ، دائمة وشديدة ، الا أنها تكون أشد فى أوقات المحن والحروب وفى ابان بناء النهضات •

أما فى المحن والحروب فانها تقضى على الخوف واليأس والانهيار ، فيزداد الناس قدرة على الاحتمال وقدرة على الصمود وفى هذا ضمان النصر والغلبة • وأما فى أوقات

بناء النهضات فانها ـ أى المعانى الدينية ـ تحيى الضمائر ، فيحرص كل فرد على أداء واجبه وينشد كل عامل الاحسان والكمال فتنهض المجتمعات بأسرع ما يكون ٠

فان قيل ، ان من الممكن أن يستعاض عن المعانى الدينية بمعانى الوطنية أو العنصرية وهو ما كان يؤمن به مصطفى كمال ؟

قلنا : ان المعانى الوطنية أو العنصرية قد تحرك فعلا طاقات البشر ، لكن ترسيخها فى النفوس يحتاج الى الكثير من الوقت والجهد والمال ، وليس يكفى أن تكون مجرد دعوة فحسب ، بل يجب أن تكون تربية وتثقيفا وتوجيها ٠ والمعانى الدينية فوق أن ترسيخها فى النفوس أيسر فان تأثيرها فى تحريك الطاقات البشرية أشد وأقوى ٠

ثالثا ـ أبطل استعمال الحروف العربية فى كتابة اللغة التركية ، وفرض استعمال الحروف اللاتينية ٠

وهو بهذا العمل جفف ينابيع « **الثقافة الاسلامية** » فى بلاده ، لأن الأجيال التى نشأت بعد اتخاذ الحروف اللاتينية أصبحت تعجز عن قراءة التراث الاسلامى المكتوب كله بالحروف العربية ، فحرمت الأجيال الجديدة فى تركيا من الثقافة الاسلامية التى عاش عليها آباؤهم وأجدادهم مئات السنين ، وأدى هذا الى انعدام المشاركة الفكرية بين الأتراك وبين بقية المسلمين ، وبالتالى الى ضمور الانعطاف الروحى بين هؤلاء وهؤلاء ٠ فأصبح الأتراك لا يحسون بما يحس به اخوانهم فى الدين وانتهى بهم ذلك الى الوقوف من القضايا الاسلامية موقفا سلبيا أحيانا ومعاديا اذا اقتضت الظروف أحيانا أخرى ٠

وأقرب مثال يؤيد ما نذهب اليه موقفهم من قضية فلسطين ، فقد كانوا من أسرع الدول اعترافا باسرائيل ، مع أن قيام دولة لليهود فى قلب الوطن الاسلامى فيه أكبر الخطر على الاسلام والمسلمين ٠

فان قيل : لعل هذا اجراء انفرد به حكام تركيا ٠

قلنا : ان تأكد هؤلاء من سلبية الشعب ، شجعهم على الاقدام عليه ، ولو لمسوا فى الشعب اهتماما أو غيرة ، لترددوا ولو قليلا قبل أن يقدموا على الاعتراف بدولة اليهود ٠

وبعد :

فان هذه « الضربات الثلاث » فوق أنها مست « الدين » فانها أضرت بتركيا ماديا وأدبيا ومعنويا ٠ فماذا صنع مصطفى كمال ليعوض بلاده عن هذه الأضرار ؟

وهل أوجد فيها نهضة فكرية ترد عليها ما ضاع من معنويات ؟ ٠٠ كلا

هل أوجد فيها نهضة صناعية تعوضها عما فقدته من بلاد ؟ ٠٠٠ كلا

هل أقام فيها صناعات ثقيلة جعلتها فى مستوى دولة صغيرة كالبلجيك ؟ ٠٠٠كلا

هل أقام صناعات خفيفة جعلتها فى مستوى دولة كسويسرا ؟٠٠٠ كلا

هل أوجد فيها نهضة زراعية على نحو ما فعل الهولنديون ؟ ٠٠٠ كلا

هل أوجد فيها نهضة علمية رفعتها الى مكانة السويد ؟ ٠٠٠ كلا

هل اهتم ـ كقائد عسكرى ـ بانشاء مصانع حربية تغنى بلاده عن استجداء السلاح ؟ ٠٠٠ كلا

انه لم يفعل شيئا من ذلك ٠ ولم يعرف عنه أنه حاول بعضه على الاطلاق ٠ ودعك من تغيير الزى ولبس القبعات وفرض السفور والترويج للرقص وغير ذلك من الشكليات ٠

فلماذا لم يحاول الرجل وضع أسس نهضة لبلاده ؟

هل كان لا يحسن عملا سوى التحطيم ، ولا يعتمد على شئ من البناء ؟

أم كان هذا هو الثمن الذى طلبه الاستعمار لجلاء قواته عن تركيا ؟

ان كان هذا ، فياله من ثمن باهظ غال ، كان أرخص منه بقاء الاحتلال ٠

الإسلام عدو الاحتكار

الأستاذ محمد سعاد جلال

فى المال ، وفرصة العمل والمنزلة الأدبية

فكرة الاسلام الاقتصادية ــ فكرة اشتراكية أصيلة ، تعاونية ، كاملة الأداء فى تحقيق أعلا ضروب التعاون بين النـاس ، فى أمورهم المعاشية ، وعلاقاتهم الانسـانية ، وحتى فى الأمور والأعمال التى تمثل سعيهم للحيـاة الآخرة ، كالحج ، والزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد لاعلاء كلمة الله ، فهذه العبادات كلها يظهر فيها قصد المشاركة العامة ، والتعاون القوى الواضح بين جماعـة المسلمين، مع كونها عبادات دينية وهى بالقصد الأول معدودة من أمور الآخرة .

فلا عجب أن نرى الاسلام ــ بناء على أسس هذه الاشتراكية التعاونية الواضـحة ــ يعلن الحرب على عملية الاحتكار ، وسعى المحتكرين لأن الاحتكار تعبير عن الروح الفردية الذميمة ودليل على الجشع الذى ذمه الله ، وجعل فلاح الانسان منوطا باتقائه والبعد عنه ، ولأنه مضاد للتعاون الذى أمر الله به ، وينطوى على لون من كراهة الناس وعدم الاكتراث بالمسئوليـات الوطنية ، ويؤدى الى غلاء الأسعار ، واذا غلى تسعر سلعة شق شراؤها على الفقراء والمعوزين فيصيبهم من البلاء والأذى ، فوق ما هم فيه فتضطرم نفوسهم بالبغضاء والحقد، ويتربصون بالساعة المواتية التى يجدون فيهـا متنفس صدورهم ، وتفريجا عن غيظ قلوبهم .

كل هذه الآفات ، والمضار والقبائح انما هى أعراض الاحتكار ، وآثاره الشريرة .

والاحتكار المادى يتحقق فى نوعين :

أما النوع الأول : فهو الاحتكار الواقع على المواد الضرورية التى تتعلق بها مصلحة جميع المواطنين لا يستغنون عن أعيـانها .. **وذلك** كالمعادن الموجودة فى باطن الأرض وظاهرهـا من الحديد ، والبترول ، والفحم وأشباهها ، فان هذه المعادن ، وما كان من جنسـها هى ودائع الله فى أرضه لعامة عباده ، فهى من حقهم جميعا ، ولا يجوز أن يحتكرها أحـد ، ولا أن يستأثر بها أحد .

قال الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ فى الأم : « ومثل هذا ــ يشير الى عمـوم ملكية الكلأ والنار ، والماء ــ كل عين ظاهرة كنفـط ــ والنفط هو البترول ــ أو كبريت ، أو مومياء

أو حجارة ظاهرة فى غير ملك أحد فليس لأحد أن يتحجرها - يحتكرها - دون غيره ، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ولا لخاص من الناس: لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلأ ولو تحجر رجل لنفسه من هذا شيئا أو منعه من له سلطان كان ظالما » ، ونلاحظ هنا أن الامام الشافعى يشترط لتحريم احتكار هذه المعادن الصلبة ، أو السائلة : كونها ظاهرة على وجه الأرض وما كان مدفونا فى باطنها ، لأنها كما قلنا وديعة الله فى الأرض ، لا يجوز أن يختص بها انسان دون انسان ، ولأنها ذات نفع عام ، فاحتكار انسان لها دون غيره مناف للعدالة ، وقال الامام الكاسانى الحنفى :

« وأرض الغار ، والملح ، والنفط - البترول - ونحوها مما لا يستغنى عنه المسلمون لا يجوز للأمام أن يعطيها لأحد: لأنها حق لعامة المسلمين : وفى الاقطاع ابطال حقهم وهذا لا يجوز » .

وأما النوع الثانى من الاحتكار المادى : فهو الاحتكار الواقع على السلع التجارية المتبادلة بالأخذ والعطاء بين المتجرين .

فقد ورد التصريح بتحريمه والوعيد لفاعله فى جملة كثيرة من الأحاديث :

روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : **« من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » . وروى أيضا - من طريق ابن ماجة « الجالب مرزوق : والمحتكر ملعون » .**

ومغزى الحديثين : هو أن الاحتكار للمواد الاستهلاكية كالقمح والأرز والدقيق، والسكر والفول ، والعدس ، وأمثالها يؤدى الى قلة وجودها فى السوق فيضر ذلك بالجمهور فى أنفسهم ، وفى أموالهم ضررا مجهول الاحتمالات والنتائج ، وهو صورة من أسوأ صور الاستغلال الرأسمالى الشرير ، ومن أجل ذلك حكم الحديث بلعن صاحبه ، وأعلن براءته من الله وبراءة الله منه .

وقد ورد فى حديث آخر عن الحسن قال : ثقل معقل بن يسار فأتاه عبد الله بن زياد - رضى الله عنه - بعودة ، فقال : هل تعلم **يا معقل انى سفكت دما حراما ؟ قال : لا أعلم قال : هل علمت أنى دخلت فى شىء من أسعار المسلمين قال : ما علمت قال : أجلسونى ثم قال : اسمع يا عبد الله شيئا سمعته من رسول الله لا مرة ولا مرتين ، سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة . قال : « أنت سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم » - قال : نعم غير مرة ولا مرتين » .**

وفى نظرنا أن تخزين المواد الاستهلاكية - كالسكر أو الأرز أو الزيت ، واستنزافها من السوق بقصد توفير الانتفاع بها عند الظن فى قلة المعروض منها، وهى عادة سيئة عند بعض المواطنين تشبه الاحتكار ويقاس فى الحكم عليه، لأن آثارهما فى الأضرار بالجمهور من حيث قلة السلع وصعوبة الحصول عليها متقاربة فاذا كان الاحتكار محرما وملعونا فاعله فان التخزين ينبغى - فى رأيى - أن يكون مكروها كراهة تحريم ولا يجوز للمواطنين - اذا قل فى السوق عرض سلعة ضرورية كالسلع التى ذكرناها - أن يتزاحموا على شرائها وتخزينها واستنزافها من السوق: فان ذلك أمارة الأنانية والجشع ، وقلة التوكل على الله ، وسبب الى حرمان مواطنين آخرين من نصيبهم المقدر من الصنف المعروض .

وكل ذلك ينافى مقاصد الشريعة وآدابها وأحكامها .

وهناك الى جانب هذه الأنواع من الاحتكار المادى - احتكار آخر قد يكون أشد بشاعة وأكثر للنفس ايلاما ، وأشد ضررا بحسب ما يؤدى اليه من مصادمة العدل ، وشحن النفوس التى تصاب به ، بالغيظ ، والحقد على المجتمع ، ذلك هو الاحتكار للفرصة والمنزلة الأدبية .

فان من آثام رأس المال والاقطاع أنه لا يبسط عادة جشعه وأطماعه على الأموال فقط ، ان ذلك لا يقنعه ، ولا يرضى شعوره بالكبرياء والأثرة ، واحتقار الآخرين ، ثم هو لا يقنعه - أعنى رأس المال - لسبب أبعد مرمى من مخض ارضاء شعور الكبرياء والاثرة

.. فقد عرف ـ رأس المال فى تجارب السطو الكبيرة ، على حيازة أموال الآخرين بالحيلة تارة ، والبطش أخرى ـ ان احتكار الفرصة والمنزلة الأدبية مما يساعده ويشد أزره ويعينه على المزيد من احتكاراته المادية .

يعمل رأس المال والاقطاع ـ دائما ـ على احتكار فرصة العمل ، فى الوظيفة الحكومية وفى مجالات العمل الحر ، فلا يدع سبيلا لغير أبناء طبقته أن يصل الى منصب ممتاز أو عمل حر دسم الا نادرا ، وبأسباب ووسائل لاتبعد كثيرا عن رضائه واشرافه ، حيث تتبرج المحسوبية ، ويخزى القانون ، وكذلك يعمل على محاربة الفضائل النفسية والأخلاقية والامتياز العقلى ، حين تضفى هذه الخصائص على رجل عظيم منزلته مرموقة بين الجماهير ، فيشير ذلك الى بوادر منافسة الرأسمالية فى سوق احتكاراتها الأدبية ، كل ذلك مما يدفعه الاسلام وينكره على أصحابه .

ذلك أن الاسلام يقرر المساواة فى الفرصة لكل مسلم ، فالمسلمون سواء بازاء كل «فرصة» يستأهلون اغتنامها بكسب أيديهم وجهاد نفوسهم وعقولهم ، واستحقاق الوظيفة فى دين الاسلام قائم على الكفاية والأمانة والجدارة ، لا على المحسوبية ولا على القرابة ، ولا العصبية العائلية ، أو الطائفية أو الحزبية .

حكى القرآن عن ابنة شعيب فى صفات الرجل الكفء ، وهى تتحدث عن موسى ـ عليه السلام ـ تقول : « يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين » .

فالقوة ـ وهى القدرة على العمل بأسبابه وشروطه اللازمة له ، والأمانة ـ وهى العدل والعفة فى أدائه : هما شرط استحقاق الفرصة وكسب العمل ، كما قرر القرآن الكريم ذلك بالمصادفة على قول ابنة شعيب : اذ لم ينكره .

وقد عنيت السنة المطهرة ، بمحاربة الاحتكار فى الوظيفة والعمل ، وأن يكون العمل للدولة بسبب من القرابة أو الحظ الشخصى :

فقد روى الحاكم عن يزيد بن أبى سفيان قال : « قال لى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ حين بعثنى الى الشام : « يا يزيد : ان لك قرابة خشيت أن تؤثرهم بالامارة ، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » « من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم » .

وهذه المحاباة « بالوظيفة » للقرابة وأمثال القرابة ، قد كانت العنوان المميز لاحتكار الفرصة ، الذى شرعه رأس المال والاقطاع ، وتوسل به الى اهدار كرامة الفرد وهو يسعى جاهدا للوصول الى لقمة العيش ، فلا يجدها الا حين يحنى رأسه لجبروته وكذا أكدت السنة حق كل ذى منزلة فيما يتبع تلك المنزلة من الكرامة والتقدير ، بغير استئذان لرأس المال أو الطبقة .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ننزل الناس منازلهم : قال صلى الله عليه وسلم : الكبر : بطر الحق وغمط الناس » .

فبطر الحق ، رفض الحق اذا ظهر على يد الغير ، وغمط الناس : تجاهل منازلهم الأدبية أو محاباتهم فيها ظلما ، أو حسدا أو ضعفا عن احتمال النفوس الرخيصة لما هو أذكى وأنبل .

ان النفوس البشرية أكثر حرصا على حقوقها الأدبية ومنازلها فى الكرامة من حقوقها المادية المتمثلة فى كسب المال والظفر بمتاع الجسد : وحيث يختفى سلطان رأس المال وتنعدم الطبقية يختفى هذا الاحتكار البشع الضار الذى يستهدف الحد من انسانية الانسان ويسد الطريق على القوى الساعية فى الأمم والملكات الممتازة أن تجد سبيلها الى الانطلاق والعمل والمشاركة الفعالة فى قضية انهاض الأمة واسعادها ، واستغلال كل منابع ثرائها البشرى فى الذكاء ، والعلم لخير المجموع .

وان تصدع الأمم فى مقوماتها الأساسية ، من الوحدة والتعاون وصحة الوطنية لا ينشأ فى كثير من أسبابه الا من ظهور هذا الاحتكار الذى يمثل فى النظام الرأسمالى قصر النظر عن ادراك معقباته المؤكدة ويجعل فى الوقت نفسه من النظام الاشتراكى حاجة حتمية لا يستغنى عن الوفاء بها وجود الانسان .

عقيدة وكفاح

الدكتور حفنى شرف

فى أواخر النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، وقبل أن يغمر نور محمد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أرجاء البشرية كان العالم فى الشرق والغرب يتعثر ويئن من الجور والاستعباد ، ويعكف على عبادة الوثن والنار والكوكب السيار ، وكان العرب سكان شبه الجزيرة العربية · من بين هؤلاء البشر أهل عصبية وتناحر وقبلية وتفاخر ·· فكان لابد لانقاذ البشرية من هذا الظلام ، واخراج العرب من ذلك النظام ·· من هاد يهديهم سواء السبيل : لأن «الدعوة الموسوية » كانت مقصورة على شعب اسرائيل ، وكان التعصب فيها للجنس باديا ، و « الدعوة المسيحية » كانت فى معظم أمرها دعوة روحية لتنظيم العلاقة بين الرب وعبده ·· ولم يكن « المسيح عيسى » خاتم المرسلين ··

فكان لابد ، اذن : من رسول ينقذ البشرية ويدعو الى الوحدة والوحدانية فأرسل الله محمدا خاتما للأنبياء والمرسلين ·· لذا كان لزاما عليه أن يكون رسولا الى الناس جميعا ، لأن دينه الكلمة الأخيرة والحاسمة فى تاريخ الأديان : وقد صدق فى قوله : بعثت الى الأحمر والأسود ·

و « محمد » عربى ظهر فى أمة العرب وبعث اليهم أولا لأنهم كما سبق أن قلت كانوا أهل عصبية فكان لابد لهم من رسول منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويجعلهم أمة واحدة دينها الاسلام الذى يدعو الى السلام ودستورها القرآن الذى يسوى بين الأنام « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ويحثهم على الاتحاد والترابط والتآخى والاعتصام بحبل الله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ·

وأمرهم بالتعاون على الخير فقال:« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ·

أمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – **أن ينشر مبادىء الاسلام فى العرب وغير العرب بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » ، « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ·**

وأخذ الرسول يدعو الى دين الله حاملا المشعل الوضاء ورافعا لواء الاسلام والسلام فأقال البشرية من عثرتها وكان لها هاديا وبشيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وتكونت « أمة العرب » واتحدت كلمتها وأصبحت قوية تشعر من أعماقها بأن لها قومية وأن لها عقيدة تدعو لها وتدافع عنها فخرت جباه « القياصرة والأكاسرة » لها ساجدين ٠٠ وامتدت آفاق الدعوة الاسلامية حتى شملت بلاد الصين شرقا ، وبلاد الأندلس غربا ، وكان ذلك بفضل كفاح المسلمين ، ثم لم يلبث أن فقد العالم العربى هيبته ونزل عن الصدارة ورضى بالقليل عندما مزق شملهم « هولاكو » وأسقط بغداد من يد العباسيين، ولكن القومية العربية قائمة ماقام الحدثان والعقيدة الاسلامية منتصرة ما بقى انسان ، فاستطاعت القومية العربية متعاونة مع العقيدة الاسلامية أن تصهر العناصر الغريبة ٠٠ فتشعبت بهما نفوسهم وعقولهم ٠٠ فوقفوا يمثلون الاسلام والعروبة فى أسمى قوتها وأوج عظمتها ، **وخير دليل على ذلك ما فعله « صلاح الدين الأيوبى » فى موقعة حطين سنة ١١٨٧ م ، وانهزام الصليبيين أمام جيوشه الظافرة وما فعله الظاهر بيبرس ضد المغول ٠٠ ويوسف ابن تاشفين ضد الأندلسيين ٠ مما جعل العرب يقدرون معنى الوحدة وما لها من قوة وبطش ويؤمنون بها ايمانا قويا ماديا ومعنويا مما نستطيع أن نراه واضحا فى انتصارها على التتار فى موقعة « عين جالوت » سنة ١٢٦٠ بعد انتصارها على الصليبيين فى حطين ٠**

ثم أصاب القومية العربية شىء من الضعف على يد « الأتراك » الذين استعمروا البلاد العربية ٠ فلم يدافعوا عن الاسلام ولا عن مجد العرب وأعقب الاستعمار التركى « الاستعمار الأوربى » الذى وطئت أقدامه البلاد العربية متخذا من مصر القاعدة الأولى ٠

وهكذا بدأت القارة الأوروبية تستعمر البلاد العربية تارة باسم « الدفاع عن العرش» كما حدث فى سنة ١٨٨٢ ، وتارة « للتحكم فى الطرق التجارية والمائية » كبلاد الشام والعراق ، وتارة « لاستغلال الثروات الباطنية » كالبترول والنحاس والحديد ٠٠ ولكن العرب رغم هذه السنين الطويلة لم ينسوا « القومية العربية » ولم يتوانوا فى الدفاع عن شرفهم وكرامتهم واعلاء مجدهم ٠٠ فاشتعلت الثورات فى أنحاء الأمة العربية ٠٠ وهبت ثورات هنا وهناك على أثر « وعد بلفور، سنة ١٩١٧ » الذى جعل البلاد العربية غنيمة للانجليز والفرنسيين والايطاليين واليهود ٠

وقامت ثورة فى مصر وثورة فى العراق ، وثورة فى شمال افريقيا وفى السودان وفى اليمن والشام ، وكل هذه الثورات تنادى بالاتحاد والتضامن العربى ٠

فاضطر الاستعمار الى عقد المعاهدات ووضع المحالفات عله يجد فى ذلك الوصول الى مآربه ٠٠ ولكن هيهات للعرب أن يسكتوا على ذلك بعد أن تكونت عصابة صهيون الأفاقة ورأوا مآسيها أمام أعينهم ممثلة فى تشريد مليون ونصف مليون عربى من فلسطين ٠

ظن الاستعمار أن سياسة الأحلاف ستفيده وتطيل من عمره فى البلاد العربية ولكن هذه السياسة زادت التوتر حدة ، وأسرعت بانحدار البشرية الى هاوية الفناء ، والبلاد العربية فى تلك الآونة يهمها الاستقرار لتنصرف الى البناء والتعمير وازاحة المتخلف من الركام ٠

فأنشئت «الجامعة العربية» لتحقيق الوحدة العربية تحقيقا عمليا لا ارتجاليا ،والسعى فى التحرر من نير الاستعمار الأوربى فى البلاد العربية شرقا وغربا ٠

ولكن الاستعمار لم تنم عيناه عن كفاح العرب وضم صفوفهم وتوحيد كلمتهم ، فأخذ ينفث سمومه بين ضعاف النفوس والايمان من حكام البلاد العربية ٠ فباعوا بلادهم واستعبد الاستعمار شعوبهم ، واعتقد الاستعمار وأعوانه أن القومية العربية خرافة وأن الوحدة العربية محالة ٠٠

ونسى أن العرب يؤمنون بالقومية العربية ايمانا لا يشوبه شك ويشعرون بالوحدة شعوراً لا يداخله ريب ٠٠

ان الدول العربية ستتحد أيها الاستعمار ، رضيت أم أبيت ، لأن شعوبها التى هزمت وهزمت وذاقت الأمرين ، مرارة الاستعمار ، ومرارة الفرقة ، عرفت أن لا بد لها من «اتحاد» يجمع شملها ويلم شعثها ويقوى صرحها مهما وقف لها الرجعيون والخونة من الملوك .. لأن الشعوب لها ارادة ، وارادتها فوق كل ارادة ، والشعوب الحرة اذا ما أرادت فلا راد لارادتها ولا مانع لغايتها ، ولقد صدق الشاعر فى قوله :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

حقا يستجيب لتلك الشعوب التى ظلت مغلوبة على أمرها قرونا وأعواما . ثم استيقظت وأخذت تسير صادقة العزيمة قوية العقيدة . وويل لمن يقف فى طريقها .

ان الشعوب العربية بعثت بعثا جديدا .. وآمنت أنها ان فقدت كل شىء فلم تفقد قوتها ولا مجدها ولن تزعزها الأحلاف والدولارات .

ان الشعوب العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، مبعث الأحرار وموئل الاسلام والسلام ومركز القيادات ، تنادى بالسلام وترسم للعالم سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز » .

وسيرى القارىء فيما يأتى مكانة الجمهورية العربيةالمتحدة وكفاحها ضد الاستعمار وأعوانه فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية التى أنشأت لذلك هيئات وجماعات للدعوة الى الاسلام والتعريف به ونشر تعاليمه ، فكانت بحق حصن الاسلام والسلام الذى يعمل على ابلاغ تعاليمه الى مجاهل آسيا وافريقيا . وأمدت الجاليات الاسلامية فى البلاد الأوروبية بما تحتاجه من الكتب الاسلامية وأنشأت بها سكنات اسلامية وأفسحت صدرها لأبناء المسلمين حتى أصبح فيها من يمثلون سبعين دولة توليهم عنايتها وتعلمهم حتى يكونوا رسل الاسلام والسلام فى بلادهم .

وان التاريخ اذا سجل الأحداث الهامة فانه سيقف طويلا أمام الفترة الهامة الخطيرة التى تعيشها البشرية بعد الحرب العالمية الثانية وسيقف أطول وقفاته أمام يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ وهو اليوم الذى اجتمع فيه مندوبو آسيا وافريقيا « فى باندونج » .

اجتمع فيه القادة فاجتمعت ارادة شعوب آسيا وافريقيا برغم ما يحيكه الاستعمار وأعوانه من المؤامرات لتيقنه أن هذا اللقاء سيكون ضارا على بقائه ..

اذ أنه وجد كتلة ثالثة بعد أن كان يظن أنه لا توجد الا كتلتان اثنتان متصارعتان على المسرح العالمى وفى هذا الاجتماع ارتفع صوت الجمهورية العربية المتحدة بامتزاج كفاح آسيا وافريقيا : لأن الهدف واحد وهو الحرية .. والعدو واحد وهو الاستعمار .

ثم تطور هذا اللقاء الى مؤتمرات فى القاهرة وأكرا ، وآخرها الدار البيضاء الذى كان رجع الصدى للمؤتمرات ..

لقد نادت الجمهورية العربية المتحدة بصوت مرتفع فى كل مكان بتوحيد شعوب العرب وجمع كلمتهم وضم صفوفهم وتحرير أوطانهم ومدت يدها بالمساعدة الفعالة ، اقتصادية وسياسية وعسكرية لكل شعب عربى يريد أن يتحرر أو يريد أن يتحد ويتضامن .

لقد مدت يدها الى شعب العراق وشعب الأردن وشعب الجزائر وليس بغريب عليها فهو واجب فرضته القومية العربية والديانة الاسلامية وأولت قضية فلسطين عناية فائقة وأعربت مرارا عن اهتمامها بالوضع الراهن فى تلك البقعة المقدسة لتطهيرها من رجس الصهاينة .. وعودة عرب فلسطين الى أرضهم ونبهت الى الخطر الذى يهدد السلام فى الشرق الأوسط وهو وجود اسرائيل بين الدول العربية وكشفت اسرائيل على حقيقتها وبينت للعالم أجمع أن هذه الدويلة المزعومة أداة لخدمة الاستعمار لا فى الشرق فحسب .. بل فى افريقيا وآسيا .

لقد يستغرب بعض الناس من موقف الجمهورية العربية المتحدة من اسرائيل .. ولكن يذهب هذا العجب عندما يعرف أن اسرائيل صوتت ضد استقلال تونس سنة

١٩٥٢ ٠ وضد استقلال المغرب سنة ١٩٥٣ ، وسنة ١٩٥٤ ووقفت ضد استقلال الجزائر سنة ١٩٥٦ و١٩٥٧ ، وأيدت فرنسا ضد الاعتراف بحق الجزائر فى الاستقلال سنة ١٩٥٨ ، وأيدت فرنسا فى تفجيرها الذرى فى الصحراء الجزائرية وأعلنت العداء السافر ٠٠ وكشفت عن حقيقتها ضد مصر سنة ١٩٥٦ ٠

هذا قليل من كثير مما قامت به اسرائيل التى تدل دلالة صريحة على أنها أداة استعمارية وقاعدة من قواعده ٠٠

فهل بعد هذا لا تقف الجمهورية العربية المتحدة موقفها من اسرائيل ؟

هل تكف الجمهورية العربية المتحدة عن النداء بالقومية العربية ؟ انها لاحدى الكبر : لو وقفت أمام تلك الأحداث التى ترتكبها اسرائيل ويعاونها الاستعمار وأتباعه مكتوفة الأيدى ٠ والواجب عليها أن تجهر بالدعوة للقومية وتساعد بكل ماملكت فى نصرة العرب والاسلام ٠٠

ان اسراع الجمهورية العربية المتحدة بمساعدة ومساندة شقيقتها الجمهورية العربية اليمنية أمر تفرضه الاخوة العربية ، والاخوة الاسلامية والاخوة الانسانية ، لأن شعب اليمن لاقى العسف من حكام العهود المظلمة الظالمة حتى كاد ان يفقد آدميته وأصبح كالابل السائمة تساق حسب رغبة الراعى لا ارادة ولا حريه ولا شخصية ٠ فهل يتفق هذا مع الانسانية ؟ وهل يتفق مع السلام ؟ هل يليق بالعروبه ؟

ان القومية العربية هى التى أوجبت على الجمهورية العربية المتحدة أن تشد ازرشقيقتها وليس هذا بواجب عليها وحدها بل على كل عربى فى الارض العربية او خارجها وان ما يفعل أعداء القومية من الرجعيين ليس الا ضربا من حب البقاء لانهم يرون فى نشر القومية العربية قضاء على تيجانهم وعلى عروشهم ولكن نحب فى هذا المقام أن نقول لاعداء القومية : « البقاء للاصلح » لا لمن يريد أن يعيش على أشلاء غيره من الآدميين » ٠

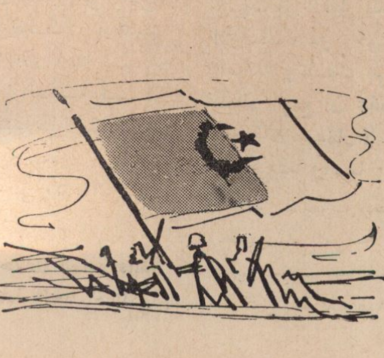

صفحات من التاريخ

الأيدى المتشابكة أو التضامن الافريقى الآسيوى

الأستاذ عبد المنعم حمادة

قام الرئيس جمال عبد الناصر منذ اليوم الأول لثورة ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢ ، بل منذ أن كان يمهد لهذه الثورة ، بتحديد الأهداف العامة التى كانت تدفعه الى أن يغامر هذه المغامرة الأولى فى حياة الجيش، ورسم الخطوط العريضة لآمال الأمة ووسائل تحقيق هذه الآمال ، وكذلك قام بتوضيح السياسة العامة التى يجب أن تنتهجها الدولة فى الداخل بالنسبة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفى الخارج بالنسبة لعلاقاتها العامة والخاصة مع الدول المختلفة فى الشرق والغرب ٠٠ ولقد أخذنا منذ قيام الثورة حتى اليوم نجنى الثمار واحدا بعد الآخر ، ورحنا نسير فى الطريق الى أمانينا أقوياء ، ومضينا نساهم فى سلام العالم ورخائه بكل ما نملك من قوة ، وبكل ما فى قلوبنا من ايمان ٠٠ وأخذنا نمد أيدينا لجميع الدول التى تريد الحياة فى عزة وكرامة نمهد لها الطريق ، ونعاونها على السير فيه ، ونقدم لها ماتحتاج اليه حتى تصل الى الغاية ، ولقد تبلورت هذه الحقيقة فى الميثاق ، فقد جاء فيه ما نصه :

« ان السياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، هى انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى ٠٠

« والسياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى ، تمتد فى ثلاثة خطوط حفرت مجراها عميقا ومستقيما بنضال شعب باسل صمد لكل أنواع الضغط وانتصر عليه ٠٠

« ان الخطوط الثلاثة العميقة فى السياسة الخارجية للجمهورية العربية تعبير عن كل مبادئها الوطنية وهى :

« الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى جميع أقنعته، ومحاربته فى كل أوكاره ٠٠

« والعمل من أجل السلام ، لأن جو السلام واحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى ٠٠

: ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء ، فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره ٠ »

والواقع ، ان هذه السياسة الواضحة المعالم ـ لاشك ـ تلقى على الجمهورية العربية المتحدة كثيرا من المسئوليات ، وتفرض عليها كثيرا من الواجبات ، وتزداد هذه المسئوليات وهذه الواجبات ضخامة كلما ضاقت حلقة التقارب

بينها وبين بلاد العالم المختلفة .. ولذلك لم يكن غريبا على حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تسارع الى الوقوف بجانب اليمن فى نضالها من أجل حرية الانسان وكرامته ، ومن أجل العدالة والمساواة ، ومن أجل القضاء على الجهل والفقر والمرض ، فترسل بعضا من وحداتها العسكرية تصد عن الجمهورية الحبيبة أعداء الكرامة ، وأعوان الاستعمار ، وحلفاء الخيانة ، ولم يكن غريبا على شعب الجمهورية العربية المتحدة أن يهتف للجمهورية اليمنية وأن يعقد المؤتمرات تأييدا لهذا الشعب العربى الأصيل ، وانتصارا لقوميته .

ففى اليوم الثانى والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦٢ ، الموافق اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٣٨٢ ، عقد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مؤتمرا عاما لأعضاء البعوث الاسلامية الافريقية والاسيوية ، والمواطنين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، حضره السيد كمال الدين رفعت عضو مجلس الرئاسة وعضو لجنة الشئون العربية ، والسيد عبد الحميد السراج النائب السابق لرئيس الجمهورية .. والضباط الأحرار الذين وصلوا الى القاهرة من السعودية والاردن اظهارا للسخط على ما فى بلادهم من فساد واعوجاج ، وحتى لا تدنس أيديهم بمحاربة اخوانهم فى الدين واللغة والوطن ، وفى الجهاد والنضال ، وفى الأمانى والآمال ، كما حضره كثير من المجاهدين فى كل بلد من بلاد الوطن العربى .. وكانت الغاية من هذا المؤتمر تأييد ثورة اليمن .. اليمن الذى قام من رقاده الطويل لينفض عن نفسه غبار الماضى البغيض ، ويزيح عن كاهله أحمال الفقر والجهل والمرض التى عاش فيها مئات السنين ، وليثبت للعالم أن الانسان لا يمكن أن يعيش طويلا مهدور الكرامة ، فاقد الشعور بانسانيته وآدميته ، ولا يمكن أن يستمر طويلا حبيس الظلمة القاتلة ، وليبرهن للعالم ان العربى حر أبى ، ولا بد له من أن ينتفض انتفاضة المارد الجبار وان طال الأجل، ولا بد له من أن يتطور مع الزمن ، وأن يبنى نفسه بنفسه ولمصلحته ومصلحة اخوانه فى الوطن العربى كله ، ولا بد له من أن يستعيد كرامته ، ويسترجع انسانيته، ويحس آدميته، ويخرج الى النور ليلحق بركب الحضارة والتقدم ، ويضع فى بناء العالم الحر لبنة الى جانب اللبنات ، ويساهم بجهده الى جانب جهود الآخرين فى طريق الرخاء والسلام ، ويعيد للتاريخ سطورا من حضارته السابقة ومجده الغابر .

ولقد شعرت وأنا أستمع الى الكلمات التى ألقيت ، والى الهتافات التى ارتفعت الى عنان السماء تعلن عن حق الانسان فى الحرية ، وعن حقه فى العدالة ، وتعلن عن سقوط الاستعمار والخونة ، وتنادى بالتضامن والتعاون من أجل السلام والرفاهية ، شعرت وأنا أستمع الى هذا كله انى أعيش فى عصر جديد ، وانى أشاهد فجرا تلوح بشائره قوية أخاذة ، فهؤلاء الافريقيون والاسيويون الذين جاءوا من الشمال ، والذين زحفوا من الجنوب ، والذين لبوا النداء من الغرب ، والذين أقبلوا متلهفين من الشرق ، ليعلنوا جميعا - وقد توحدت آراؤهم ، وتجمعت صفوفهم ، وتشابكت أيديهم - عن تأييد هذه الثورة التى تفجرت فى اليمن الحبيب ، انما جاءوا لما هو أكبر من مجرد الاعلان عن هذا التأييد ، جاءوا ليعاهدوا الله على مشهد ومسمع من العالم على أن يأخذوا بيد هذه الثورة حتى تستقر على الأرض الطيبة .. وتثبت أقدامها فى الوديان الخضراء والصحارى الواسعة ، والجبال الشم العالية ، وجاءوا ليشهدوا الله على استعدادهم للتضحية والفداء فى سبيل تلك البقعة العزيزة من شبه الجزيرة العربية من آسيا .

لقد شعرت وأنا أتابع كلمات المتحدثين من أحرار افريقيا وآسيا ، وأستمع الى هتاف الآلاف من أبناء القارتين الذين لم يتركوا فى السرادق الكبير الذى أقامه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية موضعا لقدم، والذين امتدت صفوفهم فملأت الشوارع المحيطة بالسرادق ..

شعرت أن هؤلاء الافريقيين والآسيويين الذين جاءوا يمثلون من كل مكان فى افريقيا وآسيا ليعلنوا عن رأيهم فى هذا الحدث الخطير الذى وقع فى اليمن ، وليعلنوا عن سخطهم واستنكارهم لما يقوم به ملوك الرجعية، وأذناب الاستعمار ، والمتعصبون لأرزاق الناس ، والمتهافتون على الجاه والسلطان ٠٠ شعرت أن هؤلاء الافريقيين والاسيويين الذين يعيش أهلوهم على شواطىء البحار وضفاف الأنهار ، وفوق رمال الصحراء ، وفى قلب الغابات والأحراش ، وعلى قمم الجبال وداخل الكهوف، وفى المدن الصاخبة ، وفى الريف الهادىء ، شعرت أن هؤلاء الافريقيين والاسيويين الذين خيل للعالم الغربى أنهم لن يفيقوا من نومهم أو تقوم لهم قائمة ، قد بدأوا يشكلون خطرا بالغا على هذا العالم الغربى ، فقد بدأوا يعلنون السخط عليه وعلى أساليبه فى الحكم، وبدأوا يستنكرون قسوته وجبروته ، ويسخرون من ألاعيبه وحيله ، وبدأوا يقفون له بالمرصاد يعدون عليه حركاته وسكناته ، وينتزعون منه حقوق الانسان وكرامته ، وحريته واستقلاله.

وشعرت وأنا فى دوامة هذا المؤتمر الكبير كأنى أعود بذاكرتى الى الوراء وكأنى أستعرض شريطا سينمائيا عن تاريخ القارتين - افريقيا وآسيا - وخاصة فى السنوات العشر الأخيرة ٠٠ رأيت كيف ظهر التضامن الافريقى الاسيوى قويا واضحا فى مؤتمر باندونج الذى عقد فى ابريل من عام ١٩٥٥ ، وكيف استطاع أقطاب الشعوب الافريقية والاسيوية أن يتقابلوا عن طريقه فى صعيد واحد ليدرسوا الموقف العالمى ، ويتخذوا الخطوات اللازمة والكفيلة بتحقيق السلام والتعايش السلمى ٠٠ لقد كان مجرد انعقاد هذا المؤتمرحدثا تاريخيا وانتصارا عظيما للقارتين ولشعوب الدول التى تضمهما هاتان القارتان اللتان يؤلف سكانهما ثلاثة أخماس العالم ، وتكمن فى مناطقهما مصادر الثروة الطبيعية ، وسجل تاريخهما حضارات البشرية وانتصاراتها وتغنى بها للأجيال جيلا بعد جيل ٠

وتغير المنظر ٠٠ وخيل الى انى أرى على الشريط افريقيا ٠٠ تلك القارة العجيبة ٠٠ القارة السوداء وقد وضحت عليها المعالم والحدود ، وانتشرت على أرضها أنهار من دماء الشهداء ، وارتفع فى سمائها كثير من أعلام الحرية ٠٠ وثبت نظرى على المنظر الجديد لفترة طويلة ، ولم يكن ذلك بعجيب ، فافريقيا هى الأم الأولى للجمهورية العربية المتحدة ٠٠ وشعبنا جزء من شعب هذه القارة الكبيرة الواسعة ٠٠ آمالنا من آماله ، ونضالنا من نضاله ، ومستقبلنا من مستقبله ، وليس فى مقدورنا أن نكون بعيدين عما يقع فيها من أحداث ، وتذكرت الدليل على هذا الترابط القوى ، والمصالح المتشابكة ، والآمال الواحدة فى كتاب « فلسفة الثورة » حيث قال الرئيس جمال عبد الناصر :

« لن نستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعمال افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين ٠٠ لا نستطيع لسبب هام بديهى هو اننا فى افريقيا ٠

« ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله ٠

« ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن المعاونة ، بكل ما نستطيع ، على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء » ٠

وعندما وصلت الى هذا القدر من التذكر ، أدركت السبب فى توجهى بكل فكرى وخيالى الى هذه القارة العجيبة وما مر بها فى السنوات الأخيرة من مظاهر التضامن فى سبيل حياة أفضل ترفرف عليها أعلام الحرية والسلام والرفاهية ٠٠

لقد كانت افريقيا تعرف الى سنوات قليلة ماضية بالقارة المظلمة ، ولم تلحق بها هذه الصفة الا بفعل الاستعمار البغيض الذى أبى الا أن يسدل عليها ستارا كثيفا يحجبها عن العالم ، ويحول بينها وبين الأخذ بأسباب

الحضارة والعلم والمعرفة ، والذى أبى الا أن يجعلها فى معزل عن التطورات التقدمية التى غمرت الشعوب المختلفة فى الغرب والشرق ، وكانت غاية الاستعمار الأولى والأخيرة من هذا كله أن تظل شعوب القارة الافريقية منطوية على نفسها داخل ذلك الاطار البغيض من التأخر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، وتظل خيراتها نهرا فياضا بالخير يستقى منه الاستعمار من غير ما حد أو نهاية .

وكانت هناك انتفاضات قليلة فى بعض البلاد التى شاءت لها أوضاعها الجغرافية والتاريخية أن تكون على صلة بالدول النامية ، وشاءت لها ظروفها أن تتفاعل الى حد ما مع التطورات التقدمية التى غمرت هذه الدول النامية .. وكان الاستعمار يحاول دائما أن يقضى على هذه الانتفاضات وهى لا تزال فى المهد ، أو يدخل معها فى نضال مرير اذا اشتد ساعدها وقويت لكى تبقى له القارة تلك البقرة الحلوب التى تمده بكل ما يحتاج اليه من أسباب الحياة .

تذكرت هذه الصفحات من التاريخ ، وفجأة تذكرت ما حدث فى الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٢ ، وتذكرت ثورة يوليو من ذلك العام على وجه التحديد ، وتذكرت ما تلا ذلك من أحداث ، فقد بدأت القارة الافريقية تشعر أن حدثا عظيما قد وقع ، وأن مرحلة جديدة من مراحل الحياة قد بدأت .. وانها قد عثرت على نقطة التحول ، **وان الاستعمار الذى أضفى على نفسه فى فترة من الزمن هالة من الاكبار والتقديس يمكن أن يتحطم بالارادة القوية .. والعزيمة الصادقة ، والاخلاص فى الجهاد ..** ورأيت الى جانب ما تذكرته كيف أن الشعوب الافريقية التى تريد أن تعيش وان تحيا كما يعيش ويحيا غيرها من الشعوب بدأ بعضها يتصل بالبعض الآخر ، تبحث وتناقش ، وترسم وتخطط .. انها تريد أن تتبين مواقع أقدامها فى النضال ، وتريد أن تأمن عوامل الهزيمة ، وتريد أن تضمن أسباب النجاح والفوز ..

وعاد الشريط يتحرك أمام ناظرى من جديد يعرض على مظاهر الأيدى المتشابكة بين أبناء كل من القارتين الافريقية والاسيوية ، والتضامن القوى فى الدعوة الى الحق ، والى العدالة ، والى الحرية ، والى السلام ، والى الحياة الفاضلة .. ومن العجيب أن الشريط بدأ يتحرك من بدايته ليذكرنى من جديد ، ويعرض هذه المظاهر متتابعة فى حلقة متصلة .

رأيت مؤتمر باندونج الذى خرجت به بلاد القارتين من السلبية ، بل التبعية التى رانت عليها دهرا طويلا ، وصممت على أن تقرر مصائرها بأيديها ، وأن لا تدعها فى أيدى غيرها تتجاذبها ذات اليمين وذات الشمال ، وصحت عزيمتها على حمل نصيبها فى خدمة التقدم الانسانى والسلام العالمى بعزم واخلاص .. ورأيت مؤتمر الشعوب الاسيوية الافريقية الذى عقد فى الفترة من ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ الى أول يناير ١٩٥٨ لبحث المسائل الدولية عامة، والعناية بالقضايا التى تهم الشعوب الاسيوية الافريقية خاصة ، وهنا يجب أن نشير الى مسائل ثلاث من بين المسائل الكثيرة التى ناقشها المؤتمر : الأولى تأييد المؤتمر للمبادىء العشرة التى نالت دائما تأييد الشعوب فى القارتين ، والثانية ذلك النداء الذى وجهه المؤتمر للضمير العالمى بوجه عام ، والى علماء العالم بوجه خاص موضحا فيه خطر استعمال الأسلحة النووية ، والثالثة تأييد المؤتمر لنضال الشعب اليمنى ومطالبه فى الشمال والجنوب ، وتذكرت المؤتمر الذى عقد فى مدينة اكرا فى منتصف ابريل من عام ١٩٥٨ وحضره ممثلون لدول ثمانية اتخذوا فيه عدة قرارات هامة يمكن أن نلخصها فى تحريم التفرقة العنصرية .. واعتبار الاستعمار فى أى صورة من صوره تهديدا للأمن الداخلى لدول افريقيا ، والسلام فى أنحاء العالم ، وتحريم استخدام القوات العسكرية ضد الشعوب المنزوعة السلاح ، واصرار الدول الافريقية على حماية الاستقلال والسيادة وتحرير شعوب المؤتمر غير المستقلة ..

وتذكرت المؤتمر الذى عقد فى القاهرة فى فبراير من عام ١٩٥٩ للشباب الافـــريقى الاسيوى والذى يعتبر من ابرز الاحداث التى وقعت فى ذلك العام ، والذى قرر – باسم سعادة ورفاهية اهل افريقيا ٠٠ وباسم السلام ان يتبع شباب القارتين سياسة خارجيـة مشتركة فى المحافل الدولية للعمل فيما من شأنه رفع نير الظلم عن افريقيـا واسيا ، وتحقيق أمانى شعوبها فى الحرية والاستقلال ٠٠ وتذكرت مؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية الذى عقد فى مدينة كوناكرى وأكد الايمان بالمبادىء التى اعلنت فى مؤتمر باندونج وهنا يجب أن نشير الى ما اتخذه المؤتمر بشأن اليمن ، فقد ندد بانشاء قواعد عسكرية عدوانية بريطانية فوق ارض اليمن ، وطالب بتصفية هذه القواعد فورا ، وأيد شعب اليمن فى كفاحه من أجل حريته ووحدته وسيادته الوطنيـة ، وكرر المطالبة بانسحاب القوات البريطانيـة انسحابا كاملا وفورا من جميع الأراضى المحتلة فى اليمن ، والغاء الاتحاد المصطنع او اى شكل آخر جديد من أشكال الامبريالية يقيمه الانجليز فى جنوب اليمن ٠٠ وتذكرت مؤتمر الـدار البيضاء الذى عقد فى يناير عـــام ١٩٦١ ، ومؤتمر اقطاب الدار البيضاء الذى عقدوه وهم فى طريقهم الى مؤتمر عدم الانحياز ببلغراد فى اغسطس من نفس العام ، ومؤتمر رؤسـاء دول ميثاق الدار البيضاء الذى عقد فى القاهرة فى ١٥ من يونيو عام ١٩٦٢ ٠٠

صفحات من التـاريخ ومظاهر التضامن أثارها المؤتمر الذى دعا اليه المجلس الأعـلى للشئون الاسلامية لتأييد ثورة اليمن ٠٠ وانها لصفحات مشرقة وضاءة تبين بوضوح وجـلاء مدى انتفاضة القارتين ، أو صحوة المـاردين الجبارين ، ثم مدى تضـامن شعوب كل من القارتين لتحقيق الأمانى المشتركة فى الحرية والسلام والرخاء ، ويكفى أن نشير هنـا الى قول نهرو وهو يصف هذه الحقيقة :

« ان الحقيقة هى أن آسيا وافريقيـا قد تخلفنا فى السباق ٠٠ السباق العالمى ، ولكن الفرصة قد أتيحت لهما للانطـلاق واسترداد الأرض المفقودة ٠٠ ان علينا أن نعـوض ما فقدناه ٠٠ وأن نعوض بسرعة بسبب الأحداث القاهرة ٠٠ ان زمام الاختيار لم يعد فى أيدينا وانما فى يد الأحداث الخطيرة ، فاذا نحن لم نصمد لها فسوف نتلاشى أو نبقى كما نحـن دون أن ننهض مرة أخرى لأجيال جديدة ٠

« اننا مصممون فى هذه المرحلة الجديدة من حياة آسيا وافريقيا أن نمضى فى سـبيلنا الى الأمام ٠٠ اننا مصممون تصميما قاطعا على أن لا نقع بأى صورة فى براثن استعمار أية دولة أو قارة أخرى – اننا مصممون على النهـوض مرة أخرى الى ذروة امكانياتنا ٠٠ لقد آن لنـا أن نشيع السعادة والرخاء بين شعوبنا ، وأن نلقى وراء ظهورنا بالأغلال البالية التى تكبل خطواتنا ٠٠ ولا أعنى الأغـلال السياسية فحسب ، وانما الاقتصادية أيضا ٠

وبعد ٠٠

فمن الواجب علينا فى هـذه المرحلة من صحوة القارتين أن نذكر أن الجمهورية العربية المتحدة هى فى الواقع محط أنظار العـالم الاسلامى كله ، بل والمسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ويجب أن نذكر أن افريقيا وآسيا تزدحمان بأعداد ضخمة من المسلمين فى حاجة الى معرفة الدين على حقيقته ، وتفهم أصوله ، والتعرف على أحكامه ٠٠ ان هـذا الدين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدعو الى الحرية ٠٠ حرية الفرد وحرية الجماعة ٠٠ ويدعو الى العدل والاخاء ، ويدعو الى المساواة والبر ، ويدعو الى العزة والكرامة ، وليس من شك فى أن هذه الأعداد الضخمة من المسلمين متى عرفت هذا كله واستوعبته ،كانت كالسيل المنهمر فى تخطى العقبات والوصول الى الغاية ٠٠ وفى أعناقنا ، وفى أعناق المجلس الأعلى للشئون الاسلامية واجبات ضخمة كذلك نحو هؤلاء المسلمين نرجو أن نحملهـا فى أمانة ، ونقدر على أدائها فى صدق ٠٠

والله ولى التوفيق ٠٠

ممالك إسلامية قديمة

السعديون

الأستاذ عبده بدوى

تمثل الدولة السعدية بالمغرب (١٥٤٩ - ١٦٥٤) نقطة الاحتكاك الحادة بين المغرب والنفوذ الخارجي ، وكيف كانت المقاومة فى هذه الفترة تتحرك باسم الدين ، وتحقق المكاسب تحت رايته .

وقد دفعت الأحداث هذه الدولة دفعا الى أن تقف هذا الموقف ، والى أن تتزود بشحنة ضخمة من النضال حتى تقاوم الضغوط الخارجية ، والتخريبات الداخلية فترة كبيرة من الزمن ..

فالتاريخ قد دفع هذه الدولة الى الظهور على أنقاض الدولة « الوطاسية » التى جاءت هى الأخرى على بقايا الدولة « المرينية » ، ولكنها - أى الدولة الوطاسية - لم تستطع التألق فترة كبيرة من الزمن ، لأنه لم يكن أمامها هدف تسعى الى تحقيقه ، أو نظرية تحاول أن تحكم باسمها ، أو غرض يمكن أن تجمع الناس من حوله ، ومن هنا كان غروبها السريع ، وكان أن تلفت الناس حولهم ، فاذا « بالفراغ السياسى » ينتشر على كافة رقعة المغرب ، وكانوا فى الوقت نفسه يعلمون أن هناك أكثر من قوة تتهددهم ، وأن هذه القوى ليست بعيدة عنهم .

ولما كان لا بد من « حتمية » وجود الحاكم عملا بمفاهيم هذا العصر ، ولا بد أن يكون متصلا بأحد البيوت الاسلامية التى تتوارث الحكم فى ضوء تقاليد المنطقة .. فانا نراهم يلتفون حول « أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله » والذى ينتهى نسبه الى الامام على ، ونرى عملية الالتفاف هذه تبدأ من أقليم « السوس » ، ثم تنتشر حتى تغطى أجزاء كبيرة من المغرب ، وقد أفلح قادة هذه الدولة فى أول الأمر حين ارتفعوا عن الصغائر ، وانتهاز الفرص فى الوثوب على الحكم ، ذلك لأنا نراهم يجمعون الشعب حول هدف محدد ، وهو أن الاسلام فى بلادهم فى خطر ، وأن وطنهم لم يعد أرضا وسماء ، وما بين الأرض والسماء من رزق ، وانما

قد غدا « الاسلام » نفسه ، وأن الجهاد قد أصبح واجبا مقدسا على المسلمين .

وقد تلقف هذه الدعوة تلك الأمواج البشرية التى وهبت نفسها للدفاع عن الاسلام ، وأقامت فى « الرباطات » التى تستقر فى غالب الأمر عند الثغور ، وعلى المناطق المهددة بالغزو من الخارج .

ولقد كانت الدولة مهددة حقا بالزحوف البرتغالية ، بل ان البرتغاليين كانوا قد تمكنوا من وضع يدهم على نقط ارتكاز فى البلاد ، ولكن عملية الهجوم المركز قد استطاعت اخراجهم من حصن « فونتى » ثم من حصن « أسفى » ، كما استطاعوا فى الوقت نفسه رد غارات الأسبانيين المتكررة ، ورد محاولات الدولة « الوطاسية » الى الظهور مرة بعد أخرى ، وقد نجح السعديون فى اخماد هذه الحركات الداخلية التى كانت تشب بين الحين والآخر من بقايا الوطاسيين .

على أن الأمر لايقف عند حد الأسبانيين والبرتغاليين والوطاسيين ، وانما نرى عدوا آخر تحتك به الدولة السعدية ، وهو الاتراك الذين تقدموا الى المغرب الأوسط (الجزائر) واستطاعوا احتلالها ، فقد عز على هذه الدولة أن يتقدم الاتراك الى حدودها ، ولذا نراها تسير بقواها الى « تلمسان » وتخرجهم منها ، ولكن الأتراك يعودون الى انتزاعها ، والتقدم الى « فاس » ، ومع أنهم أحتلوها فعلا ، الا أن الدولة السعدية استطاعت انتزاعها منهم ثانية .

على أن الدور العظيم لهذه الدولة لا يقف عند حد التصدى للقوى البرتغالية والاسبانية والتركية ، وعند حد تصفية الجيوب الوطاسية ، وانما يتعداها الى دور آخر كبير هو تحطيم الحزام الصحراوى ، والتغلغل فى البلاد الأفريقية ، والوصول الى منحنى نهر النيجر ، ووضع يدها على مملكة « صنغاى » فى « جوا » .

فقد كان فى ذهن هذه الدولة أن تتحرك فى هذه المرة بدافع اقتصادى ، ذلك لأن الاسلام كان قد عبد الطريق أمامها ، ودخل فى قلوب الناس ، وسلوكهم ، وأصبح نظاما لهم فى الحياة . ففد فكرت هذه الدولة هذه المرة جديا فى وضع خيوط التجارة فى يدها فى المناطق الافريقية ، وفى وضع يدها على مناجم الملح فى « تفزه » ، وعلى مناجم الذهب المنتشرة هناك ، وقد ألقت الحملة المسلحة المتوجهة الى الجنوب الرعب فى قلوب كثير من الدول المعاصرة لها ، حتى أنا نرى سلطان « برنو » يسارع فيقدم الهدايا الى السلطان السعدى ، ويعلن دخوله فى بيته .

وقد ظلت الحملة تتغلغل ابتداء من عام ١٥٩٠ حتى وصلت الى « تمبكتو » والى «كاغو» .. وقد كان استسلام « اسكيامن » سلطان كاغو داعيا للشاعر « أبو الفارس القشتالى » أن يؤرخ لهذه الفترة فيقول مخاطبا السلطان المنصور .

جيش الصباح على الدجى متدفق
فبياض ذا لسواد ذلك يمحق
وكأنه رايات عسكرك التى
طلعت على السودان بيضا تخفق
نشرت لتطوى منه ليلا دامسا
أضحى بسيفك ذى الفقار يمزق
أرسلتهن جوائحا وجوارحا
فى كل مخلبها غراب ينعق
سحقا « لاسحق » الشقى وحزبه
فلقد غدا بالسيف وهو مطوق
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه
من جيش جؤذرك الغضنفر فيلق
جيش أواخره ببابك سيله
عرم ، وأوله « بكاغو » محدق

ومهما يكن من شىء فان الجانب الاقتصادى لم يتحقق لهذه الحملة التى أرهقت البلاد ، فقد غادرت البلاد وعددها أربعة آلاف ، ثم بلغت التعزيزات بين عامى ١٥٩٠ - ١٦١٨ م . الى ما يقرب من ثلاثة وعشرين ألف جندى ، فقد وجدوا أنفسهم عاجزين عن استغلال المناجم ، ووقعت بينهم الخلافات ، وانحسر نفوذهم فى مناطق

جوا ، وتمبكتو ، وجنى ، ثم ظل ينحسر حتى أصبحوا أقلية مهزومة تؤدى الضرائب للحكام المحليين ، وقد كان يمكن لهذه الحملة ، ومن ورائها الدولة السعدية أن تحتفظ لأفريقيا بثرواتها وحريتها ، لو كانت تملك العلم والنظام والاحساس بعضوية القارة ، ذلك لأنها كانت تغطى مساحة كبيرة من أفريقية ، فى الوقت الذى كانت فيه قوافل الافريقيين قد بدأت تطرق سواحل أفريقية الغربية ، ثم تأخذ فى الانتشار بحثا عن الذهب .

وفى الواقع لقد أصبحت الدولة فى هذه الفترة مهلهلة تماما . ذلك لأن الوطاسيين كانوا يرهقونها ، ثم تنبهت الأسرة الى أن من حق كل واحد أن يتولى الحكم ، فقد خرج الامير أبو عبد الله .. على أخيه السلطان « أبو الياس » ودخلا فى معارك طاحنة أرهقت الدولة ، وخرج على السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل اثنان من أعمامه وذهب بهما الحال الى الاستعانة بالأتراك على السلطان « أبو عبد الله محمد المتوكل » ، الذى ما كاد ينهزم هو الآخر أمامهما حتى استعان بملك البرتغال لاستعادة ملكه .

ثم ماكادت تهدأ البلاد فى عهد « المنصور » حتى ثار عليه « الناصر بن الغالب بالله » ، وحين هزمه المنصور ، نراه يفر الى أسبانيا مستنجدا بملكها ، ثم نرى ابن « المنصور » نفسه يخرج عليه ، ويسير ليستعدى الأتراك على والده ، وقد رأينا فى هذه الفترة العصيبة الامير « محمد الشيخ » يفر الى أسبانيا ، ويستعدى ملكها على السلطان الحاكم ، فاذا بفيليب الثالث يطلب منه ثمنا لنجدته أن ينزل له على « ثغر العرائش » واذا به يقبل ، وينفذ هذا الشرط فى طريق عودته .

وقد سارت الأسرة الحاكمة فى هذا الطريق الخاطىء ، وكان الشعب يكاد يكون معزولا عن هذه الأحداث رغم ضيقه بها ، الا أن الجديد فى هذه الفترة المتأخرة هو الموت بالسم ، ومن هؤلاء الذين ماتوا به « محمد الشيخ » بعد أن سلم العرائش للأسبانيين ، ثم دخلت قوة أخرى الى ميدان السياسة وهى قوة المماليك الذين كانوا قد كثروا فى محيط الأسرة الحاكمة ، ومن ثم أصبحوا قوة تستطيع أن تملى رغبتها فى تعيين السلاطين .

كل هذا الى جانب الصراع الخارجى ، الذى كان يتمثل في البرتغاليين ، والأسبانيين ، والأتراك ، والأوروبيين الذين بدأوا الزحف من الغرب الأفريقى ، فاذا أضفنا الى ذلك ضياع « الهدف » الذى كانت تلتف حوله الدولة ، وجدنا أن هذه الدولة قد أخذت تغيب تماما ، ورغم أن « الشبانات » أخوال آخر سلطان لهذه الدولة حاولوا منع هذا الغروب لفترة وجيزة ، الا أن شمس هذه الدولة كانت تسقط تماما ، لتشرق من جديد على وجه دولة جديدة هى دولة الاشراف العلوية الفيلالية .

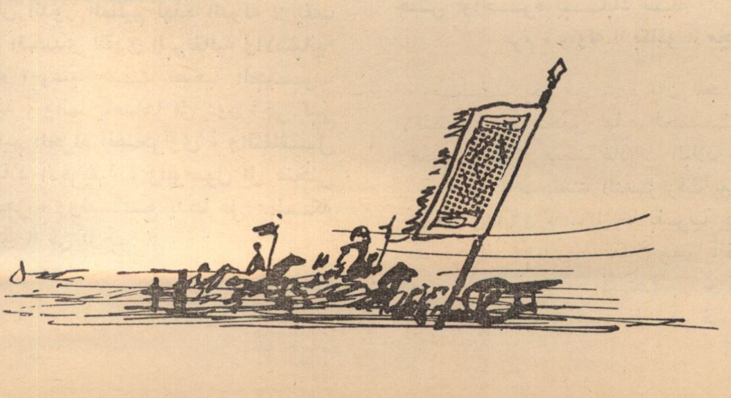

دراسات في التاريخ الإسلامي

الدور المدنى في حياة الرسول

١- عمرة القضاء
٢- غزوة مؤتة

الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف

١

استدار العام من الحديبية ، وأصبح محمد وأصحابه فى حل ، بعهدهم مع قريش ، من الدخول فى مكة ومن زيارة الكعبة ، لذلك أذن الرسول فى الناس لكى يتجهزوا للخروج الى عمرة القضاء بعد أن منعوا منها فى العام السابق ،

ولم يدع محمد الأعراب من غير المسلمين لمشاركته فى هذه المرة ، فانما دعاهم فى العام السابق بضرورة هو ليس فى حاجة اليها فى هذا العام . وأقبل المسلمون يلبون هذا النداء مستبشرين فرحين ، ومنهم المهاجرون الذين تركوا مكة منذ سبع سنوات ، وبهم اليها حنين أى حنين ، زاده المنع فى عام الحديبية اضطراما فى النفوس واعتلاجا فى الصدور ، ومنهم الأنصار الذين كانت لهم من قبل مع مكة صلات من صهر ومن تجارة ، ولهم الى زيارة البيت الحرام هوى ، لذلك ازداد ركب النبى فى هذا العام فبلغ الألفين بعد أن كان فى العام السابق ألف وأربعمائة . وتنفيذا لصلح الحديبية لم يحمل أحد من هؤلاء الرجال سلاحا الا مايحمل المسافر من سيف فى قرابه . لكن محمدا كان حذرا دائما وكان على استعداد لردالغادرين اذا حدث غدر ، فجهز مائة فارس جعل على قيادتهم محمد بن مسلمة الأنصارى ، وهو رجل محارب فذ ، اشتهر بصدق الايمان والتمسك بتنفيذ الأوامر كما تلقى اليه ، وبعثهم طليعة له على ألا يتخطوا حرم مكة ، وأن ينحدروا اذا هم بلغوا الظهران على بعد خمسة أميال من مكة ، الى وادقريب منها ، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد لتلبية النداء اذا حدث مايوجب تدخلهم . وساق المسلمون الهدى أمامهم ستين ناقة ، وتقدمهم محمد على ناقته القصواء ، والمسلمون خلفه يحدوهم الى أم القرى شغف أى شغف !

وعرفت قريش بمقدم المسلمين ، فجلت عن مكة ، نزولا على صلح الحديبية ، وصعدت فى التلال المجاورة لها حيث ضربت الخيام وحيث آوى من آوى منهم الى فىء الشجر · ومن فوق جبال مكة ومن فوق كل مرتفع يطل على البلد الحرام ، وقف هؤلاء المكيون يطلون على ذلك الطريد الذى خرج من هذا البلد منذ سبعة أعوام يلوذ بنفسه كل ملاذ هاربا من مطارديه الذين ينقبون عنه فجاج الأرض يطلبون دمه ، والى من معه من المسلمين الذين صدموهم أى صدام ومرغوا رؤوس زعمائهم على أديم الأرض فى بدر ، والذين أرغموا الجباه التى أبت أن تسجد لله أن تتعفر مضرجة بدمائها على أرض الله ، والذين صمدوا لهم من بعد بدر فى أحدوفى الخندق وفى كل المشاهد حتى سجلوا هذا النصر الذى آتى ثماره طيبة فى هذا اليوم ·

وانحدر المسلمون من شمال مكة وقد أخذ عبد الله بن رواحة بخطام القصواء وأحاط كبار الصحابة — بالنبى عليه السلام — ، وسارت الصفوف من خلفهم مابين راجل وراكب ، فلما وقعت عيونهم على البيت الحرام دوى نداؤهم يهز أركان البلد الحرام ، ويملأ أجواز الفضاء ، ويصك كهزيم الرعد آذان أولئك المطلين المشدوهين ، « لبيك اللهم لبيك » متوجهين بالقلوب والأرواح الى وجه الله ذى الجلال ، محيطين فى هالة من رجاء واكبار بهذا الرسول الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون · انه لمشهد فذ رائع حقا ، لايملك أحد نفسه أمامه ولا يقوى أقسى القلوب وأشدها عنادا الا أن يتأثر بــه وينجذب له ، وعلى هذا المشهد كانت تقع عيون أهل مكة ، فاهتزت له القلوب وخشعت له الأبصار على رغم عناد المعاندين واصرار المكابرين

وليتم النبى هذا الأثر وليؤكد قوته فى قلوب المكيين ، لف النبى ازاره وأخرج عضده الأيمن ، ثم قال « **اللهم ارحم امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة** » ثم استلم الركن عند الحجر الأسود وهرول ، وهرول معه أصحابه ، فلما استلم الركن اليمانى مشى حتى استلم الحجر الأسود مهرولا من جديد ثلاثة أطواف ، ثم مشى سائر مرات الطواف السبعة والألفان من المسلمين يهرولون كلما هرول ويمشون كلما مشى · وقريش تنظر من مراقبها وقد أخذها البهر ، وتشهد أنها — وقد كانت تحدث عن محمد وأصحابه أنهم فى عسرة وشدة وضعف — قد رأت مايمحو من نفوسها كل وهم بوهن محمد وأصحابه ، وفى حماسة هذه الساعة قذف المسلمون فى وجه قريش بهذا النداء الذى يؤكد وحدانية الله ونصرة عبده واعزازه جنده وهزيمته أحزاب أعدائه وحده ·

« **لا اله الا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده** »

فتجاوبت بهذا النداء جنبات الوادى وارتفعت رهبته الى قلوب الذين تسنموا الجبال حوله ·

ولما أتم النبى طوافه بالكعبة انتقل الى الصفا والمروة فسعى بينهما سبعا كما كان يفعل العرب من قبل ، ثم نحر هديه عند المروة وحلق رأسه وأتم بذلك فرائض العمرة · ولما كان الغد دخل النبى الى الكعبة ، وبقى بها الى صلاة الظهر ، ومع أن الأصنام كانت تعمرها ، فان بلالا صعد فوق سطحها وأذن لصلاة الظهر عندها ، وصلى النبى يومئذ بألفين من المسلمين صلاة الاسلام عند البيت الذى كان يصد منذ سبع سنين عن الصلاة عنده ·

وبقى المسلمون فى مكة ثلاثة أيام يجوسون خلالها ، ويمشون فى طرقاتها ودروبها ، والمهاجرون يزورون بيوتهم التى هجروها ويزيرونها اخوانهم الأنصار من أهل يثرب وكأنما البلد الحرام بلدهم جميعا لايشاركهم فيها أحد ولا يخيفهم فيها عدو

« **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** »

والنبى بين أصحابه أبا رحيما وأخا كريما يواسى هذا ويمازح ذاك ولا يقول فى كل ذلك الا حقا ، والمسلمون من حوله اخوة يتعاطفون ويتراحمون لايتحاسدون ولا يتباغضون ، يعين قويهم ضعيفهم ، ويبر غنيهم فقيرهم ، لا غرور

ولا فجور ، جماعة مثالية فى خلقها وفى ترابطها لاتفتنهم أعراض الحياة ولا تتنازع نفوسهم نزوات المادة ، هم فى حياتهم ونظامهم وترابطهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، يسير علينا أن نقدر ماكان لهذه المشاهد من أثر فى نفوس أهل مكة حين نعلم أن محمدا قد عاد بعد ذلك بشهور ففتح مكة على رأس عشرة آلاف من المسلمين .

كانت ميمونة بنت الحارث الهلالية ، أخت أم الفضل زوجة العباس ، وخالة خالد بن الوليد، قد وكلت أمر زواجها الى أختها أم الفضل ، ووكلت أم الفضل هذا الأمر لزوجها العباس ، قد هوت نفسها الى الاسلام بعد ما رأت من أمر المسلمين ، فخاطب العباس النبى فى أمرها وعرض عليه أن يتزوجها ، فقبل - صلى الله عليه وسلم - وأصدقها أربعمائة درهم ، وأراد أن يتخذ من زواجه منها فرصة للتقرب من قريش ، فلما جاءه سهيل بن عمرو يطلب اليه أن يرحل عن مكة بعد انقضاء الأيام الثلاثة المشروطة ، قال له « ماعليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه » وكان النبى يعلم ماتركت عمرة القضاء من أثر فى نفوس قريش ، وكيف سحرتهم وسكنت من خصومتهم ، ويعلم أنهم لو حضروا طعامه وتحدث اليهم وتحدثوا اليه فتحت مكة له أبوابها طائعة . وهذا ماأدركه سهيل ، لذلك كان جوابه « لاحاجة بنا الى طعامك فاخرج عنا » ولم يتردد النبى فى اجابته الى ماطلب ، فقد كان دائما وفيا بوعده حريصا على تنفيذ عهده ، فأذن فى المسلمين بالرحيل ، وخرج وخرج المسلمون معه ، وهو واثق كل الثقة أن عمرة القضاء أحدثت فى نفوس قريش آثارا خطيرة .

وقد صدق تقدير النبى ، فانه ماكاد يصل الى المدينة ، حتى وقف خالد بن الوليد فارس قريش وبطلها يوم أحد يقول فى جمع منها « لقد استبان لكل ذى عقل أن محمدا ليس بساحر ولا شاعر ، وأن كلامه من كلام رب العالمين ، فحق على كل ذى لب أن يتبعه » . وأعلن اسلامه وبعث الى النبى بهدية وبعث اليه باقراره بالاسلام . ولم ينفرد خالد بهذا الرأى بل انه رأى ارتآه كل عاقل وكل مقدر للظروف من قريش وانما سبق باعلانه خالد لما فطر عليه من صراحة وقوة ، وأعانه على الجهر به شبابه وقوته وشجاعته ، وبصره كقائد بمواطن الضعف والقوة .

ولم يستطع رجال قريش أن يحولوا بين خالد والاسلام والا وقع ماكانوا يحذرون وأعلن كل ذى رأى عن رأيه فى الاسلام ، وقريش كما قال عكرمة بن أبى جهل لأبى سفيان « أنتم تقتلون خالدا على رأى رآه وهذه قريش كلها تبايعت عليه . ولقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم » . وأسلم بعد خالد عمرو ابن العاص ، وحارس الكعبة عثمان بن طلحة ، وأسلم باسلام هؤلاء كثير من أهل مكة . وبذلك قويت شوكة الاسلام ، وأصبح فتح مكة أبوابها لمحمد أمرا لاريب فيه .

(٢)

لم يكن محمد يستعجل فتح مكة ، وهو يعلم أن الزمن فى صفه ، بل تركها حتى تصفى المقاومة فيها نفسها بنفسها ، حتى اذا حان الوقت المناسب دخلها بدون مقاومة ، فهو يريد أن يحفظ على البلد الحرام حرمته ، ويصون مكانته ويريد أن ينتفع بقوى هذه القبيلة الغنية برجالها الأفذاذ سليمة لتسهم بامكانياتها العظيمة فى بناء الصرح الجديد الذى يريد الله أن يقيمه أمة فاضلة تجمع الناس جميعا على الهدى والخير ، والذى أراد له العرب نواة صالحة وأمة وسطا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

لذلك ذهب محمد الى المدينة فأقام بها بضعة أشهر لم تقع فى خلالها الا مناوشات صغيرة ، كارسال خمسين رجلا الى بنى سليم يدعونهم الى الاسلام وغدر بنى سليم بهم وقتلهم جميعا بغيا بغير حق ، ولم ينج الا رئيسهم بمحض الصدفة . وكغزوه جماعات من الأعراب لغدرهم أو لتحرشهم والظفر بهم . وكارساله خمسة عشر رجلا الى ذات الطلح على حدود الشام يدعون الى الاسلام ، فكان جزاؤهم القتل جميعا الا رئيسهم .

وكانت ناحية الشام وهذه الجهات الشمالية متجه أنظار النبى بعد أمن الجنوب بعهده مع

قريش ، وباسلام باذان عامل الفرس على اليمن ٠ وقد استطاع النبى بعد غزوة خيبر واخضاع يهود وادى القرى وتيماء أن يمد نفوذه نحوالشمال ، وكان يرى أن هذه الجهة المتاخمة لحدود دولته هى المنفذ الطبيعى لانتشار الدعوة الى الاسلام اذا أريد خروجها عن حدود الجزيرة العربية ، فالارتباط بين هذه الجهة والجزيرة ارتباط طبيعى وقديم ، وبها من العرب مايقتضى توحيد العرب جميعا ضمهم الى الدولة العربية وادخالهم فى نطاقها ٠ والغساسنة أمراء العرب وان كانوا قد قاتلوا فى صفوف الروم وان كانوا قد خضعوا لهم فان هذا الخضوع ليس لمصلحة العرب وانما هو لمصلحة الروم فى المقام الأول ، ولقد بدا ذلك واضحا حين غير الروم سياستهم نحو هذه المملكة العربية حين لم يعودوا فى حاجة شديدة الى خدماتها ، واذا كان أمراء الغساسنة يصانعون الروم لمصلحتهم كأمراء فانه يجب التفرقة بين مصالح الأمراء ومصالح الشعوب اذا فضل الأمراء مصالحهم ، ولقد أظهر الحارث الغسانى من الحماس مالم يظهره هرقل حين أرسل النبى كتابه اليه ، كما أن الروم قتلوا الأمير الغسانى الذى أسلم ، لذلك رأى النبى أن يؤدب من غدر بدعاته وفى الوقت نفسه يشعر العرب فى هذه الجهات بقوة المسلمين قوة تحفزهم على الانضمام اليهم بدافع العروبة ، فجهز حملة من ثلاثة آلاف مقاتل على رأسهم مولاه زيد بن حارثة فان قتل فالقيادة لجعفر بن أبى طالب فان قتل فعبد الله ابن رواحة الأنصارى وخرج فى الجيش خالد بن الوليد متطوعا ، وسارت الحملة الى غايتها على حدود الشام ، وقد خرج الناس يودعون الجيش ومشى النبى نفسه معه حتى ظاهر المدينة يوصى قواده ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا ولا الصبيان ، وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار ٠

وكانت خطة الجيش أن يأخذ الأعداء على غرة ، لكن أنباء مسيرة كانت قد سبقته ، فقام عمال هرقل بجمع القبائل للتصدى للمسلمين ، وأمدهم هرقل بقوات من عنده ، وتذهب بعض الروايات الى أنه تقدم بقواته التى يبلغ عددها مائة ألف من الروم حتى نزل مآب من أرض البلقاء ليكون قريبا من جيوش أمرائه ليمدها بالمعونة اذا لزم الأمر ٠ وتقدر المصادر العربية قوة الجيوش التى اشتبكت مع المسلمين بمائة ألف أو بمائتى ألف ، وهذا رقم كبير ، لايمكن الموافقة عليه ، وكل مايمكن تصوره أن قوة العدو كانت أكبر من قوة المسلمين أو أنها كانت أضعافها ، فان الحملة الاسلامية كانت مكونة من ثلاثة آلاف وأن أنباء مسيرها كانت معروفة فلا يمكن أن يوجه اليها الروم مثل هذا العدد الحاشد من الجيوش ، على أن هذه الأعداد الضخمة لم تستخدمها بيزنطة فى قتالها مع الفرس وهم أقوى من العرب والصراع معهم كان صراعا كبيرا وخطيرا ، ولم يستخدم الروم هذه الأعداد الا فيما بعد ، عندما اشتبكوا مع الدولة الاسلامية اشتباكا حقيقيا خطيرا ٠ ثم ان عدد قتلى المسلمين كان قليلا مما يظهر عدم كبر قوة العدو ٠

على كل حال تقدم الجيش الاسلامى حتى بلغ معان وهناك علم المسلمون بجموع العرب والروم لهم ، فترددوا فى الاقدام أو الانتظار حتى يكتبوا الى النبى فاما أن يمدهم بالرجال واما أن يأمرهم بأمره فيمضون له ، وكاد هذا الرأى يسود لولا أن تقدم عبد الله بن رواحة وكان الى جانب شجاعته وفروسيته شاعر ، فقال : ياقوم : والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة ٠ وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور ، واما شهادة ٠

وامتدت عدوى النخوة من الشاعر المؤمن الشجاع الى الجيش كله ، فقال الناس صدق ابن رواحة ٠ ومضوا ٠ حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع العرب والروم بقرية يقال لها مشارف ، فلما دنا العدو انحاز المسلمون الى قرية مؤتة لأنهم رأوها خيرا من مشارف لحصانتها ، وعند مؤتة حدثت المعركة التى أبدى فيها المسلمون غاية الشجاعة ٠

ما من شك فى أن قوة العدو كانت أضخم كثيرا من قوة الجيش الاسلامى ، وان لم تبلغ العدد الذى ذكره الاخباريون ، وكان التكافؤ منعدما بين القوتين من حيث العدد ومن حيث

عدة الضرب ، ومع ذلك فقد أبدى المسلمون من الشجاعة وقوة الايمان ما أذهل العدو نفسه وحال بينه وبين الالتفاف بالمسلمين وسحقهم، والا فأين يقع ثلاثة آلاف من الخمسين ألفا أو الستين او حتى العشرين والثلاثين ٠

حمل زيد براية النبى حملة صادقة واندفع فى صدر العدو ، وهو موقن بأن ليس من موته مفر ، ولكنه موقن بأن الموت هو الشهادة فى سبيل الله ، وأن الشهادة هى الجنة ، وليس الاستشهاد دخول الجنة دون الظفر والنصر مكانا ، وحارب زيد حرب المستميت حتى مزقته رماح الاعداء ، فتناول الراية جعفر بن أبى طالب ، وهو فتى فى الثالثة والثلاثين ، تعدل وسامته شجاعته ، واندفع فى غمار العدو ، حتى اذا أحيط به نزل عن فرسه فعقرها وقاتل راجلا يطيح سيفه برأس كل من يلقاه ، ولكن للشجاعة مهما عظمت حدودا بالنسبة للكثرة الساحقة ، وخر جعفر بعد أن قطعت يداه وقد نصفين دون أن يسلم الراية ، فتناولها عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال

أقسمت يانفس لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه
مالى أراك تكرهين الجنة

ثم نزل فتقدم فقاتل فقتل ٠

ثم تناول الراية ثابت بن أرقم الأنصارى فقال يامعشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ٠ قالوا : أنت قال : ماأنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ٠ فأخذ الراية خالد وكان الموقف يحتاج حقا الى مواقف خالدية ٠ لقد كان خالد قائدا ماهرا ومحركا للجيوش لانظير له ، ألهم القيادة الهاما ، فهو يستعين فى مواقفها بكل ماعرفت الحرب من فن ، يستخدمه على السليقة وعلى البصيرة الملهمة ٠ فدار بالجيش دورة ضم بها صفوفه ، ثم قاتل به فى غير اندفاع ومع ذلك فى غير تراجع ، وكان بذاته قدوة صالحة وقوة ساحقة ، حتى لقد تكسر فى يده تسعة سيوف ، ومع ذلك لم يعرض رجاله لرماح العدو ولا لسيوفه تحيط بهم وتعمل فيهم ، واستطاع أن يحتفظ بتوازن المعركة حتى جاء الليل ٠ وفى الصباح عدل جيشه تعديلا جديدا ، فجعل الميمنة ميسرة وجعل الميسرة ميمنة ، وجعل المقدمة ساقة ، والساقة مقدمة ووضع فى خلف الجيش عددا من الرجال بالجمال والخيل يحدثون جلبة شديدة ويثيرون النقع ليوهم العدو أن مددا قد جاءه ٠ وأصبح الروم على تعبئتهم السابقة يرون وجوها غير الوجوه ، ويرون خلف الجيش الاسلامى نقعا ينبىء عن مدد جديد سوف يدخل المعركة ٠ واذا كان المسلمون على قلتهم قد فعلوا مافعلوا بالأمس ، فكيف هم اليوم وقد جاءهم المدد وازداد العدد ٠ لقد أحجم الروم عن الهجوم وكذلك لم يهاجمهم خالد فقد كان يريد أن يخرج من المعركة غير المتكافئة بجيشه سليما ، ويرعب العدو حتى لايلاحقه فى تراجعه ، فلما اطمأن الى نجاح خطته تراجع بقواته وبعد بها حتى صارت فى مأمن ، ثم عاد بالجيش سليما الى المدينة ٠

استنكر المسلمون على الجيش أن يعود من غير أن ينتصر ، وعيروا رجاله حتى أحرجوا بعضهم ، وقالوا لهم : يافرار ٠ فررتم فى سبيل الله ! ولكن النبى القائد البصير الذى يدرك معنى النصر الحقيقى ، واسى الجيش ورد تعيير المسلمين وقال « **بل هم الكرار ان شاء الله** ٠ ومع ذلك فقد وجد على أصحابه أشد الوجد ٠ وكان عليه أن يعيد للمسلمين كرامتهم فى هذه البلاد ، فبعث عمرا بن العاص الى قبائل الشمال يستنفرها الى الشام وذلك ان أمه كانت من قبائل تلك النواحى فكان من اليسير عليه أن يتألفهم ، ثم أتبعه النبى بالمدد فيه كبار المهاجرين عليهم أبو عبيدة ومعه أبو بكر وعمر، واستطاع عمرو أن يشتت جموع أهل الشام ويرد للمسلمين هيبتهم فى تلك الناحية .

أحدثت كل هذه الأعمال أثرها فبدأت القبائل المجاورة للمدينة والتى فى شمالها تبعث وفودها للنبى تعلن طاعتها واذعانها . وانه لكذلك اذ حدث ماكان مقدمة لفتح مكة ، ولاستقرار الاسلام بها استقرارا كان له أثر بالغ فى اسلام العرب وفيما أسبغ على مكة بعد ذلك من قدسية فاقت ماكان لها فى الجاهلية وظلت خالدة على الزمان٠

الله نور السموات والأرض

الأستاذ محمد ابو الفيض المنوفي

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم . »

الله نور السموات والأرض ، أى منورهما بقدرته وبديع حكمته ، وهو الهادى بنوره لكل كائن من خليقته لما هىء له من مبدأ ووسيلة وغاية .

وقد شبه ـ سبحانه ـ نوره الأعلى بالمصباح المضىء فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه ، وكذلك مثل بأشباه للمصابيح وهى قلوب عباده الصالحين التى يضيئها نور هداه وتوحيده وحسن التوجه اليه .

وفى هذا اشارة أيضا الى المصباح الكهربى الذى كأنه كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، وقد شبه سيال الكهرباء بالزيتونة التى هى لا شرقية ولا غربية يسرى فى كيانها زيتها الذى يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار اشارة الى مطلق الحرارة العامة التى توجد فيما تحت الطيف الشمسى الأحمر الذى يشتعل ويضىء دون أن يوقده موقد ، وفيه اشارة أيضا الى ما اكتشفه العلم الحديث فى جيلنا الحاضر من النور النووى الذرى على اطلاقه وما يحوى من اشعاعات وأنوار منها ما هو منظور ومنها غير المنظور وذلك فى مجموعه هو الأصل العنصرى لمادة الكون كما هو معلوم .. من حيث أن الطاقة الذرية هى العلة القريبة للكتلة المادية التى ان هى الا كم من الأطياف الخفية أبرزتها القدرة الالهية منبعثة عن نشاط النور الالهى الأول البارز من عالم الغيب والخفاء الى عالم الظهور والمشاهدة الحسية والعقلية ، وكأن الطبيعة الكونية فى مجموعها وفى أصلها كائن ينظر اليه من زاويتين متغايرتين نور الاشعاعات النووية ونور الروح الالهية الذى يهبط من عالم اسمى وأجل وأجمل من العالم الأرضى وما فيه من شيئية الأشياء .

وقد ساغ الله كل ذلك بمحض قدرته وابداعه ومن أجل هذا أضاف النورالأصلى الذى ينبعث عنه نور الكون ونور الروح الى ذاته ووصف به نفسه ، فقال :« **الله نور السموات**

والأرض » ، ثم بدأ يمثل لنوره بالمشكاة والمصباح والزجاجة الخ ..

وبديهى أن المشبه ها هنا أعلى من المشبه به وأسمى وفى الجمع بين السموات والأرض دلالة على ما هو علوى من النور وما هو سفلى طبيعى ، وعلى أن النور الالهى هو الأصل فى خلق السموات والأرض ، ثم النور الروحى يليه ، ثم النور الاشعاعى الكونى يثلثه .. وذلك النور الذرى الكونى هو الذى برزت عنه الطاقة والسرعة الهائلتان وهما السببية الكونية القريبة لكل ما يرى ما لا يرى من أكوان أو أشياء لا يعلم مدى الاحاطة بها سوى الله منور السموات والأرض بنوره الأقدس . لذلك شبه بالزيتونة شجرة الأصل النورى لاحتوائها النور والنار والحياة جميعا وهى كائن حسى جمادى ونباتى ، والتشبيه فى مجموعه - تشبيه النور الالهى بالمشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة- تشبيه لايقتدر على مثلهسوى بلاغة القرآن وحده ، « **ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم** » .

والتمثيل بالمصباح سواء المصباح الزيتى أو مصباح الكهرباء وهو أشمل ، أو مصباح الشمس أو القمر للنور الكونى أو نور الروح أو نور الهداية كلها ، أمثال لغرض أسمى هو نور الخلق والابداع ، ونور الهداية أو نور العلم والمعرفة كلها فى هذا التشبيه القرآنى العظيم سواسية ، ولذا قال - سبحانه وتعالى- « **نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء** » والله يضرب الأمثال لأولى العقول الراجحة التى استنارت بنور العلم أو القلوب التى أضاءها نور الايمان والمعرفة وفيه ندب أيضا لطلب العلم واستعمال التفكر فى خلق السموات والأرض وكلها كالشجرة المباركة الواحدة، وفى مثل ذلك شبه القرآن عالم الأوامر الالهية والتدبيرات الكونية ايجادا وافناء واثباتا ومحوا بالسدرة وهى شجرة وذلك فى قوله : « **عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى** » .

أى ما يغشى ويفاض وينتشر من الأوامر الالهية . والمراد بسدرة المنتهى شجرة البدء والنهاية والأسباب والمسببات ، وفى تشبيه نور القلب ونور الوجود ونور العقل بالمصباح أقرب وأبدع تشبيه للمناسبة .

ولنا فى هذا المعنى من الشعر فى وصف الانسان جسدا وقلبا وعقلا ونفسا هذه الأبيات :

وقلبك كالمصباح والنفس زيته
وجسمك مشكاة وفيك الاضاءة
وذاتك مرآة وفكرك ضوؤها
وسرك عين والحقيقة صورة
فجاهد ترى تفصيل ماقلت واضحا
فما ضاع عند الله مثقال ذرة

هذا ، واذا احتاج المقام للايضاح والتفصيل بحسب المنهج العلمى الحديث وكيف قامت السموات والأرض بمحض النور المنبعث عن قدرته تعالى كفاعلية مطلقة ، فاليك.

ان أول ظهور الكائنات الكونية نشأ عن النور الصادر من قوة غير مرئية هى نشاط القدرة الالهية فى شكل طاقة مطلقة من الكهارب الذرية والنووية ثم تكاثف هذا النور حتى صار زمهريرا « الأثير » وفى هذا الوسط الأثيرى تكونت زوبعة من الغازات كألطف ما يكون من الدقة وصغر الذرات وأخفها وهى ذرة الايدروجين بنواتها وكهربها ، وهى أخف عناصر الطبيعة لأن ذرة الايدروجين مكونة من نواة واحدة وكهرب واحد ، ولذا كان الايدروجين أدقالعناصر وأخفها وهوأولها وفى وفى هذا يشير القرآن « ثم استوى الى السماء وهى دخان » وذلك النور الوجودى الطبيعى هو أول ما يسمى فى لغة الفلسفة بالعماء .. وفى لغة الدين بعالم الغيب الذى تصدر عنه البداية .. وفى لغة التصوف بالباطن فى مقابل الظاهر .. وفى لغة العلم - بالعالم النووى » الذرى .

ثم تكاثفت الغازات وهى ملتهبة حول نفسها حتى تكون عنها السديم الأول والأكبر الذى اشتقت منه جميع السدم والمجرات والنجوم والشموس التى منها شمسنا طبعا وسياراتها المعلومة ، وبهذا وذاك يقرب الوجود الامكانى الكونى من الوجود الالهى ويشرف العالم الأدنى على العالم الأعلى .

الميثاق
في ضوء الإسلام

> إن شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق، بالكفاية والعدل، بالمحبة والسلام.
> إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه، ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه -
> الباب العاشر من الميثاق

الأستاذ محمود عبد المجيد

كانت الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية آمالا تراود أحلامنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فأصبحت اليوم حقائق نعيشها ، ونلمس آثارها فى ظل الاشتراكية العربية .

ومن البديهى أن تحقيق مجتمع الرفاهية لا يمكن أن يتم بين يوم وليلة ، لأن ذلك يستلزم كثيرا من الجهد والمثابرة ، والعمل الواعى المتواصل ، والايمان العميق ، والخطة الهادفة للقضاء على آثار ماض طويل من العذاب والقلق والحرمان .. على أننا نستطيع أن نقول عن ثقة أننا وضعنا أقدامنا على الطريق المؤدى الى الرفاهية ، وهو طريق الاشتراكية العربية الذى مهده الوعى بمشكلات شعبنا ، فظهرت معالمه فى أعقاب الثورة العربية المصرية عام ١٩٥٢ وتحددت ملامحه بالقرارات الاشتراكية عام ١٩٦١ وبميثاق العمل الوطنى عام ١٩٦٢ .

ويتضمن هذا الميثاق تحليلا لظروف المجتمع المصرى وطبيعة نضاله ، وعرضا نقديا لتاريخه وبيانا لضرورة ثورته الوطنية وحتمية الاشتراكية كحل للمشكلات التى واجهته .

كما يتضمن أيضا الأسس الروحيـة التى يقوم على هديها كفاح هذا الشعب وتتم على ضوئها الانطلاقة نحو المستقبل وذلك الـى جانب الأسس المادية لتنظيم شئون المجتمع فى النواحى الاقتصـادية ، والسياسـية ، والاجتماعية .

ثمرة الشورى

وأول ما نلاحظه أن الميثاق ثمرة من ثمرات العملية الديمقراطيـة التى مارسـها الشعب بالاعداد والمناقشة والاقـرار وان ذلك كان تحقيقا رائعا لمبدأ الشورى فى الاسـلام . وكانت تجربة الحرية التى خاضهـا الشعب المصرى تجربة خصـبة وسعت من آفاق الشورى بالرجـوع الى القواعد الشعبية وباقرار جماعية القيادة وبوضـع الضمانات الكفيلة بتحقيق الديمقراطية .

فقد بدأ الاعداد لاصدار الميثاق باجتماعات اللجنة التحضيرية التى عقدت أول اجتماع لها « منذ عام تقريبا » فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ وأصدرت توصياتها بشـأن تكوين المؤتمر الوطنى لقوى الشعبية بعد أن حددت ماهية تلك القوى وطريقة تمثيلها . وبعد انتخـاب حر اختارت « فيه جماهير الشعب مندوبيها فى المؤتمر تقـدم **الرئيس جمال عبد الناصر** بمشروع الميثاق لأعضاء المؤتمر الوطنى وللأمة فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ثم تلا ذلك مناقشات واسعة النطاق وعلى مختلف المستويات داخل المؤتمر وخارجه وانتهى ذلك كله باقرار ميثاق العمل الوطنى ، ايمـانا بالله وبما أنزل من شريعة الحق والخير والسلام ، وتقديسا لحق الانسان فى العزة والكرامة وفى الكفاية والعدل . وتعاقدت القوى الشعبية على أن يكون الميثاق اطارا لحياتها ، وطريقا لثورتها ، ودليـلا لعملها من أجل المستقبل .

عبرة من الماضى

ويجدر بنا أن نشير ــ قبل أن ندخـل فى تفصيلات الأسس التى جاء بها الميثاق ــ الى أن كل تحليل لظروف المجتمع وطبيعة نضاله انما يرتد الى تاريخ هذا المجتمع وواقعـه ، يستقى منه العبرة ، ويستخرج الدلالة ، وفى هذا تذكرة وموعظة ، والذكرى تنفع المؤمنين حتى لا يقع فى الحاضر ما سبق فى الماضى من أخطاء . ولهذا فقد بصر الميثاق شعبنا بحقيقة أوضاعه السابقة التى حتمت الثورة ، فشبت مسلحة بالارادة ، وبالتعاون ، بالوعى والفكر المفتوح ، وكان الايمان بالله ورسله ورسالاته ضمانا لها ، وعاصما من الزلل ، ودافعا لقواها، خلاصا من الأغلال ، وتحريرا من الاستعمار والاستغلال ، وقضاء على الرجعية ، وانطلاقا نحو الرفاهية .

ولقد حث القرآن الكريم على محو الظلم وأشاد بالمنافحين عن الحق وقبح السلبيين المستضعفين فى الأرض فقـال : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

الروح والمادة

والى جانب الفقرات التى أفردها الميثاق للأسس الروحية ومثيلاتهـا التى أفـردت للأسس المادية نجد الميثاق من أوله الى آخره يمزج الفكر بالعمـل ويزاوج بين الجوانب الروحية والمادية فى وحدة منسقة الأجزاء ، وليس أدل على ذلك من قوله فى نهاية الباب الثامن :

« **واذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحيـة والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هـذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد** » .

وفى هذا يتجاوب الميثاق مع طبيعة الانسان المزدوجة ، ويتمشى مع المبدأ الاسلامى الاساسى الذى يجمع بين الآخرة والدنيا « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** » . وفى الحديث الشريف : « **اعمـل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخـرتك كأنك تموت غـدا** » ، لأن الموازنة بين قوى الروح وقوى المادة ضرورة لبناء المجتمـع واستمرار تقدمه على أسس قويمة .

حقيقة الميثاق

واذا كان الميثاق يرسى دعائم الاشتراكية العربية التى تتناقض مع الاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار والصهيونية ، وتختلف عن الاتجاهات الاشتراكية الاخرى لانها ليست خيالية أو شيوعية ، فليس هناك من تفسير لهذا التناقض وذلك الاختلاف الا فى ضوء المصادر الأولى التى استمدت منها هـذه الاشتراكية أصولها ومقوماتها فجاءت على هذه الصورة الفريدة التى تجمع بين العناصر الروحية والعناصر المادية وتوازن بين حاجة الجماعة الى السيطرة على مواردهـا وبين الرغبة فى التملك الفردى ، وانا لواجدون فى التراث العربى بما يحتـويه من دين وتاريخ وفلسفة وفى الواقع العربى بجوانبه المتعددة وفى الوعى العربى والروح العربية ما يمكن أن نرد اليه الأصول الأولى لهذه الاشتراكية دون تعسف أو تحيز لعواطفنا القومية أو الدينية .

والاشتراكية العربية كما حددهـا الميثاق ليست فى حاجـة الى أن تستعير مبادىء أو وسائل من الخارج لأنها تهضم كل زاد لكى تمارس التجربة على أرضها . انهـا ثمرة لشجرة باسقة نبتت فى أرض عربية وتغذت بغذاء عربى اسلامى واطلت على العالم الفسيح فتنفست هواءه وترعرعت فى رحاب انتصاراته مستمدة جذورها من الاسـلام بوصفه الصيغة النهائية التى أفرغت فيها الديانات ، والعامل الفعـال الذى اصطبغت بصبغته الحضارة العربية ، ولقد قام الشعب المصرى الذى وضع هذا الميثاق بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية « فى اطار التـاريخ الاسلامى وعلى هدى من رسالة محمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

الأسس الروحية

وتتلخص الأسس الروحية فى الميثـاق فى الايمان بالله ورسله ورسالاته القدسية والايمان بالقيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان ، وبأن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وبأن جميع الأديان ذات رسالات تقدمية ، والايمان بحق الارث وبحقيقة الانسان وبالضمير الاجتماعى المستمد من روح الجماعة المتضامنة وبالضمير العالمى المستمد من المعنى العام لفكرة الانسانية .

وهذه الأسس جميعها مستمدة من الاسلام بوصفها قيما رئيسية فيه ، ومبادىء أساسية له . فالايمان بالغيب حجر الزاوية فى الدين الحنيف الذى يأمر بالتدين والاعتقاد فى الله الواحد القهار الذى أنزل القرآن على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. **هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** » . والايمان بحق الارث فارق أساسى بين الاشتراكية العربية وغيرها من النزعات المادية ، أما الايمان بالانسانية فهو مستمد من تكريم الله للانسان أكمل مخلوقاته . وقد تمثل ذلك عندما سواه بشرا وأمر الملائكة أن يقعوا له ساجدين ، واستخلفه فى الأرض ، وعلمه الأسماء كلها وكرم أبناءه ، وحملهم فى البر والبحر ، وجعلهم شعوبا وقبائل وحثهم على التعارف والتضامن ، ورفع عنهم الذلة والاحزان بقوله « **ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ان كنتـم مؤمنـين » وقال : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » ، فالعـلو والاكرام متعلقان بالايمان والتقوى وهما قيمتـان أساسيتان فى الاسلام وفى الميثاق على السواء .

الأسس المادية

أما الأسس المـادية لتنظيم المجتمـع الاشتراكى فهى تنص على :

اقامة قطاع عام قوى يسيطر على الهياكل الاقتصادية ويعمل على زيادة الانتاج وعدالة التوزيع .

احترام الملكية الفردية غير المستغلة وتمليك الفلاحين الأرض مع نشر التعاون على أوسع نطاق .

تطبيق قوانين التكافل الاجتماعى والرعاية الاجتماعية .

الكفاح ضد الاستعمار والعمل من أجل السلام وعدم الانحيـاز والتعايش السلمى والتعاون الدولى .

واذا تأملنا هذه الأسس المادية نجدهـا بدورها مرتكزة على أفكار اسلامية ، ولقد سبق أن أشار **الدكتور عبد القادر حاتم** فى

المذكرة التفسيرية للقرارات الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ الى « أنه من المحتم أن تحدث هذه الانطلاقة الكبرى نحو الكفاية والعدل (وهما جوهر الاشتراكية) على هدى من عقائدنا الوطنية التى تؤمن بالله والتى تضع الفرد موضع العزة وتعتبر أن ملكاته الخلاقة هى قبس من فيض الخالق الأعظم » .

ولما كان الاسلام أسمى عقائدنا فان هذه المبادىء تستمد جذورها منه ، بوصفه دينا شاملا ، ونظاما كاملا ، يحدد علاقة العبد بربه ، ويفصل علاقات الأفراد فى معاملاتهم ويدعو الى التحرر من الاستغلال ، ومن عبودية المال ، وتقوم فيه الملكية على ألا ضرر ولا ضرار ،وعلى أساس اشتراك الناس فى المقومات الرئيسية للحياة وهى كما حددها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى زمانه « **الماء والكلأ والنار** » .

وهؤلاء الناس فى نظر الاسلام مستخلفون فى الأرض لعمارها ، ولا يحق لفئة منهم استغلال عرق الاجراء ، أو احتكار الارزاق ، أو تكديس الثروات « **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » ، كما يهدف الاسلام الى اقامة الحياة بين الناس بالعدل ولتحقيق هذه الغاية يقول القرآن : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » .

والعدالة الاجتماعية تقوم على فكرة الاخاء « **انما المؤمنون اخوة** » وعلى فكرة البر والتضامن والاتحاد : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » ويقول الرسول الكريم : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** »

واذا كان الميثاق يحتفى بالعمل ويعنى بشئون الكادحين ورفع مستواهم فان الاسلام يمجد العمل بنوعيه اليدوى والفكرى ويجعله أساسا للملكية ومحورا للثواب والعقاب « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » . كما يميز الاسلام بين العمل الخبيث والعمل الطيب منعا للاستغلال والغش وينهى عن أكل أموال الناس بالباطل « **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** » .

خصائص الاشتراكية

وأما عن خصائص الاشتراكية كما حددها الميثاق فى النزعة العلمية والديمقراطية والتعاون ، فما أكثر الشواهد على حفاوة الاسلام بها ، ودعوته اليها .

فالعلم قيمة عظيمة فى الاسلام ، والعلماء يتمتعون بأرفع المنازل ، وللمنهج العلمى القائم على المشاهدة والتبصر بحقائق الكون أهمية بالغة باعتباره أداة للمعرفة . ولقد نادى الاسلام بالشورى على أساس الأخوة والمساواة الانسانية والقرآن يقول : « **وأمرهم شورى بينهم** » ، « **وشاورهم فى الأمر** » .

كما حث الاسلام على التعاون والمحبة والتضامن وأكد أهمية هذه المبادىء فى تسيير دفة الحياة والتغلب على صعابها « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » .

على أن الحقيقة الأساسية التى جاء بها الميثاق هى أن الاشتراكية العربية ليست مجرد قوانين للتأميم أو قرارات لتحديد الملكية ، بل هى فى جوهرها فلسفة وحياة ونظام ، ولقد كان البعض ـ قبل الميثاق ـ يقصرون اللقاء بينها وبين الاسلام على جانب واحد منه هو الجانب الخاص بأحكام المعاملات ، أما اليوم بعد أن حدد الميثاق معالم هذه الاشتراكية وأظهر خصائصها وبين أهدافها ، فقد اتضحت الرؤيا ، واتسعت دائرة اللقاء فى ضوء ما أثبته الميثاق من ترابط بين القيم الروحية والقيم المادية .

ويمكننا بعد هذا كله أن نقول ان المبادىء الاساسية فى الميثاق لها أصول أولى فى الاسلام منبثة فى قيمه ، مبينة فى طرائقه . وما زاد الميثاق الا ما يتناسب وطبيعة العصر الذى بعثت فيه الاشتراكية العربية التى تستهدف شرف الانسان وسعادته ، واضاءة حياته بنور الايمان ، بتحريره من الاستغلال ، وبتذويب الفوارق المصطنعة بينه وبين أخيه الانسان .

من آداب الاسلام

الكذب من مظاهر النفاق

الأستاذ محمد فادى عسر

الكذب هو نقل الأخبار على غير حقيقتها سواء تعلقت هذه الأخبار بالواقع او بما سيقع .. وكثير من الناس يجد لذة كبيرة فى أن يكذب ويجد لذة أكبر فى أن يرى غيره مصدقا له .. بل انه فى بعض الأحيان يكون هو مصدقا لما كذب فيه .. لا يردعه فى ذلك دين ولا ضمير ولا حياء .

وان من جرؤ على الكذب حتى اتخذه عادة يمسى عليها ويصبح، فقد عرض نفسه للاحتقار والمهانة ، ولم يعد أهلا للثقة والمحبة . وما أبعد الناس عن احترام من لا يحترم غيره وأن يثقوا فيمن لا ثقة له بنفسه .

والكذب مظهر من مظاهر النفوس الضعيفة ودليل على خبث الطوية ، وسوء القصد ..

والشريعة الاسلامية ذهبت - فيما ذهبت اليه - الى تقويم النفس واعلاء الخلق الكريم ومحاربة الطبع الفاسد .. وهذه احدى ميزات الأحكام الشرعية التى هى أوسع نطاقا من الشرائع الوضعية .. وبخاصة فيما يرجع الى الفضائل والرذائل ..

فجميع الفضائل مأمور بها فى الشريعة فهى اذن واجبة .. والرذائل جميعها منهى عنها فهى محرمة .

وفى أحكام كل من النوعين المعنى الخلقى والتعبدى الروحى، فلها قوتها وشمولها بخلاف الشرائع الوضعية .. فانها مع جفافها لا تنظر الى الفضائل والرذائل الا النظرة المادية المجردة .. ولاشك أن من أهم مزايا التشريع السماوى أن من خالفه اذا أفلت من جزاء الدنيا فانه لن يفلت من المراقبة العليا وهو ملاق جزاءه .

وقد حدد الاسلام فى أحكامه سلوك الانسان فى حياته الخاصة والعامة فى أموره المادية والمعنوية كما عنى بوضع أسس للحياة الأخلاقية النفسية دون أن يكتفى بتنظيم الحياة المادية .. فجعل هدفه تهذيب النفس وتربية العواطف الطيبة وتنمية الأخلاق الداخلية .. وسلك فى ذلك سبلا تؤدى الى رقى الضمير الانسانى والسمو بالشعور الخلقى الى أرقى مستوى يمكن أن يصله الانسان دون أن يحتاج فى ذلك الى معاكسة الغرائز الطبيعية وكبتها وقمعها .

وفى النهاية ان الاسلام يدعو الى الله والسلام والخلق الكريم والرحمة والتعاون والى كل خير يحبه الله .

والكذب من الرذائل الأخلاقية التى كرهها الاسلام وبغض فيها .. فالكذب يحمل أبشع النتائج .. ففيه افساد بين الناس ، وفيه نميمة ووقيعة .. وفى ذلك فصم لعرى الاتحاد وقطع للروابط الاجتماعية ، والصلات الأخوية

•• وفى هذا يقول النبى الكريم : **لا يدخل الجنة نمام •**

كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

« ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم • »

وقد وردت فى تحريم الكذب والنهى عنه وتجريم مرتكبه آيات كثيرة وأحاديث نبوية متعددة •• فقد قال الله تعالى :

« انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون • »

وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا •• واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور • وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » •

كما قال عليه الصلاة والسلام : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » •

وقال أيضا : « ان أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا • »

ومعناه أكذب الكذب وأقبحه أن يقول المرء رأيت فيما لم يره • وانه كما لا يليق بشرف الانسان أن يقول سمعت وهو لم يسمع شيئا أو أبصرت وهو لم ير شيئا ، فانه لا يليق به ـ وقد وهبه الله العقل ـ أن يكون له عقيدة فى شىء ما دون دليل ساطع وعلم قاطع فان الظن لا يغنى من الحق شيئا ـ وبعض الظن اثم •• والدين الذى جاء لانهاض العقل من حضيض الجمود والتقليد لا يقبل عقيدة الا بالبرهان •

وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« اياكم والظن •• فان الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا • ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا » •

ومما لا شك فيه أن الكذب لون من ألوان النفاق ومظهر من مظاهره •• فقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : **« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا •• ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر • »**

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو فى الصلاة ويقول : « اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم » • فقال قائل : « ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم » ، فقال عليه السلام : « ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف » •

والغرم هنا هو الدين •

وكان النبى الكريم ينهى أن يقال عنه شىء كذبا •• ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

« لا تكذبوا على •• فان من كذب على فليلج النار » •

وقوله أيضا : « من كذب على فليتبوأ مقعده فى النار » •

كما قال أيضا : « اتقوا الحديث على الا ما علمتم • فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده فى النار • ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » •

وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » •

وروى عن أحد الحكماء أنه قال: « ما عرضت قولى على عملى الا خشيت أن أكون مكذبا • »

وعلى المسلمين أن يبتعدوا عن كل ما من شأنه أن يثير فى النفوس القلق أو يدعو الى الريبة والشك •• أو يحرك كوامن البغضاء ويؤجج نار العداوة بينهم •

وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ : « يايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٠ »

وما هذا الفاسق الا هذا النفر الذى جاء النبى بخبر كاذب مغرض أثار النبى والمسلمين معه على قوم آخرين ٠٠ وفى هذا نزلت الآية نصحا للمسلمين وارشادا لهم وتحقيرا لشأن هذا الفاسق الكاذب ٠

والكذب أمام الحاكم وأمام القاضى هو قول الزور وشهادة الزور بما يفلت معها متهم ويدان برىء ويشجع ظالم وتكثر الجرائم وتضيع الحقوق ، وقد قال تعالى :

« **واجتنبوا قول الزور** » ٠

كما قال النبى – صلى الله عليه وسلم – : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر – قلنا : بلى يارسول الله ٠ قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، (وكان متكئا فجلس وقال) : ألا وقول الزور وشهادة الزور ٠ ألا وقول الزور وشهادة الزور ٠٠ ألا وقول الزور وشهادة الزور » ٠ فما زال يكررها حتى قلنا ليته يسكت ٠**

وعقوبة شهادة الزور فى الشريعة الاسلامية عقوبة تعزير حيث لم يرد لها حد معين ٠ اذ المعروف عن العقاب فى الشريعة الاسلامية أنه نوعان : حد وتعزير ٠

والحد عقوبة مقررة حددها الشارع وهى خمسة : قطع اليد فى السرقة ٠ والرجم أو الجلد مائة فى الزنا ، والجلد ثمانين فى شرب الخمر ، والجلد ثمانين فى القذف ٠٠ وحد قطع الطريق ٠

والتعزير يكون فى غير ذلك من الجرائم ويكون بالتوبيخ أو الزجر أو التشهير أو الحبس أو الضرب أو بغير ذلك مما هو متروك من حيث الكم أو الكيف للقاضى ٠٠ رحمة للعباد وهو ما يساير أحدث النظم فى العقاب٠

وقد روى عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه أنزل بشاهد زور عقوبة التشهير بأن سود وجهه وأركبه على دابة مقلوبا ٠٠ ونظرته فى ذلك أن شاهد الزور قد سود وجه الحق فسود وجهه وقلب الحديث فقلب ركوبه ٠

ولا يخرج عن مفهوم الكذب قذف المحصنات الغافلات – وهى جريمة بشعة شديدة الخطورة لأن فيها انتهاكا لحرمات البيوت ونيلا من كرامة الحرائر الطاهرات ٠٠ وهى حين تشيع فى مجتمع تقضى على كل عوامل الاستقرار فيه ٠٠ ولعل هذه الخطورة التى فيها هى سر ما توعد الله به مرتكبها ٠ فهو – سبحانه وتعالى – يقول :

« **ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ٠ »**

وحد القذف ثمانين جلدة – ويرى الفقهاء أن القاذف غيره بالزنا يقام عليه الحد لأنه لا سبيل الى العلم بكذبه ٠٠ فجعل حده تكذيبا له وتبرئة لعرض المقذوف منعا لهذه الفاحشة التى يحد بالجلد من قذف بها ٠

وان الله قد كره اظهار الزنا والتكلم به ، وتوعد من يحب اشاعته فى المؤمنين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ٠٠ وذلك لقوله – سبحانه وتعالى – :

« **ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » ٠

وصدق رسول الله – صلى لله عليه وسلم – اذ يقول :

« **ان من أكبر الكبائر استطالة المرء فى عرض رجل مسلم بغير حق ٠** »

وقوله أيضا : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ٠

واذا كان قذف المحصنات لونا من ألوان الكذب فعقابه الحد ثمانين جلدة ٠٠ لأن عقوبة القذف هنا محددة ٠

أما سائر ألوان الكذب الأخرى فلم يأت عنها حد معين للعقاب ، ومن ثم كان عقابها تعزيرا يترك قدره وطريقته للحاكم والقاضى

ليقضى فيه حسب ظروف الجريمة وظروف المتهم والتى تختلف من مكان لآخر ، ومن شخص لشخص ، ومن زمن لزمن آخر .

وليس فى هذا حجر على حرية الناس ـ كما قد يرى البعض ـ انما على النقيض من ذلك ، فيه تهذيب وعلاج لنفس مريضة وفيه محافظة على كيان المجتمع والروابط الأخوية فيه .. فضلا عن أن الكاذب اذا لم ينل عقابا فى الدنيا فانه سوف يلقى جزاءه يوم القيامة .. ولا شك أن توقيع الجزاء الدنيوى عليه فيه رحمة له من عذاب الآخرة .

وقد جاء فى فتاوى ابن تيمية : العقوبات الشرعية انما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده .. فهى صادرة عن رحمة الخلق وارادة الاحسان اليهم .. ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الاحسان اليهم .. والرحمة بهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده .. وكما يقصد الطبيب معالجة المريض .

كما قال بعض الفقهاء : ان العقوبات جوابر ـ أى تنفيذها على الجانى فى الدنيا يقيه عذاب الآخرة ـ .

وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى وغيره : « ان من أصاب من هذه المعاصى شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب منها شيئا فستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه » .

وعن الترمذى عن على بن أبى طالب ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا فالله أعدل من أن يثنى على عبده العقوبة فى الآخرة .. ومن أصاب حدا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه .

هذا هو الدين الاسلامى، وهذه هى فلسفته فى توضيح المعاصى وفى العقاب عليها . دين فيه صلاح الخلق وصلاح المجموع ، وفلسفته فيها خير الانسانية جمعاء .

ملامح من الفكر الإسلامي في الميثاق الوطني

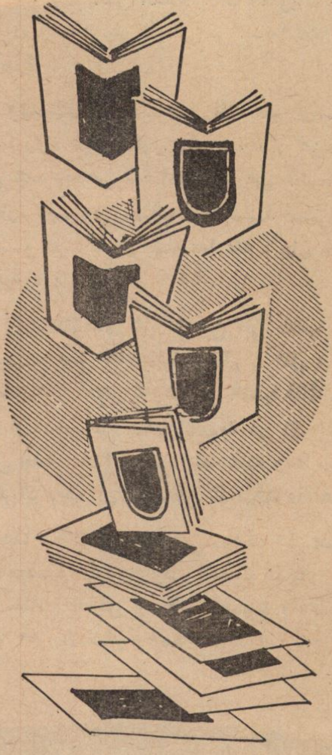

الأستاذ حسن فتح الباب

كان اعلان مشروع الميثاق الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية مساء يوم ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ من أعظم الأحداث التاريخية فى عالم اليوم . فلم تكد وسائل الاعلام الحديثة تنشر أنباءه وتبشر بمضمونه حتى أدرك الرأى العام العالمى أن شمسا جديدة تؤذن بالشروق على العالم العربى وأنه لن يمضى وقت طويل حتى تغمر أشعتها الساطعة آفاق الدول النامية فى آسيا وافريقيا

وعلى الرغم من الصراع المحتدم بين الشرق والغرب وما خلفه هذا الصراع من ازمات مريرة استأثرت باهتمام الساسة والمفكرين فى شتى الدول وشغلتهم عن متابعة ما عداها من مشكلات ، فقد بهر الميثاق جميع الأعين المتطلعة فى خوف وقلق على مصير الحضارة البشرية ، فمضت تتابعه بالنظر والتأمل العميق لعلها تجتلى فى ضوئه أسرار تلك البقعة من العالم التى انبثقت منها أقدم الحضارات والرسالات السماوية فى تاريخ الانسانية ، وتستكشف فى ثناياه علاجا لبعض الأدواء التى يرزح تحتها كاهل الانسان المعاصر .

أصالة الميثاق فى مضمونه القومى

ولا ريب فى أن أعظم الجوانب اشراقا فى الميثاق تلك التى استحوذت على تقدير المتابعين للثورات الشعبية والمراقبين لتطور

الأحداث السياسية ، هي جدة الميثاق وأصالة محتواه . ولا غرو أن يتنبأ أولئك وهؤلاء بما سوف يحدثه الميثاق من آثار عميقة في الشعب العربي في الجمهورية العربية المتحدة وفي سائر الشعوب العربية بل في تلك الجماعات البشرية الضخمة التي تخوض ظروفا مشابهة في مختلف أنحاء العالم .

وليس عسيرا على الباحث المستنير ان يدرك من تمحيص مواد الميثاق واستقراء أحكامه أن تلك الاصالة التي يتميز بها مردها انبثاقه من أعراق الشعب العربي : وصدقه في التعبير عن آلامه وآماله .

لقد غاص واضع الميثاق في الأغوار البعيدة لهذا الشعب ، فتبين حقيقته واهتدى رغم الضباب المتكاثف عبر العصور — الى السمات الرئيسية والمقومات الجوهرية التي شكلت تاريخ شعبنا ورسمت له حياته وحددت طريقه بين الشعوب . وبفضل الايمان الراسخ .بعظمة هذا الشعب وبقدرته على النضال والحياة ، والنفاذ الى صميم روحه ، استطاع واضع الميثاق أن يقدم دليل عمل لأمته لا يصلح لها غيره سبيلا للقضاء على العوائق التي تعترض طريقها ولتحقيق الأماني التي تجيش بخاطرها منذ القدم .

ومن أبرز تلك القسمات والمقدمات التي اهتدى اليها الميثاق فسجلها في صفحاته وحرص دائما على الاشادة بها مستلهما اياها مبادئه وغاياته ، جوهر الروح الاسلامية التي طبعت شعبنا فكان جزءا من الأمة العربية التي قدمت للعالم بعد هدايتها الى الاسلام واحدة من اعظم الحضارات وأكثرها خصبا في التاريخ

وقد تضمن هذه الحقيقة الباب الثالث من الميثاق وهو يتناول بالبحث والتحليل بذور النضال المصري في قوله :

« وفي اطار التاريخ الاسلامي ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية ..

وكان الكشف عن هذه الأصول وازالة ما علق بها من شوائب الزيف الذي مارسته حفنة من المؤرخين المغرضين ، نقطة انطلاق الى تطوير الحاضر وبناء المستقبل على دعائم ثابتة من تاريخنا القومي . ومن ثم جاءت المبادىء التي أرساها الميثاق متفقة مع الروح الاسلامية في مضمونها مستوحاة من عقيدتنا السمحة في تشريعها . ذلك أن أصلح الدساتير وابقاها هي تلك التي تستمد أحكامها من تراث شعوبها وتصدر عن قيمها ومثلها العليا وتتلاءم موادها مع طبيعة هذه الشعوب واسلوبها في العمل والكفاح .

* * *

حقائق الاسلام في ضوء الميثاق

وفي ضوء التعاليم الاسلامية السامية شرع الميثاق نظرية متكاملة للعمل الثوري في مختلف الميادين يسفر تطبيقها السليم عن اقامة البناء الجديد للوطني العربي على أسس لا يتطرق اليها الوهن . وقد أفادت هذه النظرية التي عالجت قضايا الاجتماع والسياسة والاقتصاد والثقافة من حقائق الاسلام بعد أن نحت عنها أباطيل خصومه واستخلصتها من ركام الحقب المظلمة التي سيطرت فيها البدع والضلالات فعوقت الشعب حينا عن المضي في طريقه والقت على الدين القويم ظلا من الشبهات التي تحول بينه وبين تأدية رسالته في انارة القلوب والعقول . وفي هذا المعنى يقول الميثاق :

« ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الايمان قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .

« ان رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .

ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الآلهة السامية

« لقد كانت طبيعة الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم .

لقد وعى الميثاق حقيقة الدور التخريبى الذى قام به الفزاة العثمانيون ليخدعوا الشعب باسم الدين ، فأولوا تعاليم الاسلام الرشيدة بما يناسب أطماعهم ، ووصموا المكافحين والثوار والعاملين على نصرة الحق بتهمة المروق عن الدين وحالوا دون انتشار صيحة المصلحين ودعوتهم الى تحرير الدين من الأوهام والضلالات . وفى هذا المعنى يقول الميثاق :

* * *

« وجعل الشعب من أزهره الشريف حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية استعمارا ورجعية باسم الدين .. والدين منها براء ..

ويحتضن هذا الأسلوب العثمانى المنكر أولئك الاستعماريون الأجانب وأذنابهم من أسرة محمد على الدخيلة فى فترة الاحتلال البريطانى ، فينبت من صلب هذا الشعب العريق الثائر محمد عبده مواصلا رسالة أستاذه العظيم جمال الدين الأفغانى مناديا بالاصلاح الدينى . ويسجل الميثاق هذه الصفحة المشرقة فى تاريخ أنصار الشعب وحماة عقيدته .

واذ يثبت الميثاق هذه الحقائق التى طمستها بعض الأقلام عمدا أو انخداعا ، يمضى فى غايته فيرسم طريق البناء وفق ما اهتدى اليه من الينابيع التى استقت منها روح الأمة الاسلامية على مر العصور .

ونحن نلمس تجاوب الميثاق مع التعاليم الاسلامية الرشيدة فيما احتواه من فلسفة وما صدر عنه من اتجاه فى مختلف الميادين . وسوف نقتصر فى هذا المثال على دراسة بعض ملامح الفكر الاسلامى فى المجال العلمى والثقافى كما وردت فى الميثاق مصداقا لما تناولناه فيما سبق من تمهيد

دور العلم والثقافة فى بناء المجتمع

لقد عرض الميثاق فى الباب الثامن الخاص بالتطبيق الاشتراكى لدور العلم فى بناء المجتمع وتطويره بقوله :

« ان العمل الثورى لابد له أن يكون عملا علميا

« ان الثورة ليست عملية هدم أنقاض الماضى ، ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل

« واذا تخلت الثورة عن العلم ، فمعنى ذلك أنها مجرد انفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ، ولكنها لا تغير من واقعها شيئا

« ان العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية ، ومن هنا الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولمراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به

« ان قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف ، بل ان النضال الوطنى اذا ما اعتمد على العلم المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للانطلاق تجعل التخلف السابق ميزة أمام ما سوف يحققه التقدم الجديد

« ان العلم للمجتمع يجب أن يكون شعار الثورة الثقافية لنا فى هذه المرحلة ، على أن بلوغ النضال الوطنى لأهدافه سوف يسمح لنا فى مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم ايجابيا مع العالم فى العلم للعلم

وهكذا يحدد الميثاق مكانة العلم من المجتمع الجديد ، فهو الأساس الوطيد الذى ينبغى

ان يقوم عليه العمل الثورى ، وهو عماد حركة البعث الاجتماعى والاقتصادى ، وهو السلاح الحاسم القادر على ضرب التخلف واستئصاله من جذوره ، وتقديم الحلول الصحيحة للمشكلات التى تعوق نهضتنا وتقف بها عن مواصلة الطريق

* * *

وهذه النظرة الواعية التى تدعو الى الايمان بالعلم كوسيلة أساسية للانتاج وارساء قواعد المجتمع على هدى التخطيط العلمى فى كافة المجالات ، تتفق مع تعاليم الاسلام فى المبدأ والغاية معا . فالاسلام فى حقيقته عقيدة تحررية كبرى وثورة دينية علمية جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من اسار الشرك بالله والاضرار بالخلق ، ولتبدل ظلمات الناس وجهالاتهم نورا ، وهو رسالة العلم والتحضر والسبيل الى رفع الظلم واقامة العدل وبث مبادىء الحق والمساواة . وكان الطريق الذى انتهجه الاسلام لتحقيق هذه الغايات هو نشر المعرفة الشاملة والثقافة الحقة لتقويض الضلالات القديمة وخلق واقع جديد للمجتمع يسير فى هداه حتى يبلغ هدفه الأكبر فى توحيد أفراده وضمان الخير والرفاهية لهم

وان حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث تشهد جميعا أن الدين الجديد الذى جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ثورة اجتماعية شاملة بأجلى معانيها . ومن ثم وعت رسالة الاسلام الدور الضخم الذى يؤديه العلم فى بناء الفرد وهو وحدة الأسرة التى تشكل الخلية الأولى للمجتمع ، وادركت ما يفتحه العلم من آفاق رحبة نحو مستقبل كريم للانسان وما يفجره من طاقات خلاقة فى الأفراد والجماعات ، ومهدت له الطريق لينفذ الى كل عقل كى يتهيأ لاستقبال الدعوة الاسلامية ، والايمان بها ، وليطهر كل نفس من أدران الجاهلية . ويكفى أن نذكر ما عرضه الرسول الكريم على أسرى المشركين فى غزوة بدر من اطلاق سراح من يفتدى منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين ، فالأسير يشترى نفسه بثمن يتكافأ مع تحريره وهو احياء النفوس وبعثها ، فالجهل والموت فى ميزان الحقيقة صنوان . ولكى تبنى دولة عليك أن تحرر الأنفس من عبودية الجهالة وتضىء بصيرتها بنور المعرفة حتى يصبح أربابها أعضاء صالحين فى جسد المجتمع

ومن ثم أعلى الاسلام من منزلة العلماء وصان كرامة العلم . قال تعالى فى كتابه العزيز : ((**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**)) . ((**وقل رب زدنى علما**)) . ((**انما يخشى الله من عباده العلماء**)) . وفى **الحديث الشريف : ((اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**)) . ((**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما العلم بالتعلم .**))

* * *

العلم حق للفرد وفريضة على الدولة

واذا كانت هذه هى نظرة الاسلام الى العلم ، تلك النظرة التى نطالعها على صفحات الميثاق فلا غرو أن يجعل الاسلام العلم حقا لكل فرد بل واجبا عليه ، وكذلك نجد هذا المبدأ الأساسى مقررا فى الميثاق .

ففى الحديث الشريف : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**)) فلا تفرقة فى هذا السبيل بين فرد وآخر ، ولا تمييز بين الرجل والمرأة . وينبغى الا يقف حائل دون التطلع الى العلم وارتياد آفاقه مهما عظم الجهد وشقت الطريق ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على ذلك بقوله : ((**اطلبوا العلم ولو بالصين**)) ويروى المؤلفون القدامى وقائع كثيرة تدل على ولع المسلمين الأوائل بالبحث العلمى استجابة منهم لتعاليم دينهم الحنيف ، وايمانا بأن طلب العلم يسمو الى مرتبة الفرائض . والعربى بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية شغوف بالأسفار البعيدة وقد وجه الاسلام تلك الطاقة فى خدمة المجتمع

بالحث على انتجاع موارد المعرفة فى مظانها بحثا عن كل قديم ومستحدث فى العلوم والآداب والفلسفات وسائر ألوان الثقافة

وقد تعمقت أصول الشريعة السمحة فى نفوس المسلمين حتى جد روادهم من الفقهاء والعلماء والفلاسفة فى التماس الثقافة وتحصيل العلم من كل فج عميق فى عالم لم تكن تربطه وسائل المواصلات أو تتاح له سبل المعرفة التى نشهدها فى عالم اليوم

ولا يقف ايمان الدولة الاسلامية بالعلم كوسيلة ضرورية لتهذيب الفرد ودعم أركان المجتمع ، بل انها تتخطى مرحلة الدعوة والتوجيه الى مرحلة العمل ، فتلزم نفسها بتمهيد السبل التى تيسر على المسلمين فى طلبهم للعلم والتماسهم له فى مصادره ، وذلك بجعل بيوت الله مدارس لتلقى أصول المعرفة واقامة دور العلم فى الحواضر وتنشيط حركة الترجمة والتأليف وايفاد البعثات العلمية كما نجد ذلك فى العصور الاسلامية الزاهرة وخاصة فى عهود العباسيين والأندلسيين

* * *

وينص الميثاق الوطنى على مسئولية الدولة عن تعليم المواطنين جميعا بلا أدنى تفرقة بينهم فى هذا الحق تطبيقا لمبدأ تكافؤ الفرص فى الخدمات الاجتماعية وفى مقدمتها التعليم مثلها فى ذلك كمثل سائر الحقوق السياسية والاقتصادية

ففى الباب السابع الخاص بالانتاج والمجتمع :

« ان تكافؤ الفرصة وهو التعبير عن الحرية الاجتماعية يمكن تحديده فى حقوق أساسية لكل مواطن ينبغى تكريس الجهد لتحقيقها

ومن هذه الحقوق : « حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه . ان العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها . كذلك فان العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى واضافة أفكار جديدة اليه كل يوم وعناصر قائدة جديدة فى ميادينه المختلفة .

ويتبين من هذه المقارنة اعتناق الميثاق . روحا ونصا – لمبدأ اشتراكية العلم والثقافة ، وهو المبدأ الذى نجده فى الاسلام منذ بدأت الدعوة فى الجزيرة العربية حتى ازدهرت الدولة الاسلامية واتسعت أرجاؤها وامتدت رقعتها حتى بسطت ظلها على معظم أنحاء الأرض .

ولا عجب ان يتفق الميثاق فى هذا المنحى مع التعاليم الاسلامية الخالدة ، فان جوهر الاسلام كما جاء فى نص الميثاق تأكيد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، والعلم هو السبيل الحق لتحقيق هذه الغاية . وكما حارب الاسلام الرجعية والطبقية فى كافة الميادين ومنها المجال العلمى والثقافى ، كذلك جاء الميثاق مجددا هذه المبادىء فى اطار جديد يتفق مع التطور العصرى

* * *

العلم طريق السلام والتعاون الدولى

لا ريب فى أن التبادل الثقافى بين الدول وليد عاملين لا بد من توافرهما ، الأول : استقرار الدولة ورخاء المجتمع وما يتخمضان عنه من تقدم فى العلوم والمعارف ، والثانى : قيام العلاقات الودية فى الميدان الدولى وما تؤدى اليه من تفاهم وتعاون فى سبيل قضاء المصالح المشتركة ، وهى علاقات تتوقف على سيادة الأمن والسلام فى المحيط العالمى ، وكما أن السلم هو البيئة الصالحة لازدهار العلاقات الدولية وفى مقدمتها العلاقات الثقافية، فكذلك يؤثر التبادل العلمى والثقافى فى السلام الدولى فيقوى أركانه ويوثق روابطه .

* * *

وقد كانت السفارات الثقافية من أهم الأغراض التى استحدثت فى الدبلوماسية الاسلامية بقصد توطيد الصلات العلمية والثقافية بين الدولة الاسلامية وسائر الدول ولاسيما فى العصرين العباسى والأندلسى وما يحققه ذلك من دعم الحركة الثقافية فى

المجتمع الاسلامى واقرار علاقات المـودة السلام فى الميدان الدولى

ولقد كان دعم الروابط الثقافية بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول غرضا مستحدثا فى الاسلام لانصراف النبى صلى الله عليـه وسلم – والخلفاء الراشدين والأمويين من بعده فى نشر الدعوة الاسلامية وتدعيـم أركان دولتهم الناشئة فى النواحى السياسـية والعسكرية بالطرق الدبلوماسية أو الحـرب دفاعا عن العقيدة ، الا أننا نجد للتبادل العلمى عن طريق الاتصالات بين الدول أصولا ثابتة فى تاريخ الدعوة المحمدية منذ بعثة الرسول ، وتشكل هذه الأصول البذرة الأولى لشجرة السفارات الثقافية التى بدأ نموها فى نهايـة دولة بنى أمية فى دمشق ، ثم ازدهرت فى عهد بنى العباس فى بغداد ودولة الأمويـين فى الأندلس ، بل اننا نجد هذه الأصول فى صميم المبادىء الاسلامية التى جاء بها النبى – عليه الصلاة والسلام – فالسفارات الثقافية تنبـع من صميم الدعوة الاسلامية وجوهر رسالتها لأنها دعوة الى الايمان بوحدانية الله ووحدة العالم عن طريق المساواة بين البشر وسيادة الحق والعدل والحرية والقانون . والتبـادل الثقافى من أهم الوسائل التى توثق العـلاقات بين الأمم والشعوب ، وترفع بينها الحواجز وتفض المنازعات وتدعم السـلام . ذلك ان تبادل المنافع المادية كالتجارة والمعنـوية كالأفكار والمشاركة فيها يقتلعان بذور الشك وعدم الثقة ويمهـدان الطريق للتعـاون والتضامن فى ظل الأمن والسلام بين أعضاء الأسرة الدولية ، سواء تلك التى تتفـق فى نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصـادية أو التى تختلف فيها

* * *

وقد أخذ الميثاق بهذه المبادىء الانسانية التى يدين بها الاسلام وتدعو اليها الشريعـة العصماء فمثلما جعل الميثاق العلم وسيلة من وسائل الانتاج فى المجتمع . جعله كذلك وسيلة للحياة والسلام للبشر ودعا الى حظـر استخدامه فى سبيل دعم أداة الحرب أو اذكاء نيران الضغائن وأسباب الخلافات بين الناس فنحن نجد شعار العلم للمجتمع فيما جـاء بالميثاق :

« ان الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا . ولكن الطاقة الذرية فى خدمـة الرخاء قادرة على أن تصنع المعجزات فى معركة التطوير الوطنى

*** * ***

ونجد شعار العلم للسلام والتعاون الدولى من أجل الرخاء فى باب السياسة الخارجية :

« ان شعبنا يؤمن أن الرخاء لا يتجزأ وأن التعاون الدولى من أجل الرخاء هو أقـوى ضمانات السلام العالمى

« انه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع فان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية

« كذلك هو يشمل الدعوة الى توجيـه الذرة للسلام حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتضىء جوانب التخلف المظلم

« كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن تترصد لهـا وتتربص بها

وهكذا يلتقى الميثاق مع المبادىء والقيم الاسلامية السامية فى مجال الفكر والثقافـة وتتجلى فيه ملامح من الفكر الاسلامى الذى طبع روح الأمة الاسلامية وأنشأ لها حضارة من أزهى حضارات البشرية على مر العصور

ولا عجب اذن أن يسجل الميثـاق هذه الحقيقة بقوله فى الباب الثالث :

« وفى اطار التاريخ الاسـلامى .. وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .. قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية

وقوله فى الباب العاشر :

« ان شعبنا يؤمن برباط روحى وثيـق يشده الى العالم الاسلامى ».

الإرهاص بالإصلاح الزراعى

منذ مائة عام

الأستاذ حسن الشيخة

ما رأينا عالما ـ مهما كان علمه ـ أرهص بالاصلاح الزراعى منذ مائه عام تقريباً الا شيخ الشيوخ فى زمنه العالم المفكر الدينى المصلح الكبير : رفاعة رافع الطهطاوى .

ولد رفاعة وعاش فى زمن كله محن ، فقد ولد عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وبذلك يكون قد عاصر محمد على الكبير ، وعباس الأول ، وسعيد ، واسماعيل ، وهى مدة مشحونة كلها بالمظالم النازلة على رأس الفلاح الكادح ، الذى ـ بعد هذا الكفاح كله ـ لايجد مايسد رمقه ، ولا يستر به جسمه حق ستره ، بل كان بقرة حلوبا للحاكمين ، وأعوان الحاكمين ، وذيول الحاكمين .. وهكذا شاهد الشيخ رفاعة بعينيه كل هذه المنكرات فحفظها فى قلبه ، ولم يبح بها الا فى بعض مؤلفاته العدة التى منها الكتاب الذى سنقتبس منه ، لأنه رأيه هو فى زمانه ، وتقديره من بين أقرانه ، واذن لا بد من طول الاقتباس لنعرف رفاعة على حقيقته فى ورقته ، ولنقدره به تقديرا ، هو كتاب **((مناهج الآداب المصرية فى مباهج الآداب العصرية)) .**

لا غرو ـ على ـ اذا عددت ما ستقراه من آراء الشيخ رفاعة فى موضوع الاصلاح الزراعى من الأسباب غير المباشرة فى الثورة العرابية التى كان فى جانب من جوانبها صوت ينادى باعطاء ذوى الحقوق حقوقهم .

كان الشيخ رفاعة موسوعة خصبة كثيرة المعارف والثقافات الى حد الاعجاب به ، من علوم الدين مثل علوم الكلام والفقه والحديث والتاريخ الدينى ـ الى التاريخ العام والجغرافيا ، والتربية والاجتماع ، والسياسة والقانون والاقتصاد ، والبلاغة والأدب ، ومثل الهندسة والطب والفنون الحربية وعلم المعادن **وليس بغريب عليه بعد هذا كله أن ينظر ببصيرته الى ما يعانى الفلاح من أهوال جسام ، ومن سخرة مميتة** ، وهكذا رأى الشيخ رفاعة ما أقض مضجعه من ناحية الفلاح المسكين التى تألبت عليه جميع القوى الشيطانية ، فوضعته فى أسفل الأوضاع .

قال رفاعه فى الكتاب الذى ذكرته ـ فى فصل فيه بعنوان **((فى تقسيم محصول الأرض بين مالكها وزارعها))** ما نصه مع بعض التصرف :

((ان المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية .. انما هو طائفة الملاك ، فهم من دون أهل الحرفة الزراعية

متمتعون بأعظم مزية .. حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتها .. فلا يعطون للأهالى الا بمقدار الخدمة والعمل ، وعلى حسب ما تسمح به نفوسهم فى مقابلة المشقة، يعنى أن الملاك فى العادة تتمتع بالمتحصل من العمل ، ولا تدفع نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذى لا يكافىء العمل .. فان حق التمليك سوغ للملاك ... أن يتصرفوا فى عمليات أملاكهم التصرف التام ، ويعتقد المالكون أنهم أرباب استحقاق عظيم .. وأنهم الأولى بالسعادة .. »

هكذا قال الشيخ رفاعة من حيث قضية الفلاح العامل فى الأرض الزراعية ، غير أنه وسع رقعة قوله فشملت جميع الأعمال الاحتكارية التى كان يحتكرها الحاكمون والملاك وأعوانهم . فقال :

« وكما أن أرباب الأملاك يحتكرون جميع الاعمال الزراعية ، كذلك يحتكرون ثمرات جميع المصانع ، كالحدادة والنجارة ، وجميع صنائع أهل الحرف المتعلقة بأمور الفلاحة » .

وهو يريد أن يقول ان صاحب الأرض المحتكر لخيراتها ، هو أيضا محتكر لكل صناعة تتصل بالزراعة ، كأن ملكية الأرض تبيح احتكار كل شىء ، والتصرف الجائر فى كل شىء ، ولهذا نرى أن « محمد على » بعد أن أخذ جميع اطيان القطر المصرى ملكا له ولأولاده من بعده – كذلك احتكر أيضا جميع أنواع التجارة والصناعة ، حتى لا يفلت شىء من تحت يده ، وليس بغريب أن نسمى هذه العهود بعهود الاحتكارات اقتداء بالمحتكر الأكبر « محمد على » .

ثم ناقش قوله عليه الصلاة والسلام : « **الزرع للزارع** » ، وضرب فى نهاية تفسيره الحديث مثلا بأهل خيبر أنه صلوات الله عليه أعطاهم نصف المحصول فى نظير عملهم ، ثم وصف تقليل أجرة العامل فى نظير عمله بأنها محض افتراء لا تستند الى حقيقة ولا دليل مقنع ، وأنه لا يمكن ايجاد الخصب فى الأرض الا بدوام الشغل ، واستمرار العمل .

هذا ما قاله الشيخ رفاعة فى هذه القضية الكبرى التى لم تهذب حواشيها ، ولم تعرف مراميها الا هذه الأيام ، بعد ثورتنا المباركة التى قادها الرئيس الناجح « **جمال عبد الناصر** » ، ولو أن الشيخ رفاعة كان بيده قوة تنفيذية لنفذ هذا الكلام فى وقته ، **ولكنه هو نفسه قد وقع عليه الظلم ، ونفى الى السودان فى أيام عباس الاول ، وجرد من جميع أعماله التى كان يضرب المثل بعظمها ونفعها** ، فهو فى ذاته قد وقع عليه الاستبداد، وحاق به المكروه ، ولو أنه استطاع دفاعا أمام الشرور لدافع عن نفسه قبل أن يدافع عن قضية مثل قضية «**الاصلاح الزراعى**» بين الملاك والفلاحين الكادحين ، **وأما ما قاله فى كتبه ومؤلفاته من مثل هذه الآراء الصائبة فى مختلف الموضوعات فليس ذلك الا تنبيها بأنه يعرف أسرار زمنه ، وقد أودع هذه الآراء لمن يجىء بعده ممن يملكون التنفيذ – والحمد لله فقد نفذت على أحسن حال وأطيب منال.**

المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى

الأستاذ
محمد عبد المنعم البيومى

بيت الله مكان عبادته ، يتجه اليه المسلمون كلما ردد المؤذن : «حى على الصلاة، حى على الفلاح» فيشرق نور الايمان فى قلوبهم، وتلهج بذكر الله ألسنتهم ، وتؤلف المحبة والمودة بينهم ، وتكون الوحدة شعارهم ، وحدة المعبود ، ووحدة الوجهة ، يسود الجميع الخوف من الله ، والرغبة الصادقة فى نيل رضاه ، بطهارة القلوب ، ونقاء السريرة ، وحب الخير للفرد والمجتمع : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ؛ والله يرزق من يشاء بغير حساب ».

وللمسجد أثر عظيم فى بناء المجتمع الاسلامى ، وتوجيهه الى ما فيه خيره وسعادة افراده فى امور الدنيا والدين ، فهم حين يجتمعون فى بيت من بيوت الله يلتقون على طهر وصفاء ، فلا بغض ولا عداوة ، ولا تظاهر ولا تفاخر ، فيخلصون فى مدارسة أمورهم وحل مشاكلهم ، والتعاون على تحقيق مصالحهم ، وكلهم يشعر أنه فى ضيافة الله وفى مراقبته وبذلك يتفاعل رواد المساجد مع مجتمعهم ويكونون اداة فعالة فى نهوضه والارتقاء به ، ولو أن اجتماعا عقد فى بيت أحدهم أو فى ناد من انديتهم لشعر المدعوون أو بعضهم بشىء من الغربة والحاجة الى التحفظ ، كما قد يبدو صاحب الدعوة فى صورة المذهو أو المتكلف ، وقد يؤدى هذا الى فشل الاجتماع ، وعدم تحقيق الغرض منه .

ولكن المسلمين حين يجتمعون فى بيت الله فجميعهم فيه سواء ، فليس بينهم صاحب دعوة ولا مدعو ، فيتدارسون ما يهمهم فى صراحة واخلاص ابتغاء وجه الله وخير المجتمع .

فالمسجد مع أداء العبادة فيه يمكن أن يكون وسيلة لتنوير المسلمين الى طرق كسب عيشهم ، والاستفادة بأوقاتهم ، والعناية بالنظافة فى ملابسهم ومساكنهم ، ورعاية القواعد الصحية فى شتى مناحى حياتهم .

كما يمكن أن يكون اجتماع المسلمين فيه وسيلة لفض ما قد يكون بينهم من خصومات ومنازعات قبل أن تزيد وتتسع .

وفى المسجد يمكن أن يشرح لهم ما يجد من النظم والقوانين التى يهمهم ويهم الدولة أن يفهمها الشعب ، ليكون واعيا عارفا ما له وما عليه ، متعاونا مع أولى الأمر .

ولا ننسى أن منبر المسجد خير وسيلة لاثارة الحماسة الوطنية ، وتعبئة القوى الشعبية ضد أى عدوان يهدد استقلال البلاد وأمنها ، أو عزتها وكرامتها .

وفوق كل هذا فالمساجد دور علم وتثقيف ، ومدارس لمحو أمية أبناء الشعب بما تضم من كتاتيب ومكتبات ، وما يلقى فيها من دروس وعظات .

وقد صار للمسجد فى مجتمعنا الجديد رسالة جليلة ، فاهتمت وزارة الاوقاف بتوجيه أئمته وخطبائه توجيها يجعل المسجد ذا أثر فعال فى قيادة المجتمع الاسلامى قيادة رشيدة تسمو به فى مضمار الخلق والتعاون والعمل المنتج والنهوض بالوطن ، كما تعنى وزارة الأوقاف بتكوين مجالس ادارات للمساجد ، وتحويل هذه المجالس الى جمعيات خيرية ، تضم بين مشتركيها الراغبين من رواد المساجد وسكان الحى ، وتقوم هذه الجمعيات بالرعاية الاجتماعية والدينية لسكان المنطقة الواقعة فى محيط المسجد .

هكذا كان المسجد منذ عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ملتقى المسلمين فى صلاتهم وعند كل شدة أو نازلة ، يدرسونها ، ويرسمون الخطط الناجحة للتغلب عليها فى تفاهم رائده الحق وارضاء الله تعالى وحب الخير العام واسعاد المجتمع .

كان المسجد مقر القيادة : تبدأ منه الدعوة للحرب وتعبئة الجيوش حين يجد الجد ، كما كان محكمة تفصل فى قضايا المسلمين بما أنزل الله ، ومدرسة تفقههم وتثقفهم ، وملجأ يلجأ اليه كل مغترب أو ابن سبيل .

فلتكن هذه المقاصد وتلك الأهداف وجهتنا فى النهوض بالمسجد حتى يؤدى رسالته كاملة .

الشيخ طنطاوى جوهرى

وجائزة نوبل !

الأستاذ على الجبلاوى

كتب أستاذنا الكبير العقاد صبيحة الثالث من جمادى الآخرة فى (يوميات الأخبار) عن جائزة نوبل التى كانت من نصيب الكاتب الأمريكى (جون شتينبك) فى هذا العام . وقد توجه بما كتب الى لجنة نوبل التى اختارت (شتينبك) الآن قائلا : (والظاهر من رجوعها اليه أنها أخذت تبحث عن المرشحين حتى اختارته بعد الاعراض عنه مرات فى السنوات الأخيرة والآن يحق لنا أن نقول : اذا كانت المسألة مسألة بحث بعد مجهود فلماذا يقف هذا البحث دون البلاد العربية من أمم العالمين فلا تهتدى اللجنة اولا تريد ان تهتدى الى واحد منهم وهم على هذه الطبقة غير قليلين ؟ ثم رشح أستاذنا العقاد من كتابنا العرب من يفضل (شتينبك) فى بعض المزايا ولايقصرون عنه فى واحدة من مزاياه وهم (توفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وميخائيل نعيمة) .

ولقد ذكرنى ذلك ماكان من أمر المفكر الاسلامى خالد الذكر الشيخ (طنطاوى جوهرى) الذى رشح لجائزة نوبل للسلام عام ١٩٣٩

ولقد كان الشيخ طنطاوى قد ألف مايربو على الثلاثين مؤلفا بعضها دوائر معارف فى الموضوعات التى تناولتها هذه الكتب ومجموع مؤلفاته يذكرها (بروكلمان) العالم الألمانى فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) وهى ثروة ضخمة من التراث الفكرى الخالد لقيت كل الترحيب من قراء المسلمين فى الشرقين الأوسط والأقصى والاهتمام البالغ من المستشرقين وفلاسفة أوروبا حتى أضفوا عليه من الألقاب مالم يحظ به غيره فقالت عنه مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية (**ان الشيخ طنطاوى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ماهو عالم دين) وقد ترجم كثير من كتبه الى اللغات الأوروبية واللغات الشرقية • ولقد كان فى كتاباته يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأية نحلة من بلاد الشرق لأن بحثه عام للكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق بالأمم الغربية فى المعارف والعلوم والمدنية والحضارة وأماكتاباه اللذان يدعو فيهما الىالسلام العام ووجههما الىالعالم كله لأن المسألة التى يريد حلها هى مسألة العالم بالاجماع فهما كتاب (أين الانسان) وكتاب (أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام)** •

أما الكتاب الأول (**أين الانسان**) ففيه استخراج السلام العام فى الأمم من النواميس الطبيعية •

والنظامات الفلكية والفطر الانسانية وبنيان السياسة على أساس الطبيعة وأن مدنية اليوم حيوانية ودعوة الناس للانسانية الحقيقية وبيان أن الانسان لم يفهمانسانيته ولميستخرج قوته • وخطابه موجه الى فلاسفة الأمم ونوابها وملوكها ودعوة الأولين لبحث هذا الموضوع والآخرين للتعاون على العمل • وهو عبارة عن رواية ومحاورة بينه وبين روح من الأرواح القاطنة بمذنب (هيلى) لما اقترب من الأرض وسأل عن السلام العام وعن أخلاق نوع الانسان وهو عشرون فصلا وقد قال عنه المستشرقون انه أجل ما اشتهر به الشيخ طنطاوى بين أهل الشرق والغرب وقد فضل البارون (كراديفو) فى كتابه المسمى (قادة الفكر الاسلامى) آراء الشيخ طنطاوى فى السياسة عن آراء (نيتشه الألمانى وداروين الانجليزى) وقال انه وصف الانسانية فىهذا الكتاب بمالا يشرفها وبين أنه تنبأ بالحرب العظمى فى ذلك الكتاب قبل وقوعها بأربع سنين ثم قال : ان الكتاب شرف لمصر والاسلام وهو يستحق الاحترام ثم قال : ولقد وضعه المؤلف بهيئة رواية فلسفية سياسية فهو فى هذا يشبه (**افارابى**) من حيث أصل الفكرة (**وابن طفيل**) من حيث الأسلوب ويذكرنا بأساليب علمائنا وأدبائنا فى أوروبا مثل (**توماس موروس وكامبانيلا ومعاصرنا هانريز**) وفيه وصف الأستاذ الجمعية الانسانية بما لا يشرفها من الكمال بل أظهر نقصها وأبان سوء فعلها • وأخذ يسدىنصائح ويبدى حججا لالتئام الأمم واتحاد الدول بل يطلب مافوق ذلك وهو الحب والاخلاص العام والمثل الأعلى فى ذلك ويتمنى كما تمنى الفارابى أن تكون الدول جميعا مؤسسة نظامها على الحب العام وتبادل المنافع ولكن دولنا الآن فى الأمم الأرضية وان كانت ارتقت ارتقاء ماديا لم يؤسس بنيانها الا على تبادل الحرب وتخريب المدن وقعقعة السلاح فأما تلك الأفكار الجميلة والمحبة العامة فهىمغلوب عليها وان للمؤلف خيالا ساميا غزير المعنى فانه بينما كان ينظر الى السماء فى ليلة من ليالى الربيع عام ١٩١٠ وهو يبحث فى مذنب (هيلى) الذى يرجعمرة بعد أخرى اخذ يقول : (**يا ليت شعرى اذا كانت السماء صافية بهجة النجوم منظمة فهل فيها سكان ؟ وكل سكانها مثلنا فى الظلم والقتال أم هم فى هناء وعدل كما نرى فى نظام السموات ؟**) وبينما هو مستغرق فى تأملاته اذ وافته روح مشرقة النور بهية الطلعة فى هيئة شاب جميل حسن الشكل فأخذت هذه الروح تناقشه ثم اقترحت عليه أن يجول معها جولة فى السموات العلى فلبى طلبها بشوق عظيم وهذه الفكرة الخيالية

تذكرنا بأحلام العلامة (باستير) ووصف الاستاذ العلامة (جيب الانجليزى) ذلك الكتاب فى مجلة (مدرسة العلوم الشرقية) بأنه خير كتاب عربى فى الأدب . وقرظه الأستاذ (سنتلانه الطليانى) وقال انه من الصحف العظيمة الدالة فى الوقت الحاضر على مقدار ارتقاء شعور الطبقه الراقية الاسلاميه . وقرظه العلامة الألمانى (يوسف شخت) فقال: **ان هذا الكتاب مشتهر بين المستشرقين ونعم الكتاب الذى يستغنى عن التعريف ونعم مؤلفه وان ترجمته لمفيدة وجعل هذا الكتاب الاستاذ (أغناطيوس غويدى) بروميه الكبرى يصف الشيخ طنطاوى بأنه فيلسوف العرب (وكندى) عصرنا ويقول العلامة (مارغليوس) لقد عرفت الأستاذ طنطاوى عام١٩٠٤ اذ بدأ ينشر مقالات علمية وكتبا حكمية لخير الانسانية ومنافعها والسلام العام وقد نجح الى حد كبير فيما حاوله من نشر السلام والدعوة اليه . وذلك فى تعليقه على الكتب وفضله على كتابى العلامة الألمانى (كانت) فى السلام العام . وقد حضر الأستاذ (كريستيان جوب) من لكسنبرج ضيفا على مصر وخطب فى (جمعية الشبان المسلمين) عام ١٩٣٨ وختم خطابه عن الشيخ طنطاوى العالم الفيلسوف بقوله : ان كتاب ((أين الانسان)) يبحث فى عقد المشكلات الحالية بحثا عجزت أوروبا الى اليوم عن الاتيان بمثله) وقال : (انى أعلن أن خير كتاب أخرج للناس فى هذا الشأن هو كتاب أين الانسان الذى يرسم للعالم بأسلوب فلسفى عميق طريقه المستقيم الى السلام الدائم الذى رسمه الله فى قوله تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وقد طبع الكتاب حين كان الشيخ طنطاوى بمدرسة الناصرية عام ١٩١١**

أما الكتاب الثانى (أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام) فقد ذكر المؤلف فيه أنه عرج الى السماء وساح أقطارها ووصل الى كوكب عظيم من كواكب الجوزاء ووصف الجبال والأنهار وأضواء الشمس هناك والممالك والقصور ومجالس الفلاسفة الذين امتحنوه فى الحساب والسياسة معا .

وهكذا فى حساب العناصر واتقان نسبة بعضها الى بعض ونسبة أبعاد السيارات الى الشمس ودراسة علم أوراق النبات وحسابها وحساب التيارات البحرية والمخ الانسانى وكل ذلك قد جعله مبدأ لسياسة العامة . وقد برهن المؤلف على أن سياسة الأمم اذا لم يكن بناؤها على حساب كحساب تلك العلوم فان النوع الانسانى سيحل به الدمار ولا يستحق البقاء على هذا السيار والكتاب كله يرجع لآية كريمة :

(والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .

ولقد تقدم بهذا الكتاب مع كتاب (أين الانسان) لنيل (جائزة نوبل) وقرظت الجمعية الأسيوية الملكية كتاب (أحلام السياسة) بقلم العلامة (مارغليوس) عام ١٩٣٧ هذا نص الترجمة (ان عنوان هذا الكتاب يذكرنا بكتابين نشرهما العلامة (كانت الألمانى) فى السلام العام وان (كانت) وان كان عالما بعلمى الرياضة والفلك لم يستعملهما فى السلام العام . أما الشيخ طنطاوى فانه قد أدخل فيه هذين العلمين وأضاف اليهما علم النبات والكيمياء والتشريح وعلم النفس فهذه العلوم كلها قد جعلها المؤلف وسيلة توصل بها الى حل مشكلة السلام العام) وكذلك قرظه الأستاذ (كريستيان جوب) فى محاضرته بجمعية الشبان المسلمين وقال (انه حضر الى مصر خصوصا للتشرف بمعرفة الشيخ طنطاوى شخصيا بعدما عرفه من بعد وترجم كتابيه (أحلام فى السياسة وأين الانسان) وقد طبع كتاب (أحلام فى السياسة) بعدما ترجمه الى العربية عام ١٩٣٥ لأنه كتبه أولا بالانجليزية .

وقد فكر الشيخ طنطاوى فى تقديم نفسه لنيل الدرجة العلمية التى تسمى (درجة نوبل) وقد تقدم بنفسه الى لجنة هذه الجائزة بالبرلمان النرويجى فسألت اللجنة عنه وزارة الخارجية المصرية وهذه سألت عنه وزارة المعارف فنظرت الوزارة فى طلب الأستاذ الشيخ وأحالت كتبه

الى عميد كلية العلوم لفحصها وابداء رأيه فيها وقد تقدم بالكتب الآتية :

١ ـ أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام ٠

٢ ـ (اين الانسان) وقدتقدم به الى مؤتمر الأجناس العام فى عام ١٩١١

٣ ـ صورة ماكتبه بعض عظماء ملوك الشرق وجمعيات أوروبا وعلماؤها فى هذين الكتابين

٤ ـ أساس النظام الدولى والموازنة بين آراء حكماء الشرق والغرب وبين الرأى المصرى

٥ ـ نسخة منقولة من المجلة الشرقيةبرومة بتاريخ ١٩١١ للأستاذ سانتيلانه الدكتور فى الفلسفة

٦ ـ نسخة مما أرسله الأستاذ كريستيان جوب من لكسنبرج مكتوبا بالفرنسية الى المؤلف وقال انه ملخص من كتاب (أحلام فى السياسة) ٠

وهذه الكتب والرسائل تتجه كلها اتجاها عاليا فى الدعوة الى السلام ونصيب الانسانية من السعادة اذا ما رفرف عليها علمه وسار فيها نظامه ٠ وكان من شروط التقدم لمثل هذه الجائزة أن يكون صاحب المؤلفات من أساتذة الجامعة أو أن يرشحه أحد الوزراء أوعضو فى البرلمان أو أستاذ جامعى فى الفلسفة أو التاريخ أو القانون أو السياسة وقد تطوع لترشيحه الاستاذ الدكتور مصطفى مشرفة عميد كلية العلوم آنئذ والدكتور عبد الحميد سعيد عضو البرلمان ورئيس عام جمعيات الشبان المسلمين فأخذت وزارة الخارجية بهذاالترشيح وأرسلت مؤلفاته الى البرلمان النرويجى مشفوعة بتقرير عن جهوده فى سبيل العلم والسلام وشهادات علماء انجلترا وفرنسا وايطاليا وألمانيا فى قيمة مؤلفاته وكان ذلك فى عام ١٩٣٩ ٠

وفى عام ١٩٤٠ اختار الله الى جوارهالمغفور له الفيلسوف الاسلامى الشيخ طنطاوى جوهرى بعد أن استطالت خدماته للاسلام ودعوته للسلام حتى لم يبق بلد شرقى يجهل مؤلفاته، وجهوده وجهاده ٠ أما نصيبه من (جائزة نوبل)فان الجواب عنه جاء فى سؤال أستاذنا العقاد (اذا كانت المسألة مسألة بحث بعد مجهود فلماذا يقف هذا البحث دون البلاد العربية من أمم العالمين فلا تهتدى اللجنة أو لا تريد أن تهتدى الى واحد منهم وهم على هذه الطبقة غير قليلين ؟)

مهلكات المخدرات

الأستاذ أحمد حمد

سموم

كما يحسب الظمآن أن السراب ماء ، وكما يتخيل المريض أن البول دواء ، كذلك يظن كثير من متعاطى المخدرات أن المواد المخدرة تشحذ الأذهان، وتزكى العقول، وتمد الانسان بأفانين الفكر وبدائع الفنون .

والحق أنها سموم تكبى الذهن ولاتشحذه، وتفسد العقل ولا تزكيه ، واذا كبا الذهن وفسد العقل تنطلق المشاعر الجاهلة لتسبح فى وهم كاذب يسمونه انتعاشا أو انسجاما ، ولقد كتب أحد كبار المهتمين بشئون المخدرات يقول :

« ان أثر تعاطى المخدرات التى يسميها الخبراء المحللون سموم العقول ، هو اضعاف ارادة الانسان ، وهى القوة التى تنظم الأفكار وتخرجها الى حيز الوجود ، وتنسقها طبقا لقوانين المنطق ، وعلى ذلك ففى الحالة التى لا يكون فيها الشخص تحت تأثير المخدر تنقلب الذاكرة والخيال، فيغرق بين الماضى والمستقبل ولا يمكنه ان يلم بحوادث الوقت الحاضر .

انتحار

هل نستطيع أن نشعر بمشاعر مجرم يتقدم الى حبل المشنقة ، أو يهيأ لاطلاق الرصاص عليه ، أو يعد لاقتطاع رقبته بالمقصلة ؟

انها مشاعر الفزع السود ، وظلال الموت الداكنة تطوف بنفسه ، ويهتز بها قلبه ، ويضج منها ذهنه ، ويتمنى أن لو ابتلعته الأرض فغاب بين طياتها ، وغاص فى ظلماتها ، أو اختطفته الطير فذهبت به الى مكان سحيق، أو ألقت به فى بحر مظلم عميق .. ومتعاطو المخدرات يفعلون بأنفسهم كما يفعل بالمجرم المقاد الى الاعدام ، وينسجون من هذه «الكيوف» حبل الموت الذى يلتف حول رقابهم شيئا فشيئا لينهى حياتهم ويعجل بموتهم .

بيد أن هناك فارقا وهو ان المجرمين تزهق أرواحهم على الرغم منهم ، وأولئك يلقون حتفهم بأيديهم ويحفرون قبورهم باظافرهم .

لقد كان ضحية الحشيش فى سنة واحدة عدد كبير من الشباب فى قرية صغيرة من قرانا ، ذهبوا وتركوا وراءهم نسوة أرامل ، وآباء كواهل ، وصبية صغارا ، ولم يتركوا لهم درهما ولا دينارا ، لأن المخدرات قضت على ممتلكاتهم ، كما قضت على حياتهم ، وستقضى بعد ذلك على ذرياتهم وزوجاتهم .

جهل

والجهل المظلم هوالذى يدفع هؤلاء المأفونين الى تعاطى هذه السموم المهلكة ، بحجة أنها سبيل للتخلص من عذاب الواقع الذى يعيشون

فيه ، أو المشكلات التى تحيط بهم ، أو المسئوليات التى ترهق كواهلهم ، أو ليعيشوا وقتا سعيدا فى حال منعشة ومزاج منسجم .. وذلك هو غاية الجهل الذى يسخر من هؤلاء الجهلاء ويسخرهم .. فكيف الهرب من الواقع ونحن نعيش فيه، وكيف التخلص من المشكلات الخاصة الا بحلها والتغلب عليها ؟ وكيف التفلت من المسئوليات الا بتقديرها والقيام بأدائها ؟

ولعل انسانا يسأل : كيف نصف هؤلاء بالجهل وفيهم المتعلمون ؟ وننعتهم بالجهلاء ومنهم المثقفون ؟

ونحن نقول : ليس العلم هو معرفة بعض شئون الحياة فى ناحية من نواحيها ، والا كان علينا أن نسمى كل انسان عالما لأنه يعلم شأنا من شئون الحياة يخفى على الآخر .. فالفلاح يعلم من شئون الزراعة ما يخفى على غيره من صانع وموظف ، والصانع يعلم من شئون صناعته ما يخفى على غيره وهكذا ..

ولذلك فان العلم فى حقيقته أن تدرك ما يحسن عمله وما يسوء ، وأن يكون هذا الادراك دافعا على العمل واختيار الحسن دائما فى كل قول وتصرف ، فالقول يجب أن يكون قولا حميدا ، والعمل يجب أن يكون عملا حكيما ، أو الكلم يجب أن يكون كلما طيبا ، والعمل يجب أن يكون عملا صالحا «**اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » .

* * *

تبرير

وكل مقترف للاثم أو واقع فى المعصية يحاول دائما أن يؤيد اثمه ويبرر عصيانه، وهو فى سبيل ذلك ينكر الدليل الواضح ، ويقف وقفة الصفيق المتبجح ، ولكم يقضى الانسان عجبا عندما يرى بعض الناس يجادلون بالباطل والحق أبلج ، ويدافعون عن الشر والخير أوضح وأحكم ..

أرأيت انسانا يحلل السم لأن القرآن لم ينزل بتحريمه ، ويبرىء الناهب لأن الآيات لم تنص على تحريمه ؟ فاذا قلت له : ان فى القرآن من الآيات العامة ما ينص على احلال جميع الطيبات ، وتحريم جميع الخبائث كقوله تعالى :

« ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » ، « كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ..
لقال لك : لا أقتنع الا بآية تنص بوضوح على تحريم هذا أو تحليل ذلك .

* * *

ولو ذهبنا هذا المذهب لكان على كتاب الله أن ينص على تحريم كل شىء وتحليل كل شىء، فكان عليه أن ينص مثلا على تحليل ركوب الطائرة والقاطرة والسيارة ، واستعمال الأدوات الحديثة ، والأجهزة المخترعة ، وتناول ألوان المطاعم والمشارب المستحدثة ، وكان عليه أن ينص كذلك على تحريم استعمال القنبلة الذرية أو الهيدروجينية ، ومزاولة الاستعمار السياسى والاقتصادى والثقافى ، وتناول ما جد من مأكولات أو مشروبات تضر بالأبدان وتذهب بالعقول ، ونستطيع أن نمضى فى هذا الطريق فنقول : كان عليه أن ينص بوضوح على حكم « التليفون » و « التليفزيون » ، والثلاجة والغسالة والمسارح ودور الخيالة ، وعلى كل شىء حتى نأتمر بأمره فى التحليل والتحريم ، وقل لى بربك : أى قرآن هذا الذى يحصى الأشياء جميعها عددا وذكرا ، وينص على حكم كل منها نهيا أو أمرا ؟ انه سيصبح بذلك ثبتا بالأسماء لا قرآنا ، ودفترا بالأرقام لا تبيانا .. وكيف كان يعقل العرب الأولون أو المسلمون السابقون معانى أسماء كانوا يجهلونها .. ومخترعات حدد فى علم الغيب زمنها ؟ بل كيف نعقل نحن اليوم أسماء مخترعات سوف يكشف الغد القريب أو البعيد عنها ويعجب الناس عند ذلك منها ؟

ولذلك كانت آيات القرآن شاملة لما كان ويكون، ومستوعبة أحداث الزمان ومستحدثات

الفنون ، فمن أراد أن يعرف حكم كثير من المأكولات والمشروبات وما استحدث من نافع الأجهزة والأدوات والآلات فعليه أن يقرأ :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » •

ومن أراد أن يعرف حكم الذى ينهب أموال الناس فعليه أن يقرأ :

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » •

ومن أراد أن يعرف حكم هذه السموم التى تسمى مخدرات ، فعليه أن يقرأ :

« ويحرم عليهم الخبائث » •

انها خبائث :

والمخدرات خبائث أفسدت حياة الناس ، وقضت على أثمن ما يملكون ، وهل بعد سلامة العقول وفتوة الأبدان من شىء يقدر أو أمر يهتم به ويعتبر ؟

وليت خبث المخدرات خبثا خفيفا أو طفيفا ، اذن لهان الخطب واستراح القلب ؟•• ولكن ما فيها من خبث أصيل ، وداء وبيل لا يقف أثره عند ناحية واحدة من حياة الشخص •• بل ينشب مخالب خبثه فى كل ناحية من نواحى حياته سواء كانت عقلية أو خلقية أو بدنية ••

***

ولماذا توصف بالخبائث ؟

من المقرر أن ضرر الشىء اذا زاد عن نفعه كان هذا الشىء خبيثا تعافه النفوس ، وتنفر منه العقول السليمة ، ومن الذى يقبل أن تكون خسارته فى الشىء أكبر من ربحه ، وضرره فيه أكبر من نفعه ؟•• فما بالك بشىء تكثر فيه الأضرار وتنتشر فيه ظلماتها القاتمة حتى لاتجد فيها بصيصا من نفع أو شعاعا من فائدة •• وهاك ألوانا من هذه الأضرار بل هذه الأخطار :

١ ـ تشتت الفكر :

حينما يتناول الشخص مخدرا اذا بموجات عظيمة من الأفكار تتقاطر على ذهنه ، وتتكاثر على مخه ، واذا بها تتزايد فى سرعة مربكة ، حتى لا يستطيع التحكم فيها والتدبر فى معانيها ، ويجتهد فى هذه الحال أن يعبر عنها فى وقت واحد بألفاظ لا معنى لها ، ويشعر أن فى طاقته أن يوفق الى حل أعقد المشكلات الفلسفية أو العلمية ، وأن لديه أنصع الأفكار، ويستطيع أن يقوم بأشجع الأعمال •

ولقد أشارت احدى الوثائق الأمريكية الحديثة الى حالة طالبة صغيرة كانت تعتقد تحت تأثير المارى هوانا « الحشيش » أنها وفقت الى حل احدى المشكلات المتعلقة بعملها، فقفزت من شباك غرفتها كى تسرع الى محل عملها ، فكان فى هذه القفزة حتفها •

***

ويزداد هذا التشويش العقلى تدريجا فتقصر فترات الصفاء ، ويصبح المدمن فريسة تخيلاته الباطنية ، ويتبع السرور الصاخب فى البداية شعور سار بالاسترخاء العقلى والجسمانى •• فهو لا يرغب فى أن يسمع شيئا ، ولقد صرح أحد مدمنى الحشيش أنه فى هذا الدور من التخدير كان يتألم من دقات الساعة أو دوى البعوض الخفيف •

٢ ـ الجهاز التناسلى : عندما يحدث هياج شهوانى للمتعاطى فى حالة التخدير فان أثره يكون قاصرا على تصوراته ولا يتعداها الى جسده ، فان من الخطأ أن ينسب الى الحشيش خواص تقوية الجهاز التناسلى ، الا أنه بالنسبة لتصورات وهمية تنتاب المتخدر فيفسرها بأن الحشيش كان باعثا على فوارق لمسها ابان مدة تخدير ، **وقد يؤدى تخدير الحشيش الى عكس هذه الحالة ، فالكثيرون من المدمنين انتابتهم أمراض صرحوا معها بما وصلت اليه حالتهم الجنسية من جراء ادمانهم الحشيش •**

ان الادمان على تعاطى الحشيش أو تدخينه يؤدى الى حالة تسمم شديد نتيجة مفعوله على مراكز المخ العليا مما يتسبب عنه الجنون .

* * *

٣ ـ الاجرام :

ان الادمان على المخدرات من البواعث التى تؤدى الى ارتفاع نسبة الاجرام ، كما انمكافحة هذا الداء من أنواع العلاج لمحاربة الاجرام .. ومن أهم الجرائم ما يكون ضد الأشخاص أو ضد الأمانة ، أو جرائم خلقية ، أو جرائم اهمال .

فالجرائم ضد الأشخاص هى أفعال اجرامية منشؤها الاضطراب المتسبب عن التخدير ، أو التنبيه الوقتى للمخدر وما يجر اليه من الانفعالات ، كذلك الأفعال الاجرامية التى تتسبب عن الاضطراب العقلى الناتج عن حالة الادمان على المخدرات ، وكذلك الميول الاجرامية التى تحالفها وتغذيها حالة المدمن الجسمانية ، والضعف الخلقى الناشئان عن الادمان ، أما الجرائم التى ترتكب ضد الأمانة فالواقع أن حالة الادمان تدفع المدمن بحكم حاجته الملحة الى الحصول على المخدر بأى ثمن فان أعوزته الوسائل الشريفة لجأ الى المحرمة حتى لقد يصل به الحال الى اعتبار الجريمة وسيلة مشروعة تبررها حاجته الى المخدر ، كذلكحال جرائم الأخلاق فان من بين ما تحدثه هذه المواد المخدرة تنبيه الغريزة الجنسية وهذا التنبيه يكون فى الغالب مصحوبا بتخيلات وصور جنسية تتناسب وهذه التخيلات ، فيدفعه ذلك الى اتيان أعمال منافية للحياء بحكم هبوط مستواه العقلى والخلقى ، وضعف شعوره وارادته .

* * *

أما جرائم الاهمال فان ضعف جسم المدمن وما يتبعه من ضعف فى ادارته وذاكرته وما يترتب عليه من خطأ فى تقديره للأمور ، كل ذلك يعرضه للرعونة وعدم التبصر ، **لا سيما اذا كانت مهنته من المهن التى يتوقف** عليها حياة الآخرين ، كأن يكون عاملا أو سائقا أو منظما لحركة المرور ، أو ما شابه ذلك . »

* * *

علاج :

ان وسائل الاقناع لابد أن تسير مع وسائل القهر والعقوبة والتأديب ، ولذلك يجب أن يجند العلماء والمشرفون على وسائل الاعلام أنفسهم للقضاء على هذا الداء ، ونقترح ما يلى :

١ ـ أن تعنى الصحافة والاذاعة والتليفزيون عناية تامة بهذا الموضوع ، وأن تعد من التحقيقات والبرامج ما يحض الناس على اجتناب هذه السموم .

٢ ـ أن ينشط الأدباء والملحنون والمطربون فى اذاعة الأغانى التى سرعان ما تنتشر على الألسنة ويكون لها التأثير الفعال فى عامة الناس .

٣ ـ أن يخصص شهر لمكافحة « الأمراض الاجتماعية » تشترك فيه جميع وسائل الاعلام ويخصص فيه لعلماء الوعظ فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون مجال كبير .

٤ ـ أن تكون عقوبة متناول المخدر «الجلد» وأن يكون هذا الجلد على ملأ من الناس ، وان كان موظفا نزل الى درجة أقل ان عاد اليه مرة أخرى .

٥ ـ انشاء مركز بكلمحافظة لعلاج المدمنين وتقويمهم وتدريبهم على الحرف اليدوية ، والأعمال الصناعية حتى يعرفوا طرق العمل الشريف ، فضلا عن أن ذلك يساعدهم على أن يتخلصوا من هذا المرض ويتغلبوا على هذا الداء .

* * *

٦ ـ حل مشكلة الأحداث المشردين ، وافساح المجال لهم فى المؤسسات الاجتماعية حتى تستوعبهم ، فانهم مخالب القط لتجار المخدرات .

ماقالوا في شهر شعبان من أسباب التكريم

الأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

لشهر شعبان عند المسلمين مكانة خاصة ، فهم ينظرون اليه نظرة اجلال وتعظيم ..

ولا غرابة فى هذا ، فهو يقع بين رجب ، أحد الأشهر الأربعة الحرم ، ورمضان ، الذى فرض الله صيامه ، وأنزل فيه القرآن ..

ولهذا ، فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يصوم أكثر أيامه ، فقد روى البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل ، عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنها قالت :

« ما رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان .. »

والحكمة فى اختصاصه ــ عليه الصلاة والسلام ــ شعبان بهذه العناية نراها واضحة فيما أخرجه النسائى وأبو داود عن أسامة ابن زيد ، قال ــ رضى الله عنه ــ :

قلت يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شعبان ، قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

ولقد جرت عادة المسلمين على الاحتفال بليلة النصف من شعبان، واحيائها بالذكر والعبادة، وهى من غير شك جديرة بهذا ، فهى الليلة التى حولت فيها القبلة من بيت المقدس ، الى المسجد الحرام بمكة ، ونزل فيها قول الله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون » .

ولكن تعاقب الأيام ، وشيوع الجهل أنسى المسلمين هذه المناسبة العظيمة ، ولم يبق فى أذهانهم عن تلك الليلة الا أنها ليلة يستجاب فيها الدعاء ولذلك فانهم كانوا ــ وما يزال الكثير منهم الى الآن ــ يجتمعون فيها فى المساجد ، ويرددون بشكل جماعى ، دعاء خاصا ، زعموا أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يدعو به فى تلك الليلة .

* * *

وقد حكى ابن القيم قول محمد بن كعب القرظى ، فى صلاة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى بيت المقدس ، فقال ــ أى محمد ابن كعب ــ : ما خالف نبى نبيا قط ، فى قبلة ولا سنة ، الا أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استقبل بيت المقدس ، حين قدم المدينة ، ستة عشر شهرا ، ثم قرأ :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وجاء فى زاد المعاد عن تحويل القبلة : أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يحب أن يصرف الى الكعبة ، فقال لجبريل : وددت أن يصرف الله وجهى عن قبلة اليهود ، فقال ــ أى جبريل ــ : انما أنا عبد ، فادع ربك واسأله ، فجعل يقلب وجهه فى السماء ، يرجو ذلك ، حتى أنزل الله عليه : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء .. » الآية

وكانت أول صلاة صلاها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التحويل هى صلاة العصر ، فقد روى البخارى فى صحيحه ، عن البراء - رضى الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ،

فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله ، لقد صليت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت .

وقد نظرت طائفة - وقتذاك - الى هذا الحادث ، من الزاوية التى تتفق مع نهجها ورأيها ، فأما المسلمون فانهم قالوا : سمعنا وأطعنا ، آمنا به ، كل من عند ربنا ، وقال المشركون : كما رجع الى قبلتنا يوشك أن يرجع الى ديننا ، وقال اليهود : خالف قبلة الأنبياء قبله ، ولو كان نبيا لاستمر فى صلاته الى قبلة الأنبياء ، وقال المنافقون : ما ندرى أين يتوجه محمد ؟ ان كانت الأولى حقا فقد تركها ، وان كانت الثانية هى الحق فقد كان على باطل .

* * *

وصدق الله العظيم اذ يقول : « **وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله** » .

والكعبة هى القبلة الوحيدة التى كانت بتوقيف من الله تعالى ، بخلاف بيت المقدس - قبلة اليهود والنصارى - فليس فى التوراة الأمر باستقبال الصخرة ، وانما كان اليهود اذا خرجوا من بيت المقدس ، نصبوا التابوت ، واذا عادوا نصبوه على الصخرة ، وصلوا اليه، فلما رفع التابوت صلوا الى موضعه ، وهو الصخرة ..

واقتفى النصارى أثر اليهود فى ذلك ، اجتهادا من رؤسائهم أن قبلة اليهود هى قبلة لهم أيضا .

بقى علينا تعيين الوقت الذى حولت فيه القبلة الى الكعبة ، فقد نقل أن ذلك كان فى ليلة النصف من شهر شعبان ، وأن ذلك هو الأصل فى احتفال المسلمين بهذه الليلة المباركة ، وقيل غير ذلك ، ولكن الرأى الأول هو أقرب الأقوال الى الحقيقة ، ويؤيده ما جاء فى حديث البخارى المتقدم ، من أن النبى - صلى الله عليه وسلم - صلى فى المدينة الى جهة بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، وكلمة « أو » فى الحديث للشك من الراوى ، فهو لم يقطع بأنها ستة عشر ، أو سبعة عشر ، وعلى كلا الاحتمالين فان ليلة النصف من شعبان تقع فى نهاية المدة ، سواء كانت ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا، ذلك أن النبى - صلى الله عليه وسلم - دخل المدينة فى يوم الاثنين ، ثانى عشر ربيع الأول سنة ١٣ من البعثة ، أى فى منتصف شهر ربيع الأول تقريبا .. والمدة من منتصف ربيع الأول الى منتصف شعبان من السنة التالية ، سبعة عشر شهرا ، وعلى الاحتمال الثانى ، وهو أنها ستةعشر شهرا ، فانه يجب صرف النظر عن النصف الثانى من شهر ربيع الأول من سنة ١٣ ، والنصف الأول من شهر شعبان من السنة التالية ، والاقتصار على الأشهر الصحيحة ، أى من أول شهر ربيع الثانى ، الى آخر رجب من السنة التالية .

ومن ذلك يتبين أن ليلة النصف من شعبان **هى الليلة التى حولت فيها قبلة المسلمين الى الجهة التى يرضاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتى هى خير الجهات ، والتى هدانا الله اليها ، فضلا منه وكرما ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « انهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله له ، وضلوا عنه ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها ، وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .**

من أعلام الإسلام

أسامة بن منقذ

فارس الإسلام وقاهر الصليبيين
٤٨٨ – ٥٨٤ هـ

الأستاذ
عبد العزيز الاسلامبولى

كان من تصاريف القدر ، أن يولد أسامة ابن منقذ ، فى العام الذى حرض فيه « البابا » الصليبيين على اعداد حملة ضد المسلمين ، وقد أبى القدر العادل الا أن تكون هزيمة هؤلاء الصليبيين على يد هذا الوليد ، الذى نذره أبوه للدفاع عن دين الله ، وكفاح الشياطين الصليبيين وكانت أول معركة يشترك فيها قائدا هى معركة قنسرين ، التى أبلى فيها بلاء أذهل الفرنج ، فاعترفوا بتفوقه صاغرين ، وكانت رحمة الله به عظيمة ، فامتد به الأجل ستا وتسعين سنة ، ولم ينتقل الى الرفيق الأعلى ، الا بعد استعادة المسلمين لبيت المقدس على يد صديقه صلاح الدين الأيوبى .

والناظر فى سيرة أسامة ، يرى عجبا من العجب ، فقد جمع بين الفروسية والعلم والشعر ، ذلك بأن حياته تمثل الفروسية الاسلامية العربية ، أوفى تمثيل ، وحسبك من ذلك تسليم الفرنج قبل العرب بأنه عنوان الفروسية الاسلامية فى العصور الوسطى ، وامام الفرسان والشجعان فى الحروب الصليبية . « وكان عمره تاريخا مستقلا وحده » كما يقول الامام ابن كثير فى « البداية والنهاية » .

والحق أن حياته تقاسمتها ثلاثة أشياء : أولها الجهاد والقتال ، وقد بذل فى ذلك من عمره ٧٠ عاما كاملة ، والثانية : الفروسية والشجاعة والصيد ، وهو فى هذه البابة انفريد الأوحد والمفرد العلم – فانا لا نعلم من تاريخ العرب ، الذى انتهى الينا ، ما يمكن الموازنة بينه وبين أسامة فى هذا ، ومن ثم ندرك قوله فى كتابه « الاعتبار » الذى ترجم الى الألمانية والانجليزية والفرنسية والروسية، وطبع ترجمته فى نيويورك مرة ، وفى انكلترا ثانية ، وفى ألمانيا ثالثة ، وفى فرنسا رابعة ، وفى روسيا خامسة .

« فكم لقيت من الأهوال ، وتقحمت المخاوف والاخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الأسود وضربت بالسيوف ، وطعنت بالرماح، وجرحت بالسهام ، وأنا من الأجل فى حصن حصين ، الى أن بلغت تمام التسعين .. »

ويبدو أن هذه الصفة البارزة ، كانت موضع عناية المؤرخين ، فابن الأثير - مثلا - يحرص فى الترجمة لأسامة على أنه « كان من الشجاعة فى الغاية التى لا مزيد عليها » ، ويوجز الجاحظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى سيرته ، فيجملها فى قوله وهو « أحد أبطال الاسلام » .

ويقص علينا المقدسى فى كتابه «الروضتين» أن هذه الشجاعة التى تفرد بها أوغرت صدر عمه عليه ، انه كان من الشجاعة والاقدام ، على ما علمه الناس ، فبينما هو بشيزر (وهى بلده وحصنه) اذ أتاه انسان أخبره أن بدجلة أسدا ضاريا .. فركب فرسه .. وأخذ سيفه ، وسار اليه ليقتله ، ولم يعلم أحدا من الناس ، لئلا يمنعه من ذلك ، فلما قرب من الأسد نزل عن فرسه وربطه ومشى نحوه ، فلما رآه الأسد قصده ووثب عليه ، فعاجله بالسيف على رأسه فانفلق ، ثم أجهز عليه ، وأخذ رأسه فى مخلاة فرسه ، وعاد الى شيزر، ودخل على والدته وألقى الرأس بين يديها ، وحدثها بالحال ، فقالت له : يا بنى تجهز بالخروج من شيزر ، فوالله لا يمكنك عمك من المقام ، وأنت على هذه الحال من الاقدام والجرأة ..

وصدقت فراسة أم أسامة ، فقد أبى عمه عليه الا أن يغادر الحصن ، ولكن القدر كرمه فعاد اليه معززا كريما مرهوب البأس عزيز الجانب .. وقد تأخذ الانسان الدهشة ، حين يعلم أن هذا الفارس الشجاع ، الذى صارع الأسود وأصناف الحيوان المفترسة ، بقوته وسيفه ، يقول حين أشرف على الثمانين .. وهو من جيد شعره :

مع الثمانين عاث الضعف فى جلدى
وساءنى ضعف رجلى واضطراب يدى
اذا كتبت فخطى خط مضطرب
كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يدى عن حملها قلما
من بعد حطم القنا فى لبة الأسد
وان مشيت وفى كفى العصا ثقلت
رجلى كأنى أخوض الوحل فى الجلد

فقل لمن يتمنى طول مدته :
هذى عواقب طول العمر والمدد

ومن الانصاف أن يرد جانب كبير من هذه الفروسية والشجاعة ، الى أبيه ، وقد كان رجلا متبتلا عالما شجاعا ، فقد نشأ ابنه على الفتوة والشجاعة ، ودربه على الرجولة والشهامة ، ومرسه على الفروسية والقتال ، بل لقد كان يدفع به دفعا بين أنياب الوحوش الكاسرة ، ويأخذ به الى مضارب الصيد .. ولذلك يقول أسامة فى مطلع القسم الأخير من كتابه « الاعتبار » ، وهو الخاص بأخبار الطيور ..

ان والده كان مشغوفا بالصيد لهجا به وبجميع الجوارح ، ولم يكن له شغل سوى بالحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله عز وجل عند الفراغ من أشغال أصحابه . وان والده ما نهاه عن قتال ولا ركوب خطر ، مع ما كان يرى فى أسامة ، وما يراه أسامة من اشفاق والده وايثاره اياه ، وهو دون العاشرة، يطعن افرنجيا طعنة تخرجه من السرج لخفة جسمه وقوة الطعنة .. بل ان الوالد يرى ابنه يتسلق حائط الدار ، لأنه رأى حية قاتلة .. فأخذ يحز رأسها بسكين صغيرة ، وهى تلتف على يده .. ومع ذلك لا يمنعه ولا ينهاه .

ومن أمثلة الفتوة والفروسية المنقطعة النظير ما يرويه من أنه كان لدى والده بشيزر رهائن من بلدوين الثانى ، وكانت فرسانا من الافرنج والأرمن ، فلما وفوا ما عليهم ، وأرادوا الرجوع الى بلادهم ، كمن لهم صاحب حمص - وهو مسلم - فى ظاهر شيزر - وأطلق وراءهم بعض فرسانه فأخذوهم ، فلما انتهى الأمر الى مسامع أبى أسامة ، ركب بنفسه اليهم ، وأمر ابنه قائلا : « اتبعهم بمن معك ، وارمو أنفسكم عليهم ، واستخلصوا رهائنكم» ، فنفذ أسامة أمر أبيه فورا ، فتبعهم وأدركهم بعد ركض أكثر النهار واستخلص الرهائن ، ولم يكتف بذلك ، بل أخذ بعض خيل حمص ، متأثرا بقول والده « وارموا أنفسكم عليهم » .

ورأى الوالد ابنه - وقد خرج معه ، لقتال أسد ظهر على جسر القرية ، فحمل الأسد

عليهما من أجمة كان فيها ، وحمل على الخيل، ثم وقف ، وكان أسامة بينه وبين الأسد مسافة قريبة جدا ، وقد ربض على جرف النهر يتضرب بصدره على الأرض ويهدر ، فحمل عليه أسامة ، فصاح أبوه عليه يقول : « لا تستقبله يا مجنون فيأخذك ، فطعنه أسامة ، فلا والله ما تحرك من مكانه ، ومات موضعه ٠

يقول أسامة « فما رأيته نهانى عن قتال غير ذلك اليوم » ٠

ولأسامة فى هذا الباب حوادث كثيرة ٠٠ وعجائب خطيرة ، أفرد لها فصلا فى كتابه الاعتبار ، وتناقلها الرواة ، وسجلها المؤرخون الأثبات ، ومن بينهم تلميذه المؤرخ الكبير ابن عساكر فى كتابه ((تاريخ دمشق الكبير))

ولست أريم مكانى جراحا ، حتى أذكرهذه النخوة الأصيلة لأم أسامة ، وقد يندر وجودها فى الرجال ، فقد سجل لها بمداد الفخر ، أن الأعداء هجموا على حصنهم مرة ، وحاصروهم حصارا شديدا ، فخرج أسامة برجاله ، وقد نصرهم الله ، وعاد الى داره يطلب شيئا من سلاحه ، وهو يقول لأمه « يا أمى أين سلاحى؟» فقالت له : يا بنى أعطيت السلاح لمن يقاتل عنا ، وما ظننتك سالما » ، قال : « فأختى أى شيء تعمل هنا » قالت : يا بنى أجلستها على الروشن وجلست برا منها ، فاذا رأيت الأعداء قد وصلوا دفعتها ورميتها الى الوادى ، فأراها قد ماتت ولا أراها مأسورة ٠

* * *

أما معاركه ومواقفه المشهودة فى الحروب ، الصليبية فانها تحتاج الى مجلدات ، وحسبنا فى الدلالة على مكانته الحربية ، أن الذين أرخوا للحملات الصليبية من الأجانب ، قد أقروا بها منصفين ـ أو مضطرين ـ كما أسلفنا ٠

بل حسبنا أن نعرف ، أنه كان المستشار الحربى والقائد العسكرى ، لنور الدين أولا ، ثم لصلاح الدين بعد وفاة نور الدين ٠ وقد بلغ من أمر نور الدين معه ، أنه لم يكن يقطع برأى الا بعد رأيه ، وهكذا كان الشأن مع صلاح الدين ، فقد أرسل اليه يستدعيه من مصر ، وكان قد أقام بها حوالى عشر سنوات، يشارك الخليفة الفاطمى الرأى والجهاد ، وأسامة فى أعلى مكانة ، وأرفع مقام ٠

ويروى أحد معاصريهما ، وهو صاحب « الروضتين فى أخبار الدولتين : النورية والصلاحية » أن العماد الأصفهانى ، كتب يقول : ان صلاح الدين كان شغوفا بأسامة ، وكان ابن أسامة جليس صلاح الدين وأنيسه، وانه لم يكن يفضل شعرا على شعر أسامة وأنه كان يستشيره فى نوائبه ويستنير برأيه فى غياهبه ، واذا غاب عنه فى غزواته كاتبه ، وأعلمه بواقعاته ووقعائه ، واستخرج رأيه فى كشف مهماته وحل مشكلاته ٠

ومن الظواهر العجيبة فى شخصية أسامة والدلالة على قوتها ، أن هذه الصلة القوية التى ربطت بينه وبين نور الدين وصلاح الدين ، لم تطغ على مكانته ، حتى لقد حدث مرة أن خرج للصيد مع الملك العادل نور الدين ، فرمى هذا أرنبا نائمة فلم يصبها ، وقامت وسبقت الى مجحر دخلته ، وجاء باز فقال لنجم الدين أبى طالب صاحب حماة : قل لفلان ـ يعنى أسامة ـ يأخذ هذا الباز يلعب به ، فقال أسامة : انه لا يحسن له ، فقال نور الدين : « أنتم فى الصيد ، وما تزالون ٠ لا تحسنون اصلاح الباز ؟ فقال أسامة : « ما كنا نصلحها نحن ، بل كان لنا غلمان يصلحونها ويتصيدون بها قدامنا » ٠

وظاهرة أخرى لا تقل غرابة عن زميلاتها ، ذلك بأن أسامة على شدته مع الصليبيين ، كان موضع اجلالهم وتبجيلهم ، حتى لقد كانوا يخلون بينه وبين كنيسة بيت المقدس ، ليصلى فيها ٠٠ وكان له من بينهم أصدقاء لهم مكانة ملحوظة ، كالملك فولك والملك بلدوين وغيرهما ، وذلك راجع الى فروسيته وفتوته ، وشهامته ورجولته ٠

مؤلفـــاته :

والمرحلة الثالثة فى حياته هى مرحلة التأليف والتدريس والشعر ، فقد اشتغل أسامة بالعلم والأدب طوال حياته ، ما انقطع عنهمـا فى فراغ أو جهاد أو صيد ، وقد كان يرى الصيد أقل همومه ، حيث يضعه موضع اللهـو والبطالة ، ولذلك كان يتمثل دائما بقـول الشاعر :

ولله منى جانب لا أضيعه
وللهو منى والبطـالة جانب

أما العلم والشعر ، فقد أخذ عليه ما فاض عن جهاده ، ذلك بأنه كان شـغوفا بكتابة القرآن الكريم ، عاكفا على جمـع الأحاديث الشريفة ، عاملا على تدريس علم « البديع » ، جامعا لأصول النحو ومشكلاته ، ويكفى أنه قضى عشر سنوات فى مستهل صباه ، يتلقى النحو على سيبويه النحاة فى عصره أبى عبد الله الطليطلى ، فضلا عن تولى أسامة أمور دار العلم فى طرابلس ، وكان يصحب أستاذه معه فى بعض رحلاته الى الصـيد ٠٠ ثم انتهى التلميذ فى شيخوخته الى تدريس البديـع والأدب فى المدرسة الحنفية بدمشق ٠

ولم يأسف أسامة فى حياته على شىء ، قدر أسفه على ضياع مكتبته ، حين عاد من مصر الى الشام ، فوقعت فى أيدى الافرنج ، وفيهـا أربعة آلاف من الكتب النفيسة ، فحز ذلك فى قلبه طوال حياته ٠

وأما مؤلفاته فقد بلغت ثلاثة عشر كتابا ، هى :

١ ـ كتاب الاعتبار وهو ترجمة شخصية له، ومذكرات بقلمه ، فى الباب الأول من الكتاب ، وهى شرح لأعماله الحربية فى سوريا ومصر، ومعاركه مع الافرنج ، ووصف أمين دقيـق لطبائعهم وعاداتهم ٠٠ وأفرد الباب الثـانى بأخبار الصيد والسباع والضوارى ٠٠ الخ ٠

ومن أحسن ما جاء فيه كلامه عن الافرنج ، وأنه ليست لديهم غيرة على نسـائهم ، وأن طبهم متأخر جدا عن طب العرب ، وأخلاقهم متبلـدة ، ينقصها الصقل والتهـذيب ، ومحاكماتهم غبية غريبة فيها بداوة وجهـالة عمياء ٠٠ الخ ، ثم لا يدع هذا حتى يقرنه بما يستحق الانصاف، والشهادة لهم فى أمورتبينها فى بعض فرسانهم ٠٠ الخ ٠

وقد طبع معظم الكتاب فى جامعة برلستون بالولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ بتحقيق الدكتور فيليب حتى ٠٠ ومن الانصاف أن نسـجل له مجهوده فى ضبط المخطوطة بالثناء والحمد ، على الرغم من بعض هنات وقعت فى الأصـل والتعليق ٠

٢ ـ كتاب « لباب الآداب » ، وهو من أنفس الكتب فىمكان الأدب العربى وألوانه، ولاسيما فى أبواب الجهاد والايمان والحرب والصبر٠٠ الخ ٠ وقد طبع فى القاهرة ، بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد شاكر ٠

٣ ـ كتـاب العصا ، وهو من أحسـن المخطوطات التى نشرتها « دار المعارف » بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٠

٤ ـ البديع فى البديع ، وهو مخطوط ٠

٥ ـ المنازل والديار ، وقد بلغنى أنه طبع، ولم أقف عليه ٠

٦ ـ النوم والأحلام ، ولا يزال مخطوطا ، فيما أعرف ٠

٧ ـ القلاع والحصون ، وهو مخطـوط أيضا ٠

٨ ـ أخبار النساء ، ولست أعلم عنه شيئا٠

٩ ـ وله خمسة كتب أخرى ، لا تزال فى ضمير الغيب ، مطمورة فى بعض الأماكن ، ومن أهمها ديوانه ، وهو فى جـزءين ، وقد أورد لنا ياقوت فى معجم الأدباء مختـارات مما وقع له، وهىتقطع بتفوقه علىشعراء عصره، بل لعلها تؤيد رأى الملحى ، وقد سـجله ابن عساكر ، تلميذ أسامة ، حين ذكر فى التاريخ الكبير « انه شاعر أهل الدهر ، ومالك عنان النظم والنثر » ٠

وقد لا يتسع المقام لذكر قدر صالح مما استقام لنا من شعر أسامة ، ولكننا نسوق الأسى ، فى نبالة أسامة وأصالته .. فمثلا عرفنا أن عمه كان يغار منه لفروسيته الفذة ، وتسبب فى اجلائه عن موطنه وحصنه ، ومع ذلك يقع زلزال فى شيزر يروح عمه فيه ضحية ، فيرثيه أسامة بجماع قلبه ، وقرارة نفسه ، فيقول :

لم يترك الدهر لى من بعد فقدهم
قلبا أجشمه صبرا وسلوانا

فلو رأونى لقالوا : مات أسعدنا
وعاش للهم والأحزان أشقانا

لم يترك الموت منهم من يخبرنى
عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا

بادوا جميعا وما عادوا فوا عجبا
للخطب أهلك عمارا وعمرانا

هذى قصورهم أمست قبورهم
كذاك كانوا بها من قبل سكانا

بنو أبى ، وبنو عمى ، دمى دمهم
وان أرونى مناواة وشنآنا

ومسك الختام ، قوله فى أثناء عودته من الحج ، وقد كتبه على جدار مسجد فى حلب :

لك الحمد يا مولاى كم لك منة
على وفضل لا يحيط بها شكرى

نزلت بهذا المسجد العام قافلا
من الغزو موفور النصيب من الأجر

ومنه رحلت العيس فى عامى الذى
مضى نحو بيت الله والركن والحجر

فأديت مفروضا وأسقطت ثقل ما
تحملت من وزر المسيئة عن ظهرى

الطريق الى الله

الأستاذ صبري يوسف عبد الجواد

لعل فكرة وجود الله هى أول مايشغل ذهن الانسان عندما ينتزع نفسه من أمور عيشه وماديات حياته ، وتهيأ له فرصة للتفكير والتأمل ٠٠ كيف وجد هذا الكون ومن أوجده ؟

ويدفع الانسان الى هذا وهو مازال فى باكورة وعيه طفلا يحبو فى مدارج المعرفة ، ويتطلع الى فهم ماحوله من مظاهر الكون ٠

انه يسأل أباه مثلا عن الدراجة التى يلهوبها ويتعلم كيف يركبها ٠ من صنعها ؟ وكيف يدير عجلاتها ٠٠ ويسأله أيضا عن هذه الشمس من أوقدها وجعلها تسير فى وسط السماء وتنتقل من هنا الى هناك ، ثم تختفى وتعود مرة أخرى ٠ ومن وضع هذه النجوم ليرصع بها صفحة السماء فى الليل ؟ ٠

وينمو الطفل وتنمو معه مداركه ومعرفته لكثير من أمور الحياة والناس ومازال يتردد فى أعماقه هذا السؤال الأول ويلح عليه بطلب الاجابة التى تقنع وجدانه النامى بعد أن قطع مراحل النمو الجسمى والفكرى ٠

ويظن بعض الناس الذين هيئت لهم فرصة الثقافة والدراسة عندما يصلوا الى هذه المرحلة أن سبيل معرفة الله شاقة ، تقتضى البحث المتعمق والدراسة الطويلة ويلجأ بعضهم الى كتب « الميتافيزيقا » ويزجون بأنفسهم فى خضم مرتطم من نتاج العقل البشرى الذى حفظته بطون الكتب فى عدد من العصور ٠ فيقرأون « لسقراط وأفلاطون وسبينون أوكانت « ٠٠ وغيرهم من الفلاسفة وهم يظنون أنهم سلكوا الطريق الرشيدة الى معرفة الله ، وفهم السر الكبير لهذا الكون العظيم ٠

وقد سلك هذه الطريق قديما كثير من الفلاسفة والمتكلمين المسلمين ، وراحوا يزيلون الصدأ عن هذه الأدوات القديمة التى استخدمتها الفلسفة الاغريقية ، ليستعملوها فى هذه الرؤيا الذهنية والكشف النفسى لوجود الله٠ فلم يصلوا من ورائه الا الى زاد من الفكر لاتستطيع أن تهضمه عقول العامة أو حتى المثقفين فى عصرهم أو بعد عصرهم فلم يكن كثير من هذا الزاد الا وسيلة لاشباع الرغبة فى البحث والتعمق فى الفكر ٠ فلا غرو أن جاء نبتا بهيجا يسر الناظر ، ولكنه عقيم لايلد الثمرة المرجوة ٠

ونسى هؤلاء جميعا تلك السبل الممهدة القصيرة التى رسمها الله سبحانه فى كتابه الكريم لكل راغب فى الهدى متطلع الى معرفة الله ٠ ونسوا أن هذه السبل هى التى تتفق تماما مع فطرة الناس واستعدادهم ، وتعبر تعبيرا صادقا عن بعض البديهيات التى تقتنع بها النفس ولا تميل الى مناقشتها لانها كالرؤيا المباشرة للعين المبصرة ٠

وهذا هو ماأرشد اليه القرآن الكريم كل راغب فى الهدى متطلع الى معرفة الله « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » انه ــ سبحانه ــ يخاطب هنا الفكر الانسانى السوى الذى لم تستبد به عوامل العوج والتصلب ليطبع فى مرآته صورة ذهنية منطقية لاتقل فى وضوحها عن تلك الصورة الحسية التى وجه النظر اليها ٠٠ وهل يستسيغ عقل الانسان السليم وهو يعرف كيف ينشىء العلقة الصغيرة من النطفة الصغيرة ، وكيف تتطور الى مضغة يتفرع منها جهاز كامل من اللحم والدم والعظم ــ كيف يستطيع هذا العقل أن يغفل القدرة الحكيمة المدبرة وراء هذا الابداع الرائع ٠

ان معرفة الانسان بقوانين تطور الجنين وانقسام الخلايا لن تضع أيدينا على سر هذا الابداع ، وانما تصف فقط واقعا لم نشهد كيف كان ولا لماذا كان ٠٠ ويوجه القرآن الكريم أنظار الناس فى كثير من آياته الى هذه الطريقة المجدية لمن يريد أن يقتنع عقله وضميره ويشرق وجدانه بهذه الحقيقة الواضحة ٠٠ فيقول فى آية أخرى سالكا نفس هذا السبيل « **فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا** » ٠٠ فيحكى لنا هنا قصة بديعة من قصص الابداع والخلق ــ قصة تتكرر وتتنوع حسب فصول السنة ، وأنواع الزرع والثمر ، ولكنها تسلك سبيلا واحدة ينمو هيكلها وتتعدد مظاهرها لا ليتسلى بها الانسان فى وقت فراغه ولكن لتقدم للناس زاد الحياة وتيسر لهم وسيلة العيش ٠

وفى آية أخرى من كتاب الله الكريم يسلك الله ــ تعالى ــ بنا طريقة أخرى لهذا الهدف المنشود وهو الايمان بوجوده والتسليم به فيقدم لنا فى هذه الطريقة دليلا منطقيا محكم البناء ولكنه لايبرز النتيجة بل يعرض المقدمات على نسق استفهامى ينتزع من فكر الانسان الاعتراف ويترك للذهن البشرى حريته ليستعمل بنفسه أداته ويستخلص بنفسه الحكم الصادق الذى يطمئن اليه ويحقق له حرية الوجدان ويفك عن ضميره الأغلال الموروثة ٠٠ يقول تعالى « **أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا ٠ وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ٠ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أاله مع الله تعالى الله عما يشركون** »

ولن يملك كل سامع أو قارىء لهذه الآيات التى جمعت بين نصاعة المنطق ونصاعة العبارة الا أن يهتز وجدانه بالحقيقة الكبرى والسر الرائع ويهتف من أعماقه ليجيب على كل هذه الأسئلة أنه الله رب العالمين ٠٠

ولابد أن يقر الانسان بذلك مالم تصرفه عن هذا الاعتراف عوامل وأسباب تعدل به عن الطريق القويم الرشيد وتحثه على أن يلتوى مع نفسه وضميره لأنه ليس حر النفس والضمير وأخطر هذه العوامل وأكثرها تأثيرا فى خنق حرية الوجدان والضغط على شغافه هو التقليد والجمود على ماورث الآباء والأجداد ٠ حيث تصبح هذه العقائد الموروثة جزءا من الذات تحسبها ضمن الحرمات التى يجب أن تدافع عنها وتحميها من كل تغيير أو تبديل ٠٠ وقد كان هذا هو ماصرح به المعارضون للاسلام رغم ماكان يغشى أبصارهم من نوره « **انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** ٠ « **واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا** » « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا** » ٠٠

ويتضح من هذا أن مشكلة الايمان ليست مشكلة العثور على الطريق واختيار الوسيلة لأن هذا أمر قد أدركه العربى القديم بفطرته حين سئل عن الله فقال : « البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ، ألا تدل على اللطيف الخبير

وطن العروبة

الشاعر محمد هارون الحلو

> « فى صيف هذا العام أصدر السيد الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بأن تكون « **التربية العسكرية** » مادة اجبارية تدرس بمدارس الجمهورية .. وذلك بعد ان مرت مرحلة الاختيار حيث بدأ تدريس هذه المادة من عام ١٩٥٧ وأصبحت الآن تعرف بمادة ((**الفتوة**)) وبها تستعد الجمهورية وتعد شبيبتها فتيانا وفتيات **للزحف المقدس** كما تسلحهم بمبادىء الفتوة الصحيحة المأثورة عن العرب ، وفى تدريس هذه المادة أخذ بقول الله تعالى : ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**)).

يومٌ ، له تتهلَّلُ الأَقدارُ ... وبهِ تفاخِرُ يعربٌ ، ونزارُ
يوم الفتوَّة ، والفتوَّة للعرو ... بة مبدأٌ ، وعقيدةٌ ، وشعار
ردُّ الكرامة للشباب ، فكلُّهم ... أَملٌ ، وعزمٌ بارقٌ ، وغمارُ
طرحوا الحياة ذليلةً ، وكليلةً ... وتوثَّبوا ، وفؤادهم هدَّار
ما كان للأَحرار أن يتمهّلوا ..! ... أبدًا !! وهل يتمهّل الأَحرار ؟!

إن يُرْخِصوا الأَرواح بذلاً فى الوغَى ... فنفوسهم فى المكرُمات كبار
نهضوا يفدّون الحمى ، ولواؤهم ... نورٌ يضىءُ على الطريق ، ونار
هتفوا ، وكان هتافهم «مصرُ» ... وهل بِسوى الحمى تتعلَّق الأَبصار ؟
فى مصر من نعم الإله بدائعٌ ... يحيا على فردوسها آذار
وبها من النفحات فيضٌ مسكرٌ ... : الظلّ ، والنسمات ، والأَسحار
فيها الرّوابى الخضْر تستلب النّهى ... وضفافهـا للعالمين مزار
فيها السّنا ، فيها الجنى ، فيها المُنى ... كم بلبل غنَّى بها ، وهزار
فيها حُماةُ الحقّ أعلام الهدى ... بسنا النبوة فى المدائن ساروا
فيها الكُمَاةُ الصِّيد ممن قدسوا ... معنى النضال ، وللكرامة ثاروا
فيها بنور الله شبتْ ثورةٌ ... وشبيبةُ الوادى هُمُ الثُّوار

* * *

إنَّا نعدُّ شبيبة عربيّـــةً ... للسلم أو للنَّقع حين يثار
للسلم منهم رايةٌ خفَّاقةٌ ... ولهم على حوض المنون نِفارُ
يتسابقون إلى النضال إذا دعا الدَّا ... عى وشـدَّ الجحفلُ الجرّار
ما عاش بين الغاب إلاَّ قسورٌ ... متربّصٌ ، أو باســلٌ مِغْوار
وترى فتاة العُرْب تحمل سيفها ... والسيف فى كلتا اليدين سوار
تمضى بهِ وتصول غير حفيّـةٍ ... فلها من الخلُق الكريم إزار
وترى سنا الإيمان يملأُ قلْبها ... فيشع منه على الجبين نهار
وتسير بين لداتِها فى عزَّةٍ ... ولقُدْسها تتخشَّع الأَبصار
تُغْرِى فتاها بالخلال كريمةً ... ودمُ الفداء لنَيْلهنَّ مهار

ولقد يكون النّجم من أترابها   فيغار منها الكوكب الدوّار
هلاّ ادّكرنا اليوم أمسِ ، وغابنا   فيه الحياةُ مذمــةٌ ، وصغار
وخيار مصر من الشباب عليهم   رصَــدٌ يقوم عليه الاستعمار

* * *

فعدونا يحظَى بأوفر نعمــةٍ   من خير ما يهوى ، وما يختار
والكادحون لهم حياةُ مذلّةٍ   : الجوعُ ، والارهاقُ والإعسار
فإذا اشتكى عانٍ تقومُ قيامةٌ   وإذا يئنُّ طحا بــهِ جبار
من كان للحرماتِ يمنع قُدْسها   وعلى الذِّمار من العدوّ يغار

* * *

ياويح من لا يستفيقُ فؤاده   فيرى ، ويبصر والمنى أبكار !
فى كلّ شأنٍ من شئونك جدّةٌ   لم تبلَ إلاّ بالهوى الأفكار
لقد استبقنا فى المجالات التى   كانت مُنًى ، والأُمنيات قصار
اليوم نحن على القناة نسوسُها   ولنا عليها رايةٌ ، ومنار
نبنى حضارتنا بفيْض معينها   والمال منها دافــقٌ ثرَّارُ
فنقيم مصنعنا ، ونرفعُ سدّنا   ولنا الصحارى جنّةٌ ، وثمار
كم آلةٍ برعتْ يمينُ صناعها   قد كان يعجزنا بها المسمار
ولقد غدونا فى التعاون أسرةً   متكافلين ، شعارنا الإيثار
نحيا سواسيةً ، فليس لموسرٍ   سرَفٌ ، وليس لمعسر إقْتار !
والمال مال الله يُجْلَبُ نفعه   للخير لا ما يكنز الأغمار

يا قوم ، ما غير الحنيفة مبدأ سمحٌ ، وما بعد العروبة دار

* * *

أَلغير قبلتنا هــوًى ، ومزارُ ويغير ثورتنا يكون قرارُ ؟
وطن العروبة فيه أَقدس أُمَّــةٍ وأَجلّ قــوم شعبها المختار
لله عهدٌ عندهم ، ورسالةٌ نصراؤها الأَبرار ، والأَخيار
من عهد آدم والخليقةُ صفحةٌ بيضاء ، للشرق المنيــع جدار
تقف الحقيقة خلْفه فى عزَّةٍ وعلى الحقيقة قامت الأَمصار
ومن « الخليج » إلى « المحيط » كنانةٌ الله فيها الواحــد القهّار

* * *

الأَرض باركها الإله ، وتُرْبها ملءُ اليديْن بهِ يفيض نُضار
وعلى الرّوابى الخضر منها جنَّة تجرى ، وتدفُــق تحتها الأَنهار
وبها نعــيمٌ دائمٌ ، وكنوزها مذخورةٌ ، وبها الجنَى المشتار
نعم بها نفَح الإله عباده ما دونها سَرَفٌ ، ولا إعسارُ
وإذا تجدّ الحادثاتُ فدونها بأْس القنا ، والصّارم البتَّارٌ
أَبناءُ يعرب أُمةٌ مذخورةٌ للجدّ يجمعهم هوًى ، وذمار
كلٌّ يشدٌّ يدَىْ أَخيه ، فعزمُهُ من عزمه ، ولواؤه ، والغار
أَيشدّ عزمَ الليث وهْو غضنفَرٌ إلاَّ بنو أَعمامه الأَخيار ؟

* * *

وَيْح الأُولى نَفِسوا علينا نهضةً ولهم غداة تفرّقوا أوطار
باعوا الحياة عزيزةً ، وكريمةً لعدوِّهم بالبخْس ، وهْو خسار
وتنكَّبوا رشَد الطريق لينْعموا بالعيش فيه مغنَمٌ ، ويسار
لم يحكُموا والأَمر شورى بينهم لكن تحكَّم فيهم الدولار !

* * *

أغراهم الشيطان ، وهو يكيدهم كيْدًا ، أيهْدى سعيهم غدّار ؟
أَنَسَوْا عدوًّا دونهم متربّص أم يا ترى غَفَلوا ، ونام الثّارُ ؟
هو ذا عدوّ العُرْب يرتع فى الحمى يرعى هواه الكاشحُ الخوّار
يا ويْل ذئبٍ تصطفيه ثعالبٌ لم يدْر ما خبأتْ له الأقدار
أبدًا تُساقيه المنى معسولةً مما يلذُّ ، ومكرها كُبّار
ويُصيبُ من روْح المدام عُلالَةً والسُّمُّ فيه لذَّةٌ ، وخمارُ
ما كان للأَعراب أن يتحملوا عبْءَ الكفاح ، وهم به كفَّار

* * *

كفروا بتاريخ العروبة ، وانتضَوْا سَيْفًا تجلّله بهم أوزار
نقضُوا المواثق والعهود ، وما لهم والشّعب حارسُها يكون خيار
حسب الوفاء فتىً يقدّس عهده ويطيب فيه البذْلُ والإيثار
يا ناصر الدين الحنيف تحيةً لك ملؤها الإجلال والإكبار
إن عشْتَ للقيم الرفيعة موئلاً فمن الفتوة سيفُك البتّار
والله جار الأَوفياء ، وحسبهم وهو المجير لهم ، ونعم الجارُ

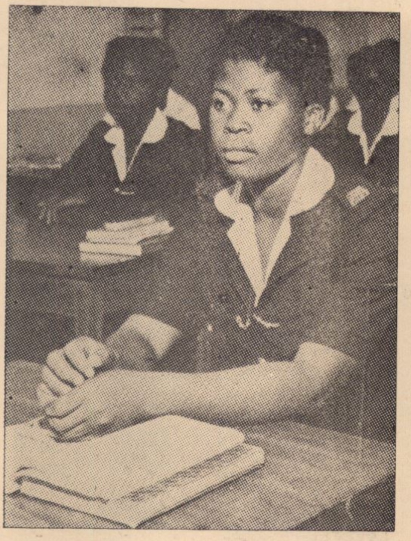

مع السيدة

سخنة ديوب

حرم سكرتير أول سفارة السنغال

فى جولتنا مع المرأة المسـلمة ٠٠ التقينا بالسيدة حرم سكرتير أول سفارة السنغال ٠٠ كان موضوع حديثنا هو المرأة السنغالية٠

مركز المرأة السنغالية :

حدثتنا السيدة « سخنة ديوب » عن المرأة فى السنغال قالت : « شقت المرأة فى السنغال طريقا صعبا لاستخلاص حقوقها ، فقد كانت شبه مهملة تشترى بالمال ولا رأى لها فى الرجل الذى يتقدم للزواج منها واذا طلقها لا يتحمل أية مسئوليات بالنسبة لها ، وكان طبيعيا أن لا يستمر هذا الوضع لازدياد الوعى بين النساء نتيجة للتعليم ، فعقد اجتمـاع نسائى وتلاه عدد آخر من الاجتماعات لبحث أحوال المرأة ٠٠ ومحاولة استخلاص حقوقها ٠٠ واستطاعت هذه الاجتمـاعات أن تحقق نتائج رائعة ٠٠ وضعت بعض القيود أمام حق الزوج فى الطلاق منعا لتفكك الأسرة الذى كان ظاهرة توصى بضرورة العلاج كمـا طالبوا المسئولين بضرورة تعديل قوانين الأحـوال الشخصية لتساير التطور الذى أصبحت عليه المرأة ٠٠ وأقيمت الندوات ، لمناقشة موقف الدين الاسلامى من كل هذه المسائل وتصحيح الأفكار الخاطئة منها ٠٠

ووافق المسئولون على تقييد حق الزوج فى الطلاق بأن يكون أمام القـاضى ٠٠ وكذلك الزواج من زوجة ثانية لا بد أن يتم بأمر القاضى ٠ وصدر قانون يمنح الأم المطلقة الحق فى حضانة أولادها مدى الحياة طالمـا بقيت بدون زواج ٠ وعدل قانون النفقة للمطلقة بالزام الزوج بدفع نفقة مدى الحياة اذا لم تتزوج غيره ٠٠

وقامت الحكومة بانتاج مكاتب الاستشارات الأسرية لحل المشاكل الزوجية ٠٠ دون اللجوء الى حلها عن طريق « بيت الطاعة » وغيره من الوسائل التى تتنافى مع كرامة المرأة ٠٠

المرأة اليوم :

واليوم أصبحت المرأة فى السنغال على قدم المساواة مع الرجل فى كل ميادين الحياة ولها

الحق أن تنتخب وتنتخب ·· وتشارك فى كل الميادين السياسية ·

وفى الوظائف لها نفس المرتب ونفس الامتيازات ·· ونفس الأعمال التى يقوم بها الرجل وهى تتمتع باحترام كبير من الرجل فى البيت ·· وهى تعمل الى جانب زوجها لكى تشاركه فى المسئولية وتربية الأولاد ·· كما أنها مقبلة على التعليم بكل مراحله ومختلف ميادينه ··

الجمعيات النسائية :

أما عن الجمعيات النسائية فى السنغال فكثيرة منها : اتحاد الشباب النسائى ، الاتحاد التقدمى السنغالى وهى سياسية ولها فروع فى كل بلاد السنغال وجمعيات لمحو الأمية ولرعاية الطفولة وجمعيات لبحث مشاكل الأسرة والصحة ·· ويتولى الاشراف على هذه الجمعيات نساء متعلمات مثقفات ·· والمركز الرئيسى لكل الجمعيات فى « دكار » ·

ما هى انطباعاتك عن الجمهورية العربية المتحدة ؟

قبل قدومى للقاهرة ·· قرأت عنها كثيرا ·· ورسمت فى خيالى صورا شتى للحياة فى القاهرة ·· وبعد أن جئت لأول مرة ·· بهرنى تقدمها الفائق فى شتى ميادين الحياة فهى قطعة من أوربا ·· بل هى أجمل من أغلب بلاد أوربا ··

ويتسم شعبها بالوفاء والاخلاص وكرم الضيافة ·· وقد شعرت أنى بين أهلى وعشيرتى ·· ولم أشعر بالغربة على الاطلاق ·

وأنا أعتقد أن تبادل الزيارات بين الشعوب الاسلامية يعود بأكبر الفائدة على المسلمين عامة ·

واختتمت السيدة حرم سكرتير أول سفارة السنغال حديثها بتوجيه نصيحة للمرأة المسلمة لكى ينشأ الأبناء تنشئة دينية سليمة ·· قالت :

لا بد أولا أن يكون الوالدان على ثقافة دينية تامة ·· وعلى وعى كامل بكل أمور دينهم ·· حتى اذا ما جاء الأبناء فى هذا الجو المفعم بالايمان والتقوى تشبهوا بوالديهم وتشبعوا بمبادئهم ونشأوا متدينين متمسكين بمبادىء الاسلام غيورين على دينهم حريصين على اتباع تعاليمه ··

أخيرا ··

ما هى الأمنية التى تودين تحقيقها ؟

أن يتكاتف المسلمون فى العالم ويصبحون يدا واحدة حتى يكونوا أعظم قوة فى العالم ·

شمعدان باسم السلطان حسن
بمتحف الفن الاسلامى « سجل ٢٧١ »

وسائل الإضاءة فى العصر الإسلامى

الأستاذة آمال العمرى

منذ قديم الزمان والإنسان يفكر فى هذا الوقت الطويل الذى تغيب فيه الشمس ويخيم فيه ظلام دامس يقعده عن أى نشاط ويحول دونه ودون الاستفادة من هذه الفترة .

ومع احتياجاته الاقتصادية وظروفه الاجتماعية أخذ يعمل الفكر فى ايجاد وسيلة تساعده على الرؤية فى ذلك الظلام المحيط ، وصدفة ساعدته الظروف فى معرفة وسيلة ينتج عنهـا شرار ونار ، فاستعمل الانسان الأول النار كوسيلة للتدفئة ، ولتقيه غائلة الوحوش الكاسرة ، ولتضيء المكان من حوله ، واستنبط منهـا وسيلة أخرى للاضاءة وهى المشاعل ٠٠ وأخذ الانسان يستعمل المشاعل كوسيلة للاضاءة ردها طويلا من الزمن فى جميع بلاد العالم ٠

وفى متابعتنا لتاريخ تطور وسائل الاضاءة حتى بداية العصر الاسلامى نجد أن الانسان قد تطور بهذه الوسائل تطورا كبيرا ظهـر فى ابتداعه لنوع بسيط من المسارج على شكل صحن صغير أو فنجان صغير من مادة الحجارة التى كثر استعمالها فى جميع مرافق الحياة فى ذلك الوقت ٠

ثم اهتدى الانسان القديم الى صناعة الفخار بعد تجارب عديدة ، ولما كان قد اعتمد عليها اعتمادا كبيرا فى تلبية حاجاته وتدبير أموره الحيوية فان هذه المادة الرخيصة كانت شاهدة على حياته اليومية ، فعمل منها مسارج مختلفة الأشكال منها ماكان على شكل وعاء مستدير له مثعب يتكون من انثناء الشفة وآخر آنية على شكل طاسة ثنيت شفته ، بحيث أصبح قابلا للامساك بذبالة « فتيلة » تستمد زيتها من قاع الاناء ، وقد يكون هذا النوع ذا عروة فى الجهة الأخرى من الاناء ، أو بدون عـروة ، وهناك نوع ثالث أكثر تطورا من النـوعين السابقين ويتألف من طاسة مستديرة أو بيضية أو لوزية الشكل ، يلتصق بها من أعلا غطاء له فوهة يصب فيهـا الزيت ، وله ثقب من الناحية الممتدة تخرج منه الفتيلة ، وهو الذى يشكل المنبع الضوئى ، ولهذا الشكل مقبض ناتيء من الجهة المقابلة أو عروة تصل بين المحيط والفوهة ٠

وقد استمرت هذه المسارج الفخارية وبلغت الأوج وظلت محافظة على مستواها ، حتى بعد أن كثر استعمال المعدن فى صنع الأوانى على شكل واسع ، فقد ظلت لصناعة المسارج الفخارية مكانتها لسهولة صنعها وقلة تكاليفها ٠٠ وأخذت تلك الصناعة تسير جنبا الى جنب مع المسارج النحاسية البديعة الاشكال ، حتى عصر متأخر من الحضارة العربية الاسلامية ٠

ولعل من أجمل وسائل الاضاءة والتزيين فى العصر الاسلامى تلك الشماعد الجميلة التى بدأ ظهورها منذ العصر الرومانى واستمرت حتى العصر الاسلامى ممثلة فى أشكال بديعة ٠

حقيقة أننا لم نجد لها أمثلة فى بداية العصر الاسلامى ، ولكننا وجدنا منها أمثلة رائعة ترجع الى العصر الفاطمى ، نذكر منها ذلك المثل الموجود بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وهو مصنوع من البرونز ، له ثلاثة أرجل تحمل قرصا ذا ستة أضلاع ، سطحه مزين بالزخارف النباتية ، والكتابات الكوفية المزهـرة المميزة لهذا العصر ، والمتضمنة لبعض الأدعية ، ومنقوش على القرص العلوى امضاء الصانع « ابن المكى »

وقد تطور هذا العنصر تطورا عظيمـا فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، وبلغ درجة كبيرة من الرقى ، فظهرت على أوجهه زخارف رائعة تتمثل فيها المميزات الزخرفية لهذين العصرين فمنها النباتية وتتمثل فى أوراق ملتفة حول بعضها ، زهرة اللوتس البديعة الشكل الصينية الأصل ، كما نجد فيه التأثير الموصلى ممثلا فى تلك الأشكال الآدمية ٠ من فارس يركب حصانه الى مناظر راقصين وراقصات بالاضافة الى الأنواع المختلفة من الكتابة العربية سواء منها الكوفى أو النسخ أو الثلث ٠

والى جانب الموضوعات الزخرفية المحفورة أو المرسومة بشكل بارز كان الصناع المصريون يزاولون طرقا أخرى لتزيين تلك الشماعد ، فقد برعوا فى صناعة التكفيت ، تكفيت البرونز والنحاس بالذهب والفضة ، لخلق رسوم تمثل موضوعات زخرفية مختلفة وذلك بان تحفر الرسوم على هذه الشماعد ، ثم تملأ هذه الأماكن

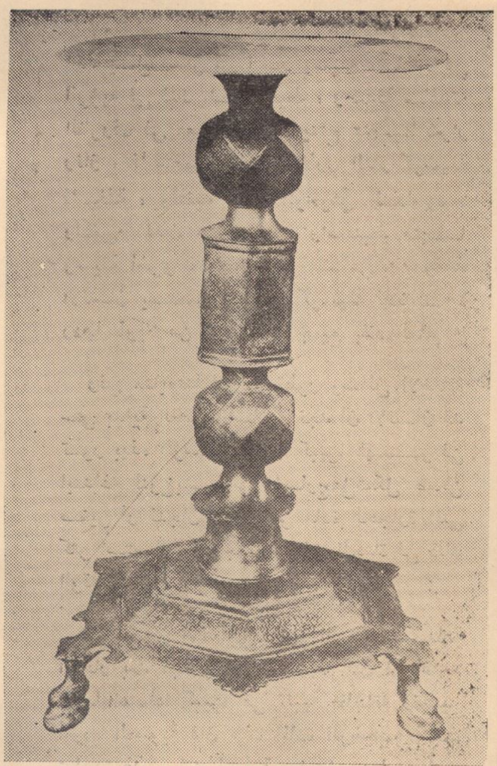

شمعدان بمتحف الفن الاسلامى
« سجل ٨٤٨٣ »

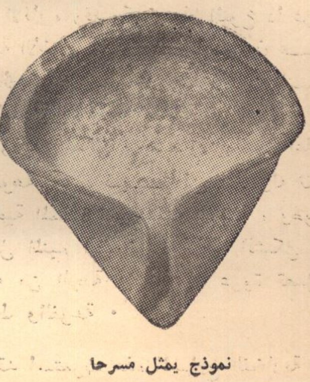

نموذج يمثل مسرجا

الناتجة عن الحفر بمعدن آخر مختلف عنه فى اللون ، ويكون عادة أغلى من المعدن الأصلى المراد تزيينه ٠٠ وقد بلغ فن التكفيت عند المسلمين غايته من الاتقان فى منتصف القرن الثانى عشر وظل محافظا على هذه المنزلة زهاء قرنين من الزمان ٠

ونذكر هنا على سبيل المثال شمعدان من النحاس موجود بمتحف الفن الاسلامى ، عليه أثر تكفيت بالفضة وخمسة أشرطة من الكتابات النسخية على أرضية مزينة بزخارف ونص الأشرطة هى :

الشريط الأول :

يدور حول البدن وهو بالخط النسخ الكبير الحروف « **مما عمل برسم الجامع المعمور ببقاء سيد ملوك المسلمين مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبى عبد الله لاجين الذى تقرب الى الله تعالى بعمارته** »

الشريط الثانى :

ويدور حول القرص الذى يعلو القاعدة وهو بالخط النسخ المتوسط الحروف بين ميداليات مستديرة مزهرة تقسمه الى أربعة أقسام : ــ

١ ــ المعروف بابن طولون
٢ ــ تقبل الله منه ذلك وأحسن ٠
٣ ــ اليه فى الدنيا والآخرة ٠
٤ ــ وجعله فى صحائف حسناته

الشريط الثالث :

ويوجد حول قمة الرقبة وهو بالخط النسخ المتوسط الحجم تقسمه ميداليات مثل سابقه : ــ

١ ــ تقرب بوقفيته على
٢ ــ جامع ابن
٣ ــ طولون فى
٤ ــ المحراب

الشريط الرابع :

ويوجد حول الجزء الأوسط من الرقبة بالخط النسخ المتوسط « **العبد الفقير الى الله تعالى شاذى بن شيركوه أثابه الله الكبير** »

الشريط الخامس :

ويوجد عند التقاء الرقبة بقرص القاعدة العلوى وهو بالخط النسخ الدقيق الحروف **« عمل على بن بكسير الموصلى بدمشق المحروسة خلد الله ملك مالكها سنة سبعة وتسعين وستماية »**

وتدلنا هذه النصوص جميعا على أن شاذى بين شيركوه قد أوقف هذا الشمعدان الذى صنع فى دمشق على يد صانع يدعى على بن بكسير أوقفه على جامع ابن طولون ، لكى يوضع فى المحراب على عهد السلطان لاجين الذى تولى حكم مصر بعد خلع الملك العادل كتبغا سنة ٦٩٦ هجرية ١٢٩٦ ميلادية ، وهو الذى قام بعمارة كبيرة فى جامع ابن طولون تناولت اصلاحه اصلاحا شاملا ، وذلك وفاء لنذر نذره لتعمير هذا الجامع حينما اختفى فى منارته وهو خرب أثناء الفتنة التى أعقبت قتل الأشرف خليل

وننتقل من هذا الى وسيلة أخرى من وسائل الاضاءة وهى التنانير أو الثريات ولقد أمدتنا كتب الرحالة والمؤرخين العرب بوصف رائع لبعض التنانير التى كانت موجودة فى العصر الفاطمى منها ماذكر من أن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله كان قد أمر بوضع تنور عظيم من الفضة على درجة كبيرة من الضخامة فى مسجد عمر بن العاص حتى أنهم كادوا يهمشون مصراعى باب المسجد عندما أرادوا ادخاله فيه ٠

ولقد بدت هذه التنانير فى العصر المملوكى فى أبهى صورة ، وبمتحف الفن الاسلامى مجموعة رائعة من هذه التنانير المختلفة الأشكال والأحجام ٠ فمنها مايتكون من طبقات متعددة لحمل القناديل الزجاجية تلتف حول جسم أوسط متعدد الأضلاع ، ومنها ماهو على شكل هرم ناقص ، ومنها أيضا ماهو عبارة عن قبة صغيرة تتدلى من نهايتها السفلية عدة سلاسل تحمل قرصا تتدلى منه قناديل الاضاءة ، وغير ذلك من أشكال عديدة يصعب حصرها فى هذا المكان ، وسنكتفى هنا بذكر بعض النماذج التى كانت شائعة الاستعمال فى ذلك الوقت ٠ فمن هذا مثلا تنور من النحاس الأصفر بزخارف

ابريق مروان بن محمد ـ العصر الاموى القرن ٢ هـ

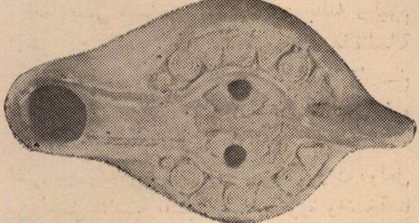

نموذج يمثل أبسط أنواع المسارج

مفرغة يبلغ طوله ٣٫٠٢ متر وقطره ٠٫٩٦ متر وله سبعة طبقات لوضع القناديل ، يعلوه شرفات وقبة صغيرة تحمل هلالا وخوذة مثل مايوجد فى أعلا بعض القباب الاسلامية بالاضافة الى ثمانية علاقات محنية الى الخارج وبوسط التنور كتابة نسخية نصها « **وأنشأ هذا التنور المبارك مولانا الامام الأعظم والملك المكرم سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والمتمردين محيى العدل فى العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين من من الله عليه بملكه وشرف وجاد بأيامه على عباده وتعطف سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان الملك الاشراف أبو النصر قنصوه الغورى عز نصره وكان الفراغ من ذلك فى شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعماية من الهجرة** « أنظر شكل ٤ »

وهناك نوع آخر من التنانير من الجائز أن نطلق عليه لفظ فانوس فهناك مدلول لهذه الكلمة ذكره القلقشندى «١» يشبه الى حد كبير وصف هذا النوع من التنانير .

والتنور أو الفانوس الذى نحن بصدده مصنوع من النحاس يبلغ طوله ٢٫٠٥ متر قطره ٠٫٣٥ متر وهو على شكل هرم ناقص مسدس الأضلاع يعلو قرصا به سبعة أشكال اسطوانية لحمل القناديل ويزين أوجهه زخارف هندسية ونباتية بديعة يحدها من أسفل كتابة نسخية تدلنا على أن هذا التنور صنع للامير قجماس الاسحاقى أميراخور كبير أى المشرف على اسطبلات الخاصة والبريد والهجن وقد عينه فى هذه الوظيفة السلطان الأشرف قايتباى فى سنة ٨٨٠ هجرية ١٤٧٥ ميلادية وقد أنشأ هذا الأمير عدة مبان ولكن لم يبق من منشآته فى مصر والاسكندرية سوى المدرسة التى أقامها فى الدرب الأحمر والمعروفة باسم جامع أبو حريبة نظرا لوجود أحد الأولياء بهذا الاسم مدفونا فيه .

وقد وجدت أن خير ما أختتم به عرض لهذه النماذج المختلفة من وسائل الاضاءة فى العصر الاسلامى هو هذا العنصر البديع المصنوع من الزجاج المموه بالمينا ألا وهو المشكاوات — والواقع أن هذه الكلمة مأخوذة من الآية الكريمة « **مثل نوره كمشكة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى .. الخ** »

وتعنى هذه الكلمة فى اللغة كل كوة غير نافذة أو كل مايوضع فيه أو عليه المصباح ، والآية الكريمة صريحة فى أن المشكاة هى المكان الذى يوضع فيه المصباح وليست المصباح نفسه .

والمشكاة كما اصطلح رجال الآثار على تسميتها تتكون عادة من كوبة تعرف باسم « قرابة » يوضع فيها الماء والزيت والفتيل وتتدلى داخل اناء مصنوع من الزجاج المموه بالمينا له مقابض بارزة تعلق فيها بوساطة سلاسل تتقابل عند كرة بيضاوية الشكل قد تكون من الزجاج وقد تكون من الخشب أو العاج وقد تكون أيضا من بيض النعام . ويخرج من أعلا الكرة سلسلة كبيرة يعلق بها المصباح فى السقف .

وقوام زخرفة المشكاوات أشرطة بها كتابات نسخية ومناطق بها رنوق أمراء المماليك أو أسماء سلاطينهم ورسوم هندسية ونباتية وفى بعض الأحيان رسوم طيور .

والكتابات التى نشاهدها على هذه المشكاوات مكتوبة بالخط النسخ المملوكى أو بالخط الثلث وهى اما قرآنية وفى هذه الحالة تتناول آيتين من القرآن « آية النور التى ذكرناها وآية « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .. الخ » واما انشائية وفى هذه الحالة تدلنا على اسم ما صنعت له التحفة وتاريخ صنعها وفى بعض الأحيان الصانع الذى قام بصنعها ، ويضم متحف الفن الاسلامى بالقاهرة أغنى مجموعة فى العالم من هذه المشكاوات ، ولعل من أجمل الأمثلة التى تعطينا صورة واضحة لما كان عليه هذا النوع من تقدم وازدهار تلك المشكاوات المنقولة من جامع السلطان حسن « ٧٦٤ هـ » ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ م .

(١) القلقشندى صبح الاعشى جـ٢ ص ١٣٠ — ١٣١

و .. موسلر
التي أصبحت
أمينة موسلر

« .. والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

صدق الله العظيم

بهذه الآية الكريمة ابتدأت السيدة أمينة حديثها عن قصة اسلامها . فقالت :

يرجع ذلك الى عام ١٩٢٨ حينما دخل ابنى – والدمع يسيل من عينيه – قائلا : لا أزيد أن أكون مسيحيا بعد الآن . بل أريد أن أكون مسلما ، وأنت أيضا يا والدتى .. عليك أن تدخلى معى فى هذا الدين الحنيف .. هذا الدين الذى يهدى الى التى هى أقوم .. هذا الدين الذى جاء بتعاليم رشيدة وأحكام نبيلة .. وحض على الأخوة والصداقة وصلة الرحم والأخذ بيد الضعيف والعطف على الفقير والمحتاج .. هذا الدين الذى ان وصفته لك. فلا أقول أكثر من أنه دين السلام .. دين الحرية .. دين المساواة .. دين للدنيا والآخرة . لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وبينها وفصلها .. حبب الناس الى فعل كل الخيرات .. وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان .

حقا يا والدتى .. اننى حينما قررت أن أوثر الاسلام على المسيحية وأعتنق هذا الدين الحنيف اعتقدت تمام الاعتقاد أنك سوف تنتقلين معى الى حظيرة هذا الدين الجديد عن اخلاص ويقين .. لأننى أعلم أنك كنت دائما تحتارين فى أسئلتى عن المسيح .. وعن عقائد المسيحيين وتقاليدهم .. وعن طقوسهم الكاذبة .. وكنت تتهربين من الاجابة حينما سألتك مرارا .. هل لله ولد ؟ وهل الاله بشر مثلنا ؟ ..

كنت أعرف أن هذا هو عين الباطل .. وكنت أيضا تعلمين ذلك .. ولكنك بالرغم من

هذا كنت تصرين على عدم الاجابة بالتهرب وبتغيير مجرى حديثنا ٠

نعم يا والدتى ٠٠ انك تعتنقين المسيحية ولكن بدون عقيدة ٠٠ وبدون اقتناع ٠٠ ولا أرضى لك ذلك التقليد الأعمى ٠٠ ولا أن تقولى كما قال المشركون من قبل « **قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** » فها أنذا قد أتيت اليك بهذا الدين المحمدى الذى يضىء لنا الحياة ويبدد بنوره الوهاج ظلمات الحيرة والشك التى رانت على قلبينا فترة من الزمان ٠

وتمضى السيدة أمينة فى حديثها قائلة :

كان هذا هو أول وقت شعرت فيه أنه لا بد أن أرتبط بالاسلام اثر حديث ولدى الى ٠٠ ومرت أيام كنت فى خلالها أراقب ابنى وهو يؤدى شعائر الاسلام ٠٠ وكنت أسمعه وهو يتلو القرآن ٠ فأعجب حينما أجد نفسى وحواسى مشدودة للانصات لما يتلوه ولدى ٠٠ كانت قوة خفية تدفعنى دفعا للانصات والتأمل والتفكر ، كان بدنى يقشعر رهبة وخوفا من خشية الله حينا ٠٠ وكنت أجد نفسى فى اطمئنان وسلام وهدوء حينا آخر ٠

ولم يحاول ابنى بعد هذه المحادثة أن يؤثر على ٠٠ بل تركنى أتأمل وأفكر ، لأنه يعلم أننى لا أقبل شيئا الا بعد اقتناع تام ٠

وأخيرا اتصلت بالدكتور س٠م٠ عبد الله٠ امام مسجد برلين الذى هدانى بدوره الى الاسلام ٠٠ وبدأت أعرف أن هذا الدين هو الصالح لى ٠٠ بل هو الصالح لكل انسان ولكل زمان ومكان ٠

لقد كان مستحيلا ـ بالنسبة لى ـ أن أعترف بالثالوثية المسيحية حتى وأنا فى العشرين من عمرى ٠٠ لقد كنت دائما أهرب من أسئلة ابنى كما حدثتكم ٠٠ كان يسأل عن التثليث والكهنوت وما نجم عنهما من عقائد كنسية ٠ مثل عقيدة سر العشاء الربانى (الأفخارسيتا)

ومنها يؤمن المسيحى عند تناوله للخبز والخمر على أنها جسد ودم المسيح تماما ٠

فهذه العقائد منافية للمنطق والعقل ولا يمكن لانسان أن يتعقلها ٠

كما أن سر الاعتراف وما ينجم عنه من وجوب اعتراف المخطىء للكاهن لينال منه المغفرة لآثامه ٠٠ والكاهن له حق منح المغفرة أو عدمها ٠٠ هذه العقائد أيضا لا يمكن لانسان عاقل دارس أن يتقبلها أو يصدقها ٠

وقد قارنت ـ بعد اسلامى ـ بين الاسلام والمسيحية ٠٠ فوجدت أن ما تقول به المسيحية من أن المسيح ابن الله ٠ **وجدت فى الاسلام أن الله واحد لا شريك له « ليس كمثله شىء » ٠٠ « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »** ٠

أما حكاية الغفران ٠ فنجد أن الله سبحانه وتعالى فى كثير من آياته يقول « **ان الله يغفر الذنوب جميعا** » « **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول** » « **ومن يغفر الذنوب الا الله** » فكيف لبشر ـ اذن ـ أن يغفر لآخر ؟ ٠٠ ان هذا الأمر لا يمكن أن يكون منطقيا أو معقولا ! ٠٠

وبعد ٠٠ فهذه قصة اسلامى ٠٠ وان كنت منذ صغرى وأنا مؤمنة بأن الله واحد لا شريك له ٠٠ كنت أعلم فى حداثتى أننى مخطئة فى اعتناق المسيحية ٠٠ ولكن لم أكن أجرؤ على تغيير دينى ٠٠ واكتفيت آنذاك أن أنشىء أولادى نشأة صحيحة ٠٠ محاولة ابعادهم عن الكنيسة بقدر الامكان ٠٠ حتى هداهم الله جميعا الى الاسلام وبعد ذلك هدانى أنا الأخرى لدينه الحنيف ٠

٠ ٠ ٠

هذه قصة أخت من ألمانيا ٠٠ انضمت الى حظيرة الاسلام ٠ انضمت لتضيف الى المسلمين فردا جديدا قويا فى عقيدته ٠٠ عزيزا باسلامه ٠٠ وهكذا ينتشر الاسلام ويعم نوره الآفاق ٠ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ٠

قصة العدد

الركن المقدس

الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

عشت احب هذا السلاملك طول حياتى .. كان فى مدخل بيت عتيق فى احد الأحياء القديمة .. حيث يزدحم السكان ويتجاورون وتطول اقامتهم .. ويحب بعضهم بعضا .

ولم يكن هذا « السلاملك » مسقط راسى ، فقد ولدت فى مكان آخر .. غير اننى احببته بسبب من كان مقيما فيه .. وكنت اذهب اليه فى الأجازات والأعياد والمواسم لألتقى بهذا الانسان الذى يسكن هذا المكان .. وكنت لا احس طعم العيد ـ وأنا صغير ـ الا على بابه أو عند ملتقى الحارات الواقعة على مقربة منه ، حيث تبدو البالونات .. اذ هى لون من المألوف فتبعث فى قلبى فرحة بعد فرحة .

ولأن هذا الانسان العزيز كان مقيما فى هذا « السلاملك » كنت أهرب اليه وأنا صغير كلما وقعت فى خطأ من الأخطاء ، وهناك .. عند هذا القلب الكبير .. كنت أحس بالأمان والضمان وروعة الحب ودفء الحنان .. وأذرف الدموع الكاذبة فتتلقفها الأنامل الحنون .. وأشكو أبى وأمى فى دلال الطفولة وحماسة هذه السن .. فتنبعث من الركن الأيمن عند الباب ضحكة مسترضية يشيع منها التحيز ويعقبها سؤال عما أطلب .. وما هى الا دقائق حتى تكون الحلوى والنقود الصغيرة تملأ يدى وجيبى ..

ولأن هذا الانسان العزيز كان مقيما فى هذه الشقة فقد أحببتها فى شبابى .. شبابى الباكر .. حين يكون كل احساس عندنا لا يعرف التوسط بل يسكن فى القصة .. فكنت أذهب اليه ، وأفتح عليه الباب فى صمت .. كأنما أخشى أن أفسد عليه بدخولى أمرا من الأمور .. وفى الركن الأيمن عند الباب .. أجد هذا الانسان العزيز نائما فى شبه طفولته أو مستيقظا يسبح الله أو محتضنا

طفلا من أبناء خالى أو أبناء الجيران ٠٠ وعلى الشفتين ابتسامة تحمل ذكريات عمر طويل لا يقل عن خمسة وستين عاما ٠٠

أما هـذا الانسان العزيز فهو جـدتى لأمى ٠٠! وكانت مقيمة فى البيت الذى شهدت فيه أمى ـ بالطبع ـ ذكريات شبابها وخطبتها وزواجها ٠٠ وكان خالى لا يزال مقيما فيه ٠٠ وصورة جدى فى جبته وقفطانه معلقـة تجاه عينيها تنظراليها بعينين كبيرتين سلب نورهما الزمن وتسحب المسبحة من تحت الوسـادة وتدعو له بالغفران ٠٠!

فى هذا الركن ٠٠ وعند هذه السيدة طالما شكوت متاعبى ومخاوفى ٠٠ ونثرت أحلامى وآمالى وأنا وان كنت قد سبقتها بحكم زمنى ـ فرأيت نور الحضارة ومارست حرية الرجـل وسبحت فى نور العلم ـ الا أننى كنت أشعر أن هذه السيدة تتفـوق على بشىء لا يكتسب بالتعليم ٠٠ فقد كانت قادرة على أن تقـرأ أفكارى وقادرة على أن تشعرنى بأننى صغير ٠٠ نعم صغير ٠٠ لا أزال حتى هذه السن التى بلغتها ـ العشرين ـ محتاجا الى مشورتها ٠٠

وبالطريقة التى كانت تقدم لى بها النقـود الصغيرة وأنا طفـل كانت تبذل لى نصائحها ببساطة وأنا شاب ٠٠

وهناك مشكلات كنت لا أستطيع أن أقصها على أبى ولا أمى ٠٠ وعندما أشرع فى سردها عليها وتمسك هى بأول الخيط تحدثنى وكأنها من أندادى ٠٠ عندئذ عرفت لماذا يحبها خالى ٠٠ ولماذا تشعر أمى أمامها بذوبان الشخصية ٠٠ نعم ٠٠ كنت أفكر فيما أقدمه لها لقاء هـذا الفيض من الحب الذى تبذله لى ٠٠ فكنت اذا سهرت جنبها فى الليالى الباردة أصر على أن أصب ماء الوضوء الدافىء بيدى على يديهـا وقدميها ٠٠!!

وأمسك بالمنشفة فأجفف أقدامها الصغيرة حتى لا يقسو عليها « الروماتزم » وتبتسـم جدتى طيبة وهى تدعو لى ٠٠ وفى تجـاه القبلة حيث كانت جدتى تتجـه الى الله فى صلاتها كان على الحائط لوحة زجاجية صغيرة كتبت عليها آية الكرسى بلون فضى ٠٠ وكانت جدتى تقرأ هذه الآية فى بعض صلواتها أو قبل أن تأوى الى الفراش ٠٠ فكنت أنظر الى الكلمات المكتوبة فيخيل الى أنها بحروف من النور ٠٠ نعم بحروف من النور ٠

وكمـا كنت أعتبر أبى كنزا يحمينى من الحاجة ٠٠ وأمى قلبا يحرس هذا الكنز فقد كنت أعتبر جدتى هـذه الروح الذى يظلل الجميع ٠٠

آه ٠٠ نعم ٠٠ لكننى كنت أخاف عليهـا عوادى الشيخوخة ٠٠ فطالما أقعدها فى برد الشتاء ألم المفاصل ، وأرقها السعال ، وأشياء أخرى كانت تقاومها باليقين وهى تنظـر بعينين وادعتين الى صورة جدى المعلقة تجاهها فى أبهة الشباب وابتسامة لم يقهر سحرها الا الموت ٠٠

وفى ليلة من ليالى فبراير فتحت عليهـا باب حجرتها ٠٠ فرأيتهـا فى الفراش وخالى عند قدميها ٠٠ وبرزت من أحد أركان الحجرة زوجة خالى وهى تحمل فى يديهـا شيئا لم أتبينه ٠٠ لكن وجههـا أمرنى بالخروج ٠٠ ونظرت نحو الركن الذى طالما أسعد قلبى فى كل مراحل عمـره فرأيت جدتى فى الغيبوبة الأخيرة فلم أطق البقاء !!

ولعلك بعد ذلك غير محتاج الى أن أقول لك أنها قد ماتت ٠٠

ولا لأن أصف أثر ذلك فى نفسى !٠٠ لكن الذى حدث بعد ذلك وأهمنى هو تغيير نظام غرفتها ٠٠ وعدوان الحيـاة على الركن الذى كانت تجلس فيه ٠٠ فلم يلبث فراشـها أن غاب ورفعت عن الحائط صورة جـدى وآية الكرسى حيث نقلتـا الى مكان آخـر ٠٠ وأصبح الشباك الذى كان نصف مغلق مفتوحا على مصراعيه باهمال ٠٠ وللمرة الأخيرة نظرت منه الى المئذنة المواجهة له ٠٠ الناهضـة فى السماء بجلال يحمل طابعا تاريخيا جميلا ٠٠ ثم ٠٠ لم أدخل هذا البيت بعد ذلك ٠٠ فلقد

أجر خالى هذا (السلاملك) .. استغنى عنه..!
وطالما وقفت قليلا أثناء مرورى بجوار النافذة المعهودة .. كأننى على وشك أن أسمع صلاتها أو سعالها أو نداءها على طفل .. ثم .. لا ألبث أن أذكر .. أذكر أنها ماتت .. وأنها ألقت على صورة زوجها المعلقة تجاهها على الحائط نظرة تبشر باللقاء ..! وكنت أتخيل أى قطعة من قطع الأثاث قد شغلت هذا الركن المقدس، فيعجز خيالى ..!

* * *

ومرت الأيام التى تنسى الناس اشياء كثيرة حتى ملامحهم الشخصية فى احدى صورهم الفوتوغرافية القديمة !

وكبرت .. وسافرت الى الوجه البحرى مشرفا اجتماعيا فى احدى المدارس .. ورأيت صورا من الناس .. وكلما رأيت صورة طيبة لانسانة بسيطة .. ذكرت جدتى ..!

ثم عدت فى احدى الاجازات .. فرأيت على أمى طابع فرحة جديد .. فرحة قلب كان فى ضيق وانفرج فجأة .. ورأيتها بادية البشر كأنما صغر عمرها عشرة أعوام .. ومن ملابسات الحديث الذى جرى فى السهرة بينها وبين أبى .. عرفت أن مبلغا من المال قد دخل بيتنا على غير انتظار، وأن هذا المبلغ حل أزمة شديدة هى .. الاسهام فى جهاز أختى ..!

وكانت أمى تتحدث بسعادة عن المفارش والملايات والصينى والنحاس .. فى الوقت الذى كان ذهنى مشغولا فيه بالتفكير فى مصدر هذا المبلغ .. حتى سئمت فسألت أمى عن القصة ، ثم ما لبثت أن اعترانى وجوم يوازن فرحتهم عشر مرات ..! وكانت أمى لا تزال ترد على بقية القصة فى نبرات عادية لكنها مرتاحة ..

— ان بيت جدتك « طلع فى التنظيم » ... أصبح شارعا .. وقد أخذنا التعويض من الحكومة من خمسة أيام فقط .. رزق جهاز أختك ..! فقلت فى وجوم :

— مبروك ..

* * *

وفى اليوم التالى خرجت .. كأنما .. لألقى جدتى .. باللهفة التى كانت تدفعنى وأنا طفل .. حين كنت أذهب شاكيا أو هاربا .. فأعود بالحلوى والنقود الصغيرة .

حتى دخلت الحى .. فاذا كل شىء قد تغير بعد أن غاب بيت جدتى فى فضاء الشارع كما يبتلع البحر سفينة كبيرة .. ووقفت قريبا من الزاوية .. ونظرت الى المئذنة التى تنهض فى جلال تاريخى .. وخيل الى بعد ذلك أننى طفل فقد نقوده فى التراب ..!

عن ماذا كنت أبحث ؟!

عن سنوات وذكريات .. سنوات مرت كما ينقضى الحلم والذكريات .. كانت كلها عن جدتى ..

وبدأ لى أن أعرف أين يقع بالضبط مكان فراشها القديم من أرض هذا الشارع الآن .. فذهبت الى باب الزاوية وأخذت أقيس الأرض بالخطوة حتى وصلت الى بقعة تأكدت انها هى التى كانت تجلس فيها هذه الانسانة التى لن أنساها .. وقلت فى نفسى :

« هنا .. كانت تجلس .. وكنت أصب بيدى الماء الدافىء على يديها لتتوضأ .. وكانت تنظر الى الصورة .. وتدعو لى .. وتنام وعلى وجهها طيبة الملائكة » ..

وكففت .. ودمعت عينى .. وفحصت البقعة جيدا .. فاذا بها وقد زرعت فيها شجرة خضراء .. كان النسيم يهفو بأوراقها فترفرف وكأنها الروح ..

وتنهدت وكانت الشمس قد غابت تماما .. وحين رفعت بصرى ثانيا لأرى غصون الشجرة كان صوت ندى يشق المساء من فوق المأذنة وهو يهتف : « الله اكبر .. الله اكبر .. »

في ذكرى النصر

الجلاء

الشاعر عبد الله شمس الدين

الليل ... ليْلُ الناقمين عرفتُهُ
عانيْتُه منذ الصِّبا ... وسهرتُهُ
الليل ... ليل الثائرين ... عيونهم
جَمْرٌ تطاير في الديّاجي مقْتُهُ
والفجر ... فجْرُ الظافرين ... توافَدَتْ
طلعاتُه ... وعجبْتُ كيف رأَيْتُهُ ؟ !
صافحتُه بخواطري خلف المدى
واليومَ في العلياءِ قد أدركْتُه ؟ !
أقسمْتُ لولا أنني بمدامعي
قبّلْتُ غُرَّتَه لما صدَّقْتُهُ
يا أيُّها الماضي وذكرى عهده
كابدْتُ منها بعد ما كُبِّدْتُهُ

يا عهد «كيلرْنٍ» وذكرى حُمْقِهِ
هيهات أنسى الجُرْمَ ما ذُكِرْتُهُ

* * *

وطنى الذى يُنْمِى الزهور ... بعَهْدِهِم
كان المشانقَ والجماجمَ نبْتُهُ
ياعَظْمَهُمْ فى «دنشواى» ... ولم يَزَلْ
تحت التراب مدى الزمان يَفُتُّهُ
أنا لسْتُ أذكر طغوهم كلاَّ ... ولا
هذا الدَّمَ الحُرَّ الذى أهرقْتُـهُ
فالفجر أشرق بالسلام ... ومَنْ أتَوْا
بالليل قد ذهبوا به ... فَوُقِيتُه

* * *

قم يا «عرابى» للجلاءِ مصافِحًا
إنِّى بظـلّ «جمال» قدْ غنَّيْته
واهتِفْ به يا «مصطفى» ... إنَّ اللوا
قد عاد ثانيـةً يُدوِّى صوتُهُ
عادت لأَهْليها البـلادُ طليقَـةً
وأَنا ابنُ وادى النيل ... قد حَرَّرْتُهُ
إنْ كنتُ عانيْتُ الظلومَ وظُلْمَهُ
فلقد أَبْدتُ ظلامَهُ ... وأَبْدتُهُ

٢٠٠ الف مسلم في الكونغو

قابل السيد / محمد طالب رئيس الرابطة الاسلامية بالكونغو الذى يزور القاهرة بدعوة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بعض كبار المسئولين فى القاهرة .. وقد دار الحديث فى هذه المقابلات حول تقوية اواصر الروابط الاسلامية بين المسلمين فى الجمهورية العربية وزملائهم فى الكونغو ويبلغون ٢٠٠ الف مسلم ..

وقد شكر الزعيم الدينى بالكونغو رعاية الجمهورية العربية المتحدة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر للحركات التحررية كما اشاد بمجهودات المجلس فى خدمة الدعوة الاسلامية .

وقال الزعيم الدينى :

ان الاستعمار البلجيكى حرم على المسلمين اى نشاط دينى ولم يسمح لهم باقامة المساجد والمدارس .. ولكننا سنحصل على حقوقنا كاملة فى عهد الحرية والاستقلال .. وسنقيم المساجد ونفتح المدارس ليتعلم فيها ابناء المسلمين الدين واللغة العربية .

هذا وقد أهدى المجلس لمسلمى الكونغو مكتبة اسلامية كاملة والمصحف المرتل واسطوانات الصلاة .

السلال يطلب تدويل الحرمين الشريفين

اعلن القاضى محمد الزبيرى وزير المعارف اليمنى فى الحفل الذى اقيم لتكريم الطيارين الأحرار – من الاردن والسعودية – انه يحمل نداء بتوقيع الرئيس عبد الله السلال الى دول العالم الاسلامى جميعا بأن الثورة اليمنية تدعو جميع الدول الاسلامية الى أن تتعاون معها فى أن يكون حكم الحرمين الشريفين حكما دوليا اسلاميا ، تهيمن عليه كل دول العالم الاسلامى .

بيان مشايخ أروقة الازهر للسفارات الاسلامية والعربية بالقاهرة

عقد مشايخ أروقة العالم الاسلامى بالازهر اجتماعا برئاسة الشيخ احمد الكميشى شيخ المغاربة .. واستعرضوا فى المؤتمر الموقف العدائى للملك سعود من قضايا الاسلام والمسلمين والجمهورية العربية اليمنية .. وقد أصدروا بيانا بعثوا به الى جميع السفارات الاسلامية والعربية فى القاهرة جاء فيه :

أيها المسلمون فى كل مكان .. ان العالم يتطلع اليكم اليوم وانتم اكثر من ٧٠٠ مليون مسلم لتبينوا موقفكم من سعود الذى بغى وطغى وأشعل نار الفتنة فى اليمن المباركة يحاول القضاء على الحركة الاصلاحية والثورة العسكرية التى قامت لخير العرب والمسلمين.

ان سعودا يريد ان يمزق الوحدة الاسلامية وذلك بقطع علاقاته مع الجمهورية العربية المتحدة قاعدة التحرر فى الشرق الاسلامى كله بل وفى العالم الاسلامى جميعه .

كما جاء فى البيان ..

أيها الحجازيون الأحرار .. ان الله أنبت فيكم الدعوة الاسلامية واختار من بينكم نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – رسولا للاسلام والحرية ، والرسول يناديكم ان تطهروا ارضكم من الذل والعبودية وان تحطموا الأغلال السعودية وتزيلوا عن طريق الوحدة العربية الاسلامية سعودا عميل

الاستعمار والرجعية الذى يقف حجر عثرة فى سبيل الوحدة العربية ..

كيف تقبلون على أنفسكم الطغيان السعودى .. قربوا ساعة الخلاص واقذفوا بهذا الطغيان فى قاع البحر وقولوا لسعود وحاشيته ما قاله جدكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه **« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ! »** .

قوة المسلمين فى وحدتهم

وجه الامام الاكبر شيخ الازهر بيانا الى شعوب وزعماء العالم الاسلامى بمناسبة المؤامرات التى تدبرها الرجعية على حدود اليمن ..

وقد ناشد فضيلة الامام الأكبر فى بيانه العرب والمسلمين فى جميع انحاء العالم حرمة الدماء التى تراق على أراضى اليمن ، كما حذرهم من الاستعمار الذى يعمل على تفريق كلمتهم واشاعة البغضاء بينهم .

الأزهر يحتفل بعيده الألفى

يستعد الجامع الأزهر للاحتفال بعيده الألفى خلال احتفالات القاهرة بعيدها الألفى.

كبار القراء
يتناوبون القراءة فى المساجد

تقرر وضع نظام جديد يقضى بأن يتناوب القراء المشهورون قراءة سورة الكهف اسبوعيا بصفة دورية فى مساجد القاهرة والأقاليم ولا يلتزم كل واحد منهم بمسجد خاص كما هو متبع الآن .

لندن تتوقع
ثورات فى السعودية والاردن

صرح (وليام بيتس) رئيس الوفد البريطانى الذى زار اليمن أخيرا ـ بأن الوفد سوف يذكر للمسئولين فى لندن أن ثورة اليمن مسيطرة تماما على جميع المدن والمرافق فى اليمن ..

كما صرح بأن ثورة اليمن قد انتصرت ولابد من اعتراف بريطانيا بها ..

وقال أيضا أن ثورة اليمن تهز عرشى سعود وحسين وستهب ثورات مماثلة فى السعودية والأردن .

اكبر مسابقة للطلاب

❊ بدأ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الاختبار الشخصى للمسابقة الصيفية الثانية لطلاب الجامعات بالقاهرة والاسكندرية وعين شمس وأسيوط وطلاب المعاهد العليا والأزهر الشريف فى يوم الاثنين الموافق ١٧ـ١٢ـ١٩٦٢

❊ وقد تقدم لهذه المسابقة عشرون ألف طالب وطالبة من شباب الجمهورية العربية المتحدة وشباب مبعوثى العالم الاسلامى بزيادة ١١ ألف طالب وطالبة عن مسابقة العام الماضى التى تقدم لها تسعة آلاف طالب وطالبة .

❊ عدد الأبحاث ٣٠ بحثا

❊ عدد الفائزين ٦٠٠ ، ٣٠٠ سيتقاضون جوائز مالية

❊ و ٣٠٠ جائزة من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

❊ قيمة الجوائز المالية ٤٥٠٠ جنيه بواقع عشر جوائز مالية عن كل بحث .

الفائز الأول	٥٠ جنيه مصرى
الفائز الثانى	٣٠ جنيه مصرى
الفائز الثالث	٢٠ جنيه مصرى
الفائز الرابع	١٠ جنيهات مصرية
الفائز الخامس	١٠ جنيهات مصرية
الفائز السادس	٥ جنيهات مصرية
الفائز السابع	٥ جنيهات مصرية
الفائز الثامن	٥ جنيهات مصرية
الفائز التاسع	٥ جنيهات مصرية
الفائز العاشر	٥ جنيهات مصرية

❊ وستعلن النتيجة بالتفصيل فى العدد القادم من منبر الاسلام .

ندوة الشهر

الاشتراكية فى الريف أساس المجتمع السليم

من قلب الريف ..

من واقعنا ومن عاداتنا ..

فى الوحدة المجمعة بميت رهينة .. احدى القرى الأثرية فى الجمهورية العربية المتحدة ..

حيث يلتقى مجد التاريخ بالمواريث الدينية والتقاليد الاجتماعية ..

التقيت بشعب الريف الأصيل فى الندوة التى اقامها السيد / محمد احمد البلتاجي محافظ الجيزة ، وكانت بعنوان « الاشتراكية فى الريف اساس المجتمع السليم » .

ادار الندوة السيد المحافظ .. وقدم للحديث فيها :

١ - الدكتور جابر عبد الرحمن جاد عميد كلية الحقوق بجامعة القاهرة .

٢ - الشيخ احمد الشرباصى المدرس بالجامع الأزهر .

٣ - الدكتور على فؤاد أحمد العضو الفنى بمكتب نائب رئيس الجمهورية .

دكتور جابر جاد :

عندما أتكلم عن الاشتراكية لا أستطيع ان انسى ما كان عليه مجتمعنا الريفى فى قريتى .

لقد حدثت قصص تركت فى نفسى آثارا لا تمحى .. قصص من واقع الحياة ..

سجن الشاكى

ولم انس كذلك الأرض الواسعة التى كان يمتلكها احد الاقطاعيين وفى وسطها كان يمتلك رجل فدانين اثنين .. الاقطاعى اخذ يغرى المالك الصغير بالمال ليبيعه الفدانين ، فلما رفض اغلق الترعة عليه حتى لا يروى ، وراح الصغير يشكو الكبير للنيابة **فكانت النتيجة أن أودع الشاكى السجن ، بينما المشكو مطلق السراح ..**

دعاء الملايين

كنت أقول فى نفسى .. أما لهذا الليل من آخر ؟.. أليس من فجر جديد .. اليس من انصاف لهؤلاء المظلومين ؟.

وكان هذا أيضا دعاء الملايين ومن بينهم جمال عبد الناصر ..

وجاء جمال عبد الناصر وفى صدره آمال عريضة .. هدفه تحرير الوطن والمواطنين .

تحرير الوطن من الاستعمار واستبداد الملكية الطاغية ..

الدكتور جابر جاد

كان لابد من القضاء على الإقطاع لتحرير الشعب سياسيا واقتصاديا ..

الدكتور على فؤاد

مفهوم الاشتراكية أنه يكون لكل انسان كرامة فى بلده ..

الشيخ أحمد الشرباصى

نحن جميعا عباد الله وكلنا مشتركون فى نعمه .. وتلك دعوة الاشتراكية ..

يقدمها : عبد الرحمن الشربينى

وتحرير المواطنين من الظلم الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ..

كان هناك دستور سنة ٢٣ ، ودستور سنة ٣٠ .. وكان هناك برلمان .. وفيه أن الناس سواسية أمام القانون وفيه حرية كذلك .. كلام مكتوب .. لا يعبر عن الواقع فى شىء .

القضاء على الاقطاع

لكى أكون حرا فى رأيى السياسى لا بد ان اضمن لقمة العيش .. ولا أتصور أبدا أن يستطيع الزارع فى الأرض أن ينتخب الا ما يأمره به الاقطاعى ..

اذن كان لا بد من القضاء على الاقطاع المسيطر على الناس والموجه لهم كيفما يريد ..

داحية الفرخة

اذكر ان مناقشة حدثت فى البرلمان حول الغاء ضريبة الخفر .. وكيف قام أحد النواب متحمسا وهو يقول .. لا تلغوها .. فان الفلاح يستطيع أن يسددها من داحية الفرخة .. يقصد بيضة الفرخة .. كان النائب يومها يستكثر البيضة على الفلاح ..

وكنا اثنين فقط من بلدتنا نتلقى العلم .. ورغم هذا كان فى بلدنا اقطاعى يقول .. من اذن سيزرع الأرض ..

ولهذا .. كان لا بد من القضاء على الاقطاع لتحرير الشعب سياسيا واقتصاديا ..

ولهذا .. أصدرت الثورة قانون الاصلاح الزراعى .. يحدد الملكية .. وما يزيد تأخذه الدولة بالتعويض لتوزعه على من لا يملكون ..

وكذلك .. أقمنا السد العالى .. ولو أنه سيكلفنا الكثير .. الا أنه سيصلح مليون فدان نملكها لمن لا يملكون ..

اشتراكية من ظروفنا

هناك اشتراكية عكس اشتراكيتنا .. الناس كلهم أجراء يعملون بالأجر .. أما اشتراكيتنا فقد قامت على أساس ظروفنا ..

ظروفنا تختلف .. الفلاح عندنا يحب الأرض .. انه يوزع الشربات يوم ان يحضر له مهندس المساحة ليدق الحديد فى الأرض .. **ولذلك قامت اشتراكيتنا على أساس تمليك من لا يملكون ..**

وقامت اشتراكيتنا كذلك على أساس تقريب التفاوت بين الدخول .. فلم يكن

يصح أن ٥٪ من السكان يملكون ٩٠٪ من الأرض .. لقد كان هذا الوضع مختلا .

كذلك كان تكافؤ الفرص هدفا من أهداف اشتراكيتنا .. الفرص متاحة للجميع .. المدارس مفتوحة لابناء الشعب جميعا .. عمل متوفر للجميع .. علاج ميسور للجميع .. القرى جميعها مزودة بكافة الخدمات .. الكهرباء .. المياه الصالحة للشرب .. كل هذه المرافق لا بد أن تكون فى متناول الشعب جميعا ..

التعاون وسيلة الاشتراكية

كيف اذن نحقق الاشتراكية فى الريف ؟.

ليس من وسيلة لتحقيق الاشتراكية فى الريف أحسن من وسيلة الجمعية التعاونية ..

صغار الفلاحين .. من أين يحصلون على البذور والسماد والمحراث ..

لا بد أن نهيىء لهم كل هذا بوسيلة معقولة بعيدة عن المرابين .. وكل هذا متوفر فى الجمعيات التعاونية ..

ولو كانت هناك جمعية تعاونية للتأمين .. لأخذ مبروك « ابو عبد الدايم » جاموسة غير التى ماتت فى اليوم التالى ..

تسويق الحاصلات .. التجار يستغلون الفلاحين .. ولو كانت الجمعية تجمع المحصول مثلا وتبيعه فى الاسواق لكان المحصول يباع بثمن مناسب ..

اذن فالنظام التعاونى هو الحل لحل مشاكل الفلاحين جميعا .. من امداد وتأمين وتسويق ..

والتعاون تاريخه فى بلادنا لم يكن يشجع .. فقد استغله فئة من الانتهازيين .. وأستطيع أن أقول أن حكومة الثورة قد ذللت كل شىء فى سبيل التعاون .. انشأت المؤسسة التعاونية الزراعية لتساعد الجمعيات .. تمدها بالمال .. بالخبرة الفنية .. المراجعة .. المفتشين لحماية الجمهور ..

وبذلك ستكون الجمعية التعاونية أداة لزيادة الانتاج .. كما ستكون اداة لتحقيق الديمقراطية بين أعضائها لأنها ستعمل على المساواة بينهم جميعا فى جو من المحبة والتعاون ..

الشيخ أحمد الشرباصى

يعلن السيد الرئيس فى كل مناسبة أن اشتراكيتنا العربية من واقعنا وعاداتنا وتاريخنا ..

ويمكن أن نجزىء ذلك الى جزئين : الاشتراكية غير المستعارة من الخارج .. وانها تتفق مع مواريثنا الدينية وعقائدنا الروحية .

لقد نشأت فى قرية من بيئة مكافحة .. ومن مظاهر كفاح بيئتنا نعرف أن اشتراكيتنا من هذه البيئة .. والمظاهر كثيرة تدل على ذلك .. وستبقى فينا نحن ابناء الشعب فى صميم الريف ..

روح الاشتراكية

الريف لم يكن يعرف كلمة الاشتراكية .. ولكن روح الاشتراكية بملامحها كانت موجودة فى هذا الريف ..

خذ مثلا حينما يكون هناك فرح فى الريف .. مظهر اشتراكى كبير .. فى حفلة الخطوبة يجتمع أهل القرية منهم من يحمل الهدايا .. ومنهم من يحمل الشربات ومنهم من يوزع .. ومنهم من يخدم ..

كذلك فى ليلة الزفاف .. منهم من يقدم شيئا من النقوط ومنهم من يقدم الهدايا يوم الزفاف ..

فاذا كان هناك مأتم انشغل أهله بالبكاء والحزن عليه .. أما أهل القرية فيقومون بعمل الصيوان واستحضار الكراسى والاتفاق مع القارىء واستقبال المعزين من البلاد الأخرى ، وتهيئة المبيت وتوفير الطعام لهم ..

لو صاح صائح بأن فى القرية حريقا ينهض جميع أهل القرية نساء وشبانا .. صغارا وكبارا .. كل على قدر ما تقع عليه يده ليشتركوا فى رفع خطر هذا الحادث وليخففوا من وقعه على صاحبه ..

كل هذه مظاهر من مظاهر الاشتراكية الطبيعية الكامنة فى الريف ..

واذن عندما ياتى الرئيس ويقول ان اشتراكيتنا نابعة من اعماقنا فنحن نصدقه على طول الخط .. لأن الفلاح هو الذى يمثل غالبية هذا الشعب ..

مشاركة طبيعية

لقد كان العربى فيما مضى يوقد النار فى الليل لترشد من لا يجد مأوى ، فيجد الى جوار النار من يرعاه ويساعده ..

ووجدنا من العرب من يقول للعبد .. هذه النار ان جلبت ضيفا فانت حر ..

العربى كان يأنف أن يأكل بمفرده .. ونحن سلالة هؤلاء المفطورين على الخير والنجدة .. فطرة المشاركة الطبيعية ..

والآن .. ما هو مدى مطابقة اشتراكيتنا لواقع أمرنا كما يقول السيد الرئيس ؟..

نحن نبنى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ..

المجتمع .. يعنى الجماعة .. الدولة .. ويكفينا ان الرسول يقول فى ذلك .. يد الله مع الجماعة .. الشيطان من الواحد اقرب .. ومن الاثنين ابعد .. لا تجتمع امتى على ضلال ..

ديمقراطية من الدين

وكلمة الديمقراطية .. ديننا يزكيها .. لا فرق بين سادة وسوقة .. **يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** .. ليس لابن ابيض على ابن اسود فضل الا بالعمل الصالح .. الناس كلهم سواء .. **وان ليس للانسان الا ما سعى ..**

يقول أبو بكر .. ايها الناس اطيعونى ماأطعت الله فيكم .. فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ..

ويقول عمر .. لو عثرت دابة فى شط الفرات لخشيت ان أسأل لماذا لم اعبد لها الطريق ..

الدين .. والتعاون

وكلمة التعاونى .. ديننا هو الذى أسس التعاون ..

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ..

الناس بخير ما تعاونوا .. الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه .. ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ..

الاسلام دين الاشتراكية

وكلمة الاشتراكية .. نجد ان ديننا هو دين الاشتراكية .. الاشتراكية عدالة اجتماعية .. وتقارب بين الطبقات .. وهما أساس الدعوة الاسلامية ..

هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا .. وجعلنا لكم فيها معايش .. فاذا قضيت الصلاة فانتشروا .. جعل لكم الأرض ذلولا .. والخطاب فى كل من الآيات الكريمة موجه للجميع وليس لنفر دون نفر .. لاننا عباد الله جميعا وكلنا مشتركون فى نعم الله ..

الأساس فى الملكية

والملكية التى يحترمها الاسلام هى الملكية التى لا تضر بالغير .. فاذا استعمل المالك ملكيته فى الاضرار بالغير اجاز الاسلام الاستيلاء عليها وتعيين حارس عليها ..

كذلك أجاز الاسلام مصادرة أموال بعض الناس بدون تعويض فى حالة الحرب والتعبئة العامة ..

ذلك لأن الناس شركاء فى ثلاث .. الماء والنار والكلأ .. وهم المنافع العامة فى المجتمع العربى ..

وحسبى أن أردد قول المرحوم احمد شوقى فى مجال الاشتراكية ..

الاشتراكيون انت امامهم
لولا دعاوى الجهل والغلواء
البر عندك ذمة وفريضة
لا منة ماخوذة وجباء
انصفت اهل الفقر من اهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء

الدكتور على فؤاد

منذ عهد المسيح حتى عهد الثورة .. منذ عهد الهكسوس .. لم يحكمنا حاكم من أهل البلاد فما معنى هذا ؟

معنى هذا أننا كنا نعيش فى بلد لا دخل لنا به ولسنا محسوبين فيه ..

لا يستمع للرعاع

منذ حوالى الخمسة والثلاثين عاما سأل أحد الصحفيين رئيس الوزراء وقتئذ عن بعض مطالب الشعب .. فقال رئيس الوزارة .. أنا لا استمع الى الرعاع .. أنا استمع لأصحاب المصالح الحقيقية ..

لم يكن الشعب فى نظر الحاكمين سوى رعاع ليس لهم تقدير أو كرامة ..

والاشتراكية اليوم تحاول أن تحقق لكل انسان كرامته .. كل انسان له كرامة فى البلد التى يعيش فيها ..

الفارابى وأفلاطون كانا يحلمان بالمجتمع الفاضل .. ولكن ذلك كان مجرد تمنيات ..

وفى سنة ١٩٢٤ قال سعد زغلول ستتغير الأمة وتتقدم بعد ٢٠ سنة .. ومرت السنوات العشرون والأمة لم يتغير فيها شىء ..

الاشتراكية كرامة

اما اليوم .. نقول سنعمل فنعمل ..

الكرامة الانسانية تتحقق بالعمل ..

الذى يعمل عنده كرامة .. والذى لا يعمل ليس له كرامة ..

العالم له كرامة .. فيجب ان تعلم الجميع لتوفر لهم الكرامة ..

المريض ليس له كرامة .. انما السليم له كرامة ..

الكرامة للشعب أصبحت فى نشر المصانع والمدارس والمستشفيات وخلافه ..

كل هذا يحتاج الى المال ..

صافى الزيادة اليومية فى بلادنا ١٢٠٠ مولود يحتاج الى ٣٦٠٠ رغيف .. ومدارس .. اتوبيسات .. طرق وخلافه .. مطلوب منا ان نقيم المرافق التى تواجه ١٢٠٠ فى اليوم ..

الانتاج ضريبة

لا بد من الانتاج من أجل المال لمواجهة هذه المرافق .. الانتاج أصبح ضريبة وطنية ..

الرجعية العربية متكتلة من حولنا مع الاستعمار .. فلا بد من الانتاج ليخيب ظنهما ..

الوحدة المجمعة تكلفت على الدولة ٧٠ الف جنيه من ميزانية الدولة ..

لنشترك بالصيانة

هذه الوحدة يلزمها صيانة .. ويجب على المواطنين أن يشتركوا فيما بينهم ويعملوا على تحمل عبء الصيانة حتى تتفرغ الحكومة لانشاء وحدات جديدة فى الجهات التى ليس بها وحدات ..

انتاج وصيانة

دورنا فى المجتمع الاشتراكى يجب أن يكون محددا فى نقطتين هامتين :

× **الانتاج الى أقصى حد ممكن .**

× **المحافظة على ممتلكات الدولة، كالمحافظة على المال الخاص ..**

نحن فى سبيل بناء مجتمع فيه حياة كريمة .. ولو لم نعمل بكل طاقاتنا فلن تكون هناك كرامة .

بهذا .. وبهذا فقط نتعاون .. ونمد يدنا الى جمال عبد الناصر حتى يتم البناء . وبعد ...

لعلنا استطعنا الآن أن نتبين أن الاشتراكية كروح ، تتغلغل فى صميم الريف منذ نشاة هذا الريف .. وان يكن لفظها جديدا عليه ..

فاذا ما قدر لهذه الروح أن تجد ما يبرز معالمها ، ويحدد سماتها ، ويؤكد مفاهيمها ..

فعندئذ تكون الاشتراكية فى الريف هى أساس المجتمع السليم ..

مواقيت الصلاة

الأيام	ديسمبر	شعبان	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			ق . س	ق . س	ق . س	ق . س	ق . س	ق . س
الجمعة	٢٨	١	١٧ ٥	٥٠ ٦	٥٧ ١١	٤٥ ٢	٠٣ ٥	٢٦ ٦
السبت	٢٩	٢	١٧ ٥	٥٠ ٦	٥٧ ١١	٤٥ ٢	٠٤ ٥	٢٧ ٦
الأحد	٣٠	٣	١٨ ٥	٥٠ ٦	٥٨ ١١	٤٦ ٢	٠٤ ٥	٢٧ ٦
الاثنين	٣١	٤	١٨ ٥	٥١ ٦	٥٨ ١١	٤٦ ٢	٠٥ ٥	٢٨ ٦
الثلاثاء	اينايِر	٥	١٨ ٥	٥١ ٦	٥٨ ١١	٤٧ ٢	٠٦ ٥	٢٩ ٦
الأربعاء	٢	٦	١٨ ٥	٥١ ٦	٥٩ ١١	٤٨ ٢	٠٧ ٥	٣٠ ٦
الخميس	٣	٧	١٩ ٥	٥١ ٦	٥٩ ١١	٤٩ ٢	٠٧ ٥	٣٠ ٦
الجمعة	٤	٨	١٩ ٥	٥١ ٦	٥٩ ١١	٤٩ ٢	٠٨ ٥	٣١ ٦
السبت	٥	٩	١٩ ٥	٥٢ ٦	٠٠ ١٢	٥٠ ٢	٠٩ ٥	٣٢ ٦
الأحد	٦	١٠	١٩ ٥	٥٢ ٦	٠١ ١٢	٥١ ٢	٠٩ ٥	٣٢ ٦
الاثنين	٧	١١	١٩ ٥	٥٢ ٦	٠١ ١٢	٥١ ٢	١٠ ٥	٣٣ ٦
الثلاثاء	٨	١٢	١٩ ٥	٥٢ ٦	٠١ ١٢	٥٢ ٢	١١ ٥	٣٣ ٦
الأربعاء	٩	١٣	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٢ ١٢	٥٣ ٢	١٢ ٥	٣٤ ٦
الخميس	١٠	١٤	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٢ ١٢	٥٤ ٢	١٣ ٥	٣٥ ٦
الجمعة	١١	١٥	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٣ ١٢	٥٤ ٢	١٣ ٥	٣٥ ٦
السبت	١٢	١٦	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٣ ١٢	٥٤ ٢	١٤ ٥	٣٦ ٦
الأحد	١٣	١٧	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٣ ١٢	٥٥ ٢	١٥ ٥	٣٧ ٦
الاثنين	١٤	١٨	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٤ ١٢	٥٦ ٢	١٦ ٥	٣٧ ٦
الثلاثاء	١٥	١٩	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٤ ١٢	٥٧ ٢	١٧ ٥	٣٨ ٦
الأربعاء	١٦	٢٠	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٤ ١٢	٥٨ ٢	١٨ ٥	٣٩ ٦
الخميس	١٧	٢١	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٥ ١٢	٥٩ ٢	١٩ ٥	٤٠ ٦
الجمعة	١٨	٢٢	٢٠ ٥	٥٢ ٦	٠٥ ١٢	٠٠ ٣	١٩ ٥	٤٠ ٦
السبت	١٩	٢٣	٢٠ ٥	٥١ ٦	٠٥ ١٢	٠٠ ٣	٢٠ ٥	٤١ ٦
الأحد	٢٠	٢٤	٢٠ ٥	٥١ ٦	٠٦ ١٢	٠١ ٣	٢١ ٥	٤٢ ٦
الاثنين	٢١	٢٥	٢٠ ٥	٥١ ٦	٠٦ ١٢	٠٢ ٣	٢٢ ٥	٤٣ ٦
الثلاثاء	٢٢	٢٦	٢٠ ٥	٥١ ٦	٠٦ ١٢	٠٣ ٣	٢٣ ٥	٤٤ ٦
الأربعاء	٢٣	٢٧	٢٠ ٥	٥٠ ٦	٠٧ ١٢	٠٤ ٣	٢٤ ٥	٤٥ ٦
الخميس	٢٤	٢٨	١٩ ٥	٥٠ ٦	٠٧ ١٢	٠٥ ٣	٢٥ ٥	٤٦ ٦
الجمعة	٢٥	٢٩	١٩ ٥	٥٠ ٦	٠٧ ١٢	٠٦ ٣	٢٥ ٥	٤٦ ٦
السبت	٢٦	٣٠	١٨ ٥	٤٩ ٦	٠٧ ١٢	٠٦ ٣	٢٦ ٥	٤٧ ٦

أمّة النور أمّتي

للشاعر محمد حليم غالى

أيقظت عزمها ولَمّتْ صباها وصحا شعبها يَشِيدُ علاها
أُمة تعشق السماحة والحـ ـب وتبنى على الإخاء مُناها
أسفر الصبحُ... صبحها فتهادتْ يغسل النورُ ظُلْمها وأساها
قدَّمتْ للكفاح كلَّ شهيد وتبارت فتاتُها وفتاها
آدها الغدرُ بعض حين ولكن شعبُها الثابتُ الطموح حَماها
جلّ من أبدع الوجودَ ... وأعلى وتجلّى سبحانَه فجلاها

* * *

جمّعتْ عزمَها الجسور وهبّتْ لا تبالى الطغيانَ فيما شجاها

ذوّبت طُغمة الفساد ... فدالت دولة الظلم ، والكفاح طواها
كلما قام غادر وتغالى حطّمتْ ركنه اللئيمَ يداها

* * *

كان مجد الإنسان يوم رآها شيّد «الدين» ركنها وبناها
رفع اللهُ سمْكها ... وجلاها وتعالى بمجدِها واصطفاها
ومشى «أحمدُ النبيّ» كريما حينما زفَّ للورَى بشراها
زف «قرآنها» المجيد منارًا يهتدى كلُّ سالكٍ بضياها
ربّت القوم فاهتدوا وتسامَوْا بينما اللهُ ... بالهدى ربّاها

* * *

أُمة النور أُمتى ... يشهد اللهُ وشعبى بعزمهِ أغلاها
هبَّ ينضو غطاءه مستهامًا بالمعانى ... وبالدِّما رَوَّاها
«ثائرُ النيلِ» عبَّد النهجَ حُرًّا يغرس المجد والمنى فى رُباها
بعثَر الفاسدَ الغبيَّ ... وأودى بالخياناتِ فانطوتْ بلْواها
وتنادى من «الخليج» فلبَّى من «محيط» الإسلام رَجْع صداها

* * *

أنا يا أُمـةَ السماحةِ قلبُ عبَّ إحساسهُ الرقيقَ شذاها
وتملّى أَمجادَها تُثقل الدهرَ وتغـرِى بوجهها مَنْ رآها
مدَّتِ اليـومَ ظلَّها عبقريا يمسح الضيمَ عن جفونِ رُؤاها
المنى الحلوةُ العزيزة أَضحتْ وهى صبح ... حقيقة تتباهى
والصباح المعطاءُ فى الأُفق يمضى يتجلى على الورى فى خطاها

ترفض الظلم فهْى أمة « دين »
رفعت منه أنفسًا ... وجباها

ترفض الشح ... والخيانة والذ
لَّ وتعلى على الوفاء أخاها

تعرف الحقَ والعدالة نهجًا
ومن الخير والجمال سُـداها

تعبد الله غـدوةً ... ورواحا
يملأُ الذكر قلبها والشفاها

تسعد الفرد والشعوب وتعطى
مَنْ حمَاها رعاية فى حماها

لا ترى قسوة الولى طريقا
لحياة تجلُّهـــا فحـــواها

* * *

أيها الحاكم الأمين « جمال »
أُمتى اليـــوم فى يديك هواها

عهدت فيك مهجة ... تتسامى
حاطها الله بالهـدى وسَقَاها

عهدت فيك مُلْهمًا عبقريا
ليس يطغى ولا يريد أذاها

عبد الله راضيا مطمئنا
ليس يرضى بغير ذلك جاها

فابلُغ اليوم « بالعروبة » مجدًا
لا يرى الكون عنده منتهاها

وأعدها إلى الصبا ... تتغنى
بجمال الصبا ... فأنت فتاها

صيحة البعث..

أخي العربي

للشاعر حسن حماد

غَضْبَةً تَحطِمُ القُيودَ ... أَبيَّهْ — وتدكُّ المعاقلَ الرجعيَّهْ
وانتفاضًا حُرَّ الإباء عزيزًا — ثائِرَ الروح نَخْوَةً وحَمِيَّهْ
ثورةَ الماردِ المكبَّلِ يَفْرِى — طَوْقَهُ والسلاسل الوحشيَّهْ
كالأَتِىِّ الخِضَمِّ ، كالصَّاعق المُنْقَضِّ ، كالصَّرصر الغَضُوبِ العَتِيَّهْ
لِانْطلاقِ الآمالِ ، للمُثُلِ العُليا ، لِزحْفِ المواكب القدسيَّهْ
لِعِناق الأَشواقِ تَحْتَضِنُ الفجرَ ، لِركْب الرخاءِ والحُريَّهْ
لِانتزاع الصباحِ من قبْضةِ الليلِ ومِن سَطْوةِ الغواشى الدَّجيَّهْ
لِشقاءِ الفلَّاح ، للعامل المحروم ، لِابْنٍ مُسْتضْعَفٍ وبُنَيَّهْ
لِلملايين يكدحون لِيَجْنى — خيرَهم ذو المطامع الأَشعبيَّهْ
لِإرادات شَعبِنا زَيَّفَتْها — نَكْسَةُ الانفصالِ فى سُوريَّهْ

لَكَ ، لِلجيلِ ، لِلغدِ المُتَمَنَّى لجماهيرِ أَرضِنا العَرَبيَّهْ

* * *

لِفلسطينَ قد أباحت حِماها ... بِنْتُ صهيونَ لعنة الأَزَليَّـهْ

لِليتامى المُشَرَّدينَ ، لصَيْحا ... تِ صَبِىٍّ مُضَيَّعٍ وصبيَّـهْ

للثكالى يَنْدُبْنَ أهلاً ودارًا ... ويُوَلْوِلْنَ بُكْرَةً وعَشِـيَّهْ

صرخات تُفتِّتُ الحجرَ الصَّلْدَ ... وتسترحمُ الوحوشَ الضَّرِيَّهْ

يَقرعُ الأَرضَ والسماءَ صَداها ... غير سمْـع الضمائر البشريَّهْ

خنجرٌ شقَّ للعروبةِ قلبًا ... لم يزل يَنزِف الدماءَ الزكيَّهْ

لفلسطين يا أخى فاحفر القبرَ ... لوَادِ اللقيطـةِ الدَّوليَّهْ

لِثراها السَّليبِ قد دنَّسَتْهُ ... عُصبة من طرائد الهمجيَّهْ

فاغْسِلِ العارَ عن حِماها بثأْر ... يأنفُ الضَّيمَ والخَنَا والدَّنيَّهْ

لسْتَ باليَعْرُبِىِّ إن لم تُعِدْها ... لبنيها وأَهلِها يَعْرُبيَّـهْ

* * *

يا أَخى أَنتَ فى قُيودِكَ ليْثٌ ... عافت القيدَ روحُه الأَسَدِيَّهْ

بين جَنْبيكَ ثورةٌ مِن لهيب ... تتحدَّى القذائف النَّوويَّهْ

صاغَكَ اللهُ حين صاغكَ حُرًّا ... وحَباك الكرامةَ الآدميَّهْ

فوقَ أَرضٍ قُدْسيَّة باركتْها ... بالرسالات نفحةٌ عُلْويَّهْ

مهبط الحقِ والكرامةِ والعدْلِ ، ومَهْد النبوغ والعبقريَّهْ

وعلى صَدرِها العروبةُ شبَّتْ في ظلال الإباءِ والأَرْيَحيَّـهْ
فامْشِ حرًّا بها ، ولا تَخفِض الجبْهةَ يومًا إلا لربِّ البَريَّهْ
وانفُض الذُّلَّ وارفع الرأْسَ واشمَخْ اسْتَ عبدًا لغاشمٍ أو مَطِيَّهْ
فلَكَ الأَرضُ والذى أَنْبَتَتْـهُ وينابيعُها الدِّفَاقُ الغَنيَّـهْ
ولكَ المصنَـعُ الذى صاغَ من كَدِّكَ دُرَّ القَلائدِ الذهبيَّـهْ
ولكَ القصرُ شادَه ساكِنُ الكوخِ لِعرْبيدِهِ ، وكان ضَحِيَّهْ
يُتْرِعُ الكأْسَ مِن دِماءِ ضحاياه ، ومِن أَدمُعِ الجموعِ الشَّقيَّهْ

* * *

زمَنُ الرِّقِّ والسلاطينِ وَلَّى وتداعَتْ قِلاعُه المَلكيَّهْ
وزمانُ الشعوب قد زحف اليـوم على الاسْتِغلالِ والفَرْدِيَّـهْ
الطواغِيتُ يَسقطون تِباعًا كهشيمٍ تَذْرُوهُ ريحٌ قويَّهْ
والخِيانَاتُ والأُلَى دبَّروها تَتَهاوَى تيجانُها الخزَفيَّهْ
ومطايا المستعمرينَ ومَن عاشوا ذُيولَ المطامع الأَجنبيَّـهْ
دقَّت الساعةُ الرهيبةُ فانْهاروا ، وراحوا يَسْتَصْرِخون ... البقيَّهْ
وبأَسْمَاعِهم يَضِـجُّ مُرِنٌّ مِن صَداها بالثَّورة اليَمنيَّهْ

* * *

باسْمِ تاريخِنا المجيدِ ، رعَى الدنيا وأَرسَى قواعدَ المدنيَّهْ
وبآبائنا الأُلَى زلزلوا كِسرى ودكُّوا هياكلَ القيصريَّهْ

والبطولاتِ إذ تخوض المنايا ظامئاتِ الصَّدى لورْدِ المَنِيَّهْ
تفتح الأَرضَ بين شرق وغرب بهُتاف الهُدى وبالمَشْرفيَّهْ
بانتفاضِ الجزائر اليوم حرًّا بعد طول المعارك الدَّمَوِيَّهْ
بانْبِثاقِ الفجرِ الذى صنعَتْهُ فى حِمانا الطَّلِيعةُ الثَّوْرِيَّهْ
جلْجلتْ فى ائتلاقهِ صَيْحةُ البَعثِ ودَوَّتْ بشائرُ الناصريَّهْ
وزَئيرُ العِمْلاقِ يَعصِف بالبَغْيِ ويُذْكِى المشاعِرَ الوطنيَّهْ
نفخ الرُّوحَ فى العروبة والشرقِ ونادى بالعِزّة القوميَّـــهْ
وهوَى بالفسادِ والظلمِ والإقطاعِ فى هُــوَّةِ الرَّدَى الأَبَدِيَّهْ

* * *

بانتصاراتِنا التى هزَّت الدنيا على الغَدْرِ والقُوى الكَيْدِيَّهْ
بالجلاءِ الذى حسبناه حُلْمًا فتَبدَّى حقيقةً واقِعيَّـــهْ
بانتزاع القناةِ ، بالموقف الباسلِ فى يوم بور سعيدَ الأَبِيَّهْ
وبعَزْمٍ مُصَمِّمٍ يَبْتَنى السَّدَّ كأهرامِنا ، بِأَيْدٍ فَتِيَّـــهْ
والصَّواريخ ، قد تحدَّتْ عِدَانا وأَعَزَّتْ آفاقَنا الجويَّهْ
باشتراكيَّةٍ تُرفرِفُ بالعَدل ، وتُدْنِى الفوارقَ الطبقيَّـــهْ
ومَصيرٍ يَحمِيه مِيثاقُنا الحرُّ ، لمستقبل الحياةِ الرَّضِيَّـــهْ

* * *

مِنْ هنا يا أخى مشى مَوكب النور وسارتْ قوافلُ الحُرِيَّهْ
فاسْلُك الدَّرْبَ ، واحْدُ رَكْبَ الأَمانى ... وتَخَطَّ الحواجزَ الوهْميَّهْ
يَدَكَ اليومَ فى يَدَى نَسْحَق الزَّيفَ ، ونَشْدُو بالوحدة العربيَّهْ

أنت تسأل؟ .. والمفتي يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

من السيد محمد حسن طاهر ١٢ شارع سيالة الروضة المنيل

يقول السائل فى سؤاله : ان سيدة متزوجة من رجل أنجبت منه ثلاث بنـات توفيت احداهن والباقيتان : احداهن فى الثامنة من عمرها والأخرى فى السابعة وان زوجها منذ خمس سنوات قال لها : أنت طالق ثم ردها اليه فى نفس الليلة التى وقع فيها الطلاق . وبعد ذلك وقبل مضى شهر قال لها : أنت طالق ثلاثا أنت طالق ثلاثا فى نفس المكان ونفس الزمان وقد ندم زوجهـا بعد ذلك وحـاول ارجاعها ، ولذلك أردنا استشارتكم هل هى الآن محرمة عليه أم أنها تعتبر طالقة مرتين فقط وهى المرة الأولى قبل خمس سنوات والثانية التى قبل شهر وبعبارة أخرى هـل الطلقة فى المرة الأخيرة تعتبر طلقة واحدة أو طلقتين ؟

ج : والجواب أن المادة الثالثة من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الذى تطبقه للآن محاكم الأحوال الشخصية نصـت على أن الطـلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لا يقع الا واحدة ، وتقول المذكرة التفسيرية لهـذا القانون : ان الطلاق المتعدد لفظا أو اشارة لا يقع الا واحدة ، رأى محمد بن اسحاق ونقـل عن على وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير ونقل عن مشايخ قرطبة ومنهم محمد بن تقى بن مخلد ومحمد بن عبد السلام ونقله بن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاووس وعمرو ابن دينار ، وقد أفتى به عكرمة وداود وقال ابن القيم انه رأى أكثر الصحابة ورأى بعض المالكية ورأى بعض الحنفيـة ورأى بعض أصحاب أحمد ـ وقد جاء فى المذكرة أيضا ان الطلاق شرع على ان يوقع دفعـات متعددة لقوله تعالى : « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله . فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتـدت به تلك حدود الله فـلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئـك هـم الظالمون فان طلقـها فلا تحل له من بعد حتى تنـكح زوجـا غيره ، فان طلقها فلا جنـاح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ٢٢٩ ، ٢٣٠ من سورة البقرة** »

فالآية الكريمة تكاد تكون صريحـة فى أن الطلاق لا يكون الا مرة بعد مرة ، وجعلت دفعات الطلاق ثلاثا ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ويروضها على الصـبر والاحتمال ، ولتجرب المراة نفسها أيضا حتى اذا لم تفد التجارب ووقعت الطلقة الثالثة علم أنه ليس فى البقاء خير وأن الانفصال البـات بينهما أحق وأولى . ومما تقـدم يتضح أن الزوج يتعين عليه أن يوقع الطلاق على مرات ثلاث وفى كل مرة لا يقع الا طلقة واحدة . حتى ولو كان لفظ الطلاق مقترنا بعدد الثلاث ، فمن قال لزوجته أنت طالق ثلاثا فلا يقع الا طلقة واحدة رجعية ما لم تكن مكملة لثلاث . واذا كرر الطلاق فى المرة الواحدة يعتبر التكرار تأكيدا ولا يقع الا طلاق واحد ، وعليه يكون الزوج المسئول عنه طلق زوجته طلقة أولى منذ خمس سنوات ، ويكون ما صدر منه فى المرة الثانية طلاقا ثانيا واحـدا وان كان مقترنا بالثلاث ، وان كرر فى الزمان والمكان ، ولذلك تكون زوجته قد طلقت منه مرتين فقط ـ **يجوز**

له مراجعتها ما دامت فى عدة طلاقها الأخير واذا كانت منقضية العدة جاز له أن يعيدها الى عصمته بعقد زواج جديد من غير حاجة الى أن تتزوج بغيره ويدخل بها ثم يطلقها وتنقضى عدتها والله أعلم .

س :

سؤال من السيد يوسف علوب بالقاهرة

يقول السائل فى سؤاله : « بزيارة سيدنا ومولانا الحسين - رضى الله عنه - ومقام السيدة زينب والسيدة نفيسة نرى كثيرا من الناس يقبلون أعتابهم والأبواب الموصلة للمقامات ، فهل هذا جائز لأنهم من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب : ان عامة الناس يفعلون ما رآه السائل على أنه مظهر من مظاهر حبهم للنبى - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته ، الذين ناصروه وأيدوه ، وكان لنصرهم أثره فى اظهار دينه ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا نعتقد أنهم يفعلون ذلك على أنه عبادة ، اذ العبادة لا تكون الا لله وحده ، فلا يخطر ببال من يقبل أعتاب المشايخ أنه يشركهم فى عبادة الله والا كان اشراكا بالله منهى عنه محرم عليه ، فاذا حملنا ما يفعله عامة الناس من تقبيل أعتاب مقصورات آل البيت على مجرد اظهار حبهم له مع ايمانهم ايمانا كاملا بأن الله - سبحانه وتعالى - هو المستحق للعبادة وحده وأنه هو الذى يتوجه اليه المسلم بالدعاء دون غيره . أقول اذا حملنا ما يأتى به عامة الناس على هذا المعنى لم يكن ذلك شركا يكفرون به ، وان كان فى الواقع يخشى أن يؤدى الى الشرك ، وينبغى على العلماء وقادة الرأى أن ينهوهم عنه وأن يفهموهم أن حبهم لبيت رسول الله لا يكون بالاتيان بهذه الأعمال وانما يكون باتباع شريعته التى كان أهل البيت يعملون بها ، ويؤيدون رسوله بالدعوة اليها ويحسن أن يكون ذلك بالوسائل المقنعة التى تفهمها عقولهم وتطمئن اليها قلوبهم وتحملهم على ان يعدلوا عن الاتيان بهذه الأعمال التى تنافى ما هو هام يجب أن يكون عليه المسلم ونبذ الشرك فى أى مظهر من مظاهره والله أعلم .

س :

من السيد محمود محمد اسماعيل الغراسى من طما جرجاوية - سلامون

يقول السائل فى سؤاله كان يعيش أخوان شقيقان فقط تزوج أحدهما ولم ينجب وماتت زوجته وهو الأخ الأول - والأخ الثانى تزوج وأنجب ولدا وبنتا شقيقين فقط . مات الرجل الثانى ثم بعد مدة من السنين مات الرجل الأول وليس له أبناء ولا زوجة وترك خمسة أفدنة والمطلوب معرفة هل يرث أبناء الأخ من «أبناء الرجل الثانى» المتوفى - ولد وبنت الاثنين - وما نصيب كل منهما ؟ .. أم هل يرث ابن الأخ فقط دون أن ترث أخته الشقيقة ولكم جزيل الشكر .

ج - والجواب أنه واضح من السؤال أن المتوفى الثانى لم يترك ذرية ولا زوجة وأنه ترك ابن أخ شقيق وبنت أخ شقيق فقط ، ومتى كان الأمر كذلك فان تركة المتوفى الثانى يرثها كلها ابن الأخ الشقيق لأنه العاصب الوحيد الموجود حين الوفاة ولا يوجد عاصب آخر أقرب منه ، ولا شىء لبنت الأخ الشقيق لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات ، كما أنها لا تستحق شيئا عن طريق الوصية الواجبة لأن المادة ٧٦ من قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٩ صريح فى أن الوصية الواجبة يستحقها فرع ولد المتوفى الذى مات فى حياته أو مات معه ولو حكما . أما فرع الأخ الشقيق الذى مات فى حياة شقيقه فلا يستحق شيئا بالوصية الواجبة . كما أن المادة رقم ٣١ من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ بينت أنه اذا لم يوجد أحد من العصبة بالنفس ولا أحد من ذوى الفروض النسبية كانت التركة أو الباقى منها لذوى الأرحام وهم أربعة أصناف مقدمة بعضها على بعض فى الارث . وذكرت المادة فى بيان الصف الثالث بنات الأخوين لأبوين أو لأحدهما وأولادهن وان نزلوا كما نصت المادة ١٧ من هذا القانون على أن العصبة بالنفس جهات أربعة مقدمة بعضها على بعض فى

الارث وبعد أن ذكرت البنوة والأبوة ذكرت الأخت وقالت انها تشمل الأخت لأبوين والأخت لأب وأبناء الأخ لأبوين وأبناء الأخ لأب وان نزل كل منهما ٠٠ الخ ٠ ونصت المادة ١٨ من هذا القانون على أنه اذ اتحدت العصبة بالنفس فى الجهات كان المستحق للارث أقربهم درجة للميت واذا اتحدت فى الجهة والدرجة كان التقديم بالقوة ٠٠ الخ ٠

ومما تقدم يتضح أن تركة المتوفى الثانى يستحقها كلها ابن الأخ الشقيق ولا تستحق شيئا منها بنت الأخ الشقيق ٠ والله أعلم ٠

س :

من السيد ا٠ب٠ن

يقول السائل فى سؤاله : ما نصه : كثرة تتساءل عن انتفاع الراهن بالشىء المرتهن سواء أكان أرضا أو حيوانا أحرام أم حلال ؟ نرجو التفضل بالاجابة ٠٠

ج ـ والجواب أن الرهن فى اصطلاح الفقهاء حبس شىء مالى كأرض أو حيوان بحق مالى يمكن استيفاؤه منه كالدين ـ ومالك العين المرهونة يسمى راهنا وصاحب الدين الذى يحبس العين نظير الدين يسمى مرتهنا والعين المرهونة تسمى رهنا ٠ وللمرتهن حبس الرهن فى يده حتى يقبض دينه أو يبرئه وليس له الانتفاع به مطلقا الا باذن كل منهما للآخر ٠ وهذا هو القول المعتمد فى مذهب الامام أبى حنيفة ٠ وهناك قول آخر وهو ما عبر عنه فى شرح تنوير الأبصار على الدر المختار (الجزء الخامس) بقوله : وقيل لا يحل للمرتهن لأنه ربا وقيل ان شرطه كان ربا والا لا ، وجاء فى حاشية ابن عابدين أن القول بعدم حل الانتفاع مخالف لعامة المعتبرات من أنه يحل بالاذن ٠ الخ ومما تقدم يظهر أن هذه المسألة اجتهادية اختلف فيها الفقهاء والراى الراجح فى مذهب الامام أبى حنيفة حل انتفاع المرتهن بالرهن باذن الراهن والله أعلم ٠

مع القراء

عزيزى القارىء : من أجل الحياة الفاضلة والمبادىء السامية والمثل العليا والقيم الرفيعة نلتقى هنا على صفحات « منبر الاسلام » .. من أجل كمال الانسانية وصالح المجتمع الاسلامى فى كل مكان نعمل سويا متساندين .

حقيقة الايمان :

الاستاذ رجب السيد الخميسى ـ طالب بمعهد دمياط الدينى الثانوى

المجلة تشكرك على هذا الثناء ، وقد اطلع فضيلة الاستاذ عبد الحميد بلبع على خطابك وتفضل مشكورا بهذه الاجابة .. حقيقة الايمان المنشود والذى ينجى صاحبه من الخلود فى النار هو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره .. ويوجد التصديق فعلا بلا قول ولا عمل لأنه حقيقة مستقلة ، وهو القوة الدافعة الى القول والعمل .. فمتى كان التصديق كاملا وقويا كان حافزا على القول والعمل اللذين هما ثمرة التصديق والايمان .

الفتاة والأزهر :

السيد / جعفر مصطفى عمر ـ شركة كيما ـ أسوان :

لقد أصبت كبدالحقيقة ٠٠فقد تطور المجتمع وتطورت أسباب الحياة فيه وأصبحت مشاركة الفتاة فى شتى الميادين حقيقة واقعة وملموسة ٠٠ فأجدر بها أن تتعلم أمور دينها وتعرف لغتها .. وأعتقد أن الوازع الدينى سيكون سياجا منيعا لها وبالتالى حافزا قويا يدفعها الى نشدان الفضيلة والكمال .

قوات الطاغية :

الاستاذ محمد منير محمود السيد ـ طب الاسكندرية :

جاء فى خطابك أن سعودا يمثل رجعية المال ورجعية الحكم ورجعية المبادىء خصوصا وقد رد الكسوة الشريفة ومنع الحجاج من زيارة البيت الحرام فى هذا العام وطبعا هذا البيت حق مشاع للمسلمين جميعا لأنه بيت الله سبحانه وتعالى.. ولعلك ترى الآن أن سعودا يعانى ما يعانى من الألم والصراع النفسى ٠٠ وغدا سيكون النصر باذن الله وسيجنى هو ثمرة ماقدمت يداه ٠

سيد الكونين :

السيد السيد على ابراهيم ـ الجامعة الأزهرية ـ ميت ميمون ٠ الجيزة غربية :

المجلة تحييك وتشجع فيك هذه الروح الوثابة وذلك الأمل الطموح .. وأما الذين ينكرون الاسراء والمعراج على رسول الهداية صلى الله عليه وسلم فهم أفاقون مكابرون لا ينقصهم الدليل والبرهان ، وحسبهم أن يتأملوا هذا الكون الكبير وما يجرى فيه من المعجزات ليعلموا أن هناك قوة خارقة تستطيع أن تفعل الأعاجيب .

المجال أمامك :

السيد عاطف أحمد على شرف ـ طنطا ـ المدرسة الأحمدية الثانوية :

المجال مفتوح أمامك أنت وأمثالك من الشباب ٠٠ فاكتب ماتشاء فنحن نرحب بهذه الطليعة من الجيل الجديد وبكل عمل انسانى خلاق ، ولا يغيب عن الذهن أن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية به نخبة ممتازة من رجال الدين والفكر والأدب والجميع يرحبون بالرد على كل مشاكل المجتمع وبلا مقابل ٠

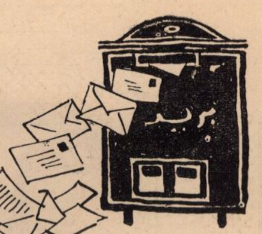

بريد التعارف

الاسم : أحمد منصور عطية البهواشى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : الاطلاع والرحلات ومراسلة الشباب
العنوان : أوسيم - امبابة - الجيزة

الاسم : ابراهيم محمد احمد غوينم
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٧ سنة
المهنة : طالب بكلية الدراسات العربية
الهواية : الاطلاع الدينى والأدبى
العنوان : الصف - جيزة

الاسم : عبد الحى على السيد على
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى - معهد الزقازيق الدينى
الهواية : قراءة الكتب الدينية ومراسلة الشباب المسلم وجمع الصور
العنوان : صان الحجر - شرقية

الاسم : محسن عبد العزيز الدكرورى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٤ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الزعفران الاعدادية بالعباسية
الهواية : كرة القدم - الرحلات - الرياضة ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : القاهرة: ١١٦ شارع العباسية

الاسم : راغب أحمد عسر
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : كلية الزراعة جامعة عين شمس دراسات تعاونية
الهواية : الرحلات والتصوير ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : رياض - كفر الشيخ - عزبة عسر

الاسم : محمد عبد القادر بدر
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٩ سنة
المهنة : موظف بمجلس الامة
الهواية : قراءة الكتب الدينية والأدبية والمراسلة
العنوان : ٢٢ شارع محمد السيد ابراهيم بشبرا

٢٣ ديسمبر عيد النصر

إلى الزعيم البطل الذى قادنا فى معارك
الحرية إلى النصر

الرئيس جمال عبد الناصر

نقدم أخلص التهانى وأسمى الأمانى

شركة تنمية الصناعات الكيماوية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة
للأدوية والكيماويات والمستلزمات الطبية

CID
سيد

المركز الرئيسى : الطالبية بالهرم - القاهرة
ت : ٨٩٤٩٦٦ - ٨٩٤٩٦٨

المكتب العلمى : ٢ شارع شريف بالقاهرة ت ٧٤٠١٥ / ٤٢٥٩٦

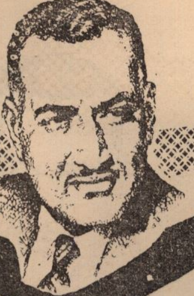

٢٣ ديسمبر عيد النصر

في عيد النصر
عيد العزة والحرية والكرامة
نرفع أسمى آيات التهاني
إلى رائد القومية العربية الرئيس

جمال عبد الناصر

وشعب الجمهورية العربية المتحدة

شركة النصر للغزل المتوسط
بقنا

الإدارة : ٢٨ شارع طلعت حرب - المصانع بقنا

٢٣ ديسمبر عيد النصر
فى عيد النصر
عيد العزة والحرية والكرامة
نرفع أسمى آيات التهانى
إلى رائد القومية العربية الرئيس
جمال عبد الناصر
وشعب الجمهورية العربية المتحدة
شركة مصر للغزل والنسج الرفيع
بكفر الدوار
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسج
ت : ٥٧٠٠ - ٦٠ - ٦٥١٧٨

المؤسسة المصرية العامة للنقل البحري

وشركاتها

• الشركة العربية المتحدة للملاحة البحرية
• الشركة العربية المتحدة للشحن والتفريغ
• الشركة العربية المتحدة للنقل البحري
• الشركة العربية المتحدة لإصلاح السفن
• الشركة العربية المتحدة للأشغال العامة والتوريدات البحرية.
• شركات التوكيلات البحرية ..
• شركات ومنشآت الشحن والتفريغ ..
• شركات إصلاح السفن

تقدم أصدق التهاني بعيد النصر

للبطل الرئيس **جمال عبد الناصر**

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

« قرآن كريم »

المؤسسة المصرية العامة للبترول

بترولنا العربي .. نستخرجه بأيدينا ..
وأرباحه لمواطنينا ...

الجمعية التعاونية للبترول

أول وأضخم مؤسسة عربية عالمية
فى الشرق للبترول وجميع مشتقاته

رأس مالها ملك للشعب .. تضاعف منذ قيام الثورة ٤٠ ضعفا .. ¼ مليون جنيه قبل الثورة أصبح بعد ١٠ سنوات ١٠ مليون جنيه ..

الجمعية تحتل بجدارة مركزها القيادى فى قطاع البترول فى التنقيب والحفر والتخزين والتصنيع والتوزيع الذى بلغت أرقامه لهذا العام ٢٥ مليون جنيه

مستودعات البترول
أنشأتها الجمعية فى جميع أنحاء الجمهورية تسع ٢٣٨ ألف جنيها ..

محطات الخدمة
١٦٤ محطة على جميع الطرق لخدمة السيارة وركابها ..

تعميم البوتاجاز
أنشأت الجمعية ٥ محطات لتعبئة البوتاجاز بالأسكندرية والسويس وطنطا وبورسعيد وأسيوط ..

كيماويات التعاون
لخدمة الإنتاج الزراعي والصناعي .. فى خدمة الإقتصاد والإجتماع والصناعة والزراعة ورفاهية الفرد

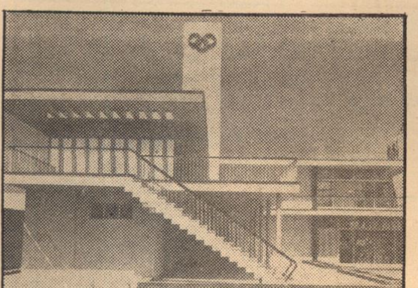

الجمعية التعاونية للبترول
من قبس الثورة أضاءت شعلتها
ومن مبدأ التعاون استمدت حياتها
وستظل أبداً ركيزة التطور فى مجتمعنا
الإشتراكى التعاونى

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		٦
مع الاحداث	السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة	٨
خطاب من القاهرة	السيد الاستاذالدكتور وزيرالاوقاف وشئون الازهر	١٢
حديث مع سفير الملايو		١٥
فى الاخلاق	لاستاذ الجيل أحمد لطفى السيد	١٧
سذاجة المنكرين	الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد	١٩
العلم	فضيلة الشيخ محمد احمد فرج السنهورى	٢٢
حمية الجاهلية	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٢٥
صور دينية فى شعر شوقى	الدكتور أحمد الحوفى	٣١
دور المثقف	الدكتور عثمان أمين	٣٤
الكتابى المسلم	فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى	٣٦
الاتحاد الاشتراكى العربى	الدكتور طعيمة الجرف	٤٠
نحو الحقيقة	الاستاذ البهى الخولى	٤٢
كونية الاسلام	الدكتور محمد غلاب	٤٩
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٥٣
مظهر من فساد نظم الاسرة	الدكتور على عبد الواحد وافى	٥٧
الشهادتين	الدكتور عبد الحليم محمود	٦٠
بين الدين والحياة	الاستاذ عبد المنعم النمر	٦٣
القرآن وحقوق الانسان	الاستاذ عبد الرزاق نوفل	٦٥
تراثنا الفقهى	الاستاذ محمد سلام مدكور	٦٨
عناصر الحيوية	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٧٢
ابن حزم الاندلسى	الاستاذ طاهر الطناحى	٧٥
ليلة نصف شعبان	الاستاذ عبد الحميد بلبع	٧٩
الاسلام فى افريقية	الدكتور محمود قاسم	٨٣
رجال ومواقف	فضيلة الشيخ منصور رجب	٨٦
حديث السيف	الاستاذ محمد فرج	٩٠
الاسلام وجماعية القيادة	الاستاذ أحمد الشرباصى	٩٣
التنظيم الاشتراكى	الاستاذ أحمد الخشاب	٩٧
كيف نجت تركيا	الاستاذ محمد عبد الهادى	١٠١
الاسلام عدو الاحتكار	الدكتور محمد سعاد جلال	١٠٦

عقيــدة وكفــاح ... ... الدكتور حفنى شرف ١٠٩
صفحات من التاريخ ... ... الاستاذ عبد المنعم حمادة ١١٣
ممالك اسلامية قديمة ... ... الاستاذ عبده بدوى ١١٨
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ أحمد ابراهيم الشريف ... ١٢١
الله نور السموات والارض ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ١٢٦
الميثاق فى ضوء الاسلام ... ... الاستاذ محمود عبد المجيد ١٢٨
من آداب الاسلام ... ... الاستاذ محمد قاوى عسر ١٣٢
ملامح من الفكر الاسلامى ... ... الاستاذ حسن فتح الباب ١٣٦
الارهاص بالاصلاح الزراعى ... ... الاستاذ حسن الشيخة ١٤٢
المسجد وأثره فى المجتمع الاسلامى ... ... الاستاذ محمد عبد المنعم اليونسى ١٤٤
الشيخ طنطاوى جوهرى ... ... الاستاذ على الجمبلاطى ١٤٦
مهلكات لا مخدرات ... ... الاستاذ أحمد حمد ١٥٠
ماذا فى شهر شعبان ... ... الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم... ١٥٤
من أعلام الاسلام ... ... الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى... ١٥٦
الطريق الى الله ... ... الاستاذ صبرى يوسف عبــد
الجواد ١٦١
وطن العروبة « شعر » ... ... الشاعر محمد هارون الحلو ... ١٦٣
المرأة المسلمة ١٦٨
وسائل الاضاءة ... ... الاستاذة آمال العمرى ١٧٠
لماذا أسلمت ؟ ١٧٥
قصة العدد ... ... الاستاذ محمد عبد الحليم عبــد
الله ١٧٧
الجلاء « شعر » ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٨٠
اخبار سريعــة ١٨٢
ندوة الشهر ... ... الاستاذ عبد الرحمن الشربينى ... ١٨٤
مواقيت الصلاة ١٨٩
أمة النور أمتى « شعر » ... ... للشاعر محمد حليم غالى ١٩٠
صيحة البعث « شعر » ... ... للشاعر حسن جاد ١٩٣
انت تسأل والمفتى يجيب ... ... فضيلة الشيخ حسن مأمون ١٩٧
مع القراء ٢٠٠
بريد التعارف ٢٠١

ترقبوا

في منتصف شهر
شعبان

سلسلتي

الجريمة والعقاب بين الإسلام والقوانين الوضعية

الأستاذ محمود الهشري

السلام في الإسلام

الأستاذ محمد فرج

كتب إسلامية

الثمن ٢ قرشان

دراسات في الإسلام

الثمن ٥ قروش

تضمن الحصول
على
مكتبة إسلامية جامعة
بأقلام
أساتذة متخصصين

يصدرها :
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية

مطابع شركة الاعلانات الشرقية